وليم شيكسبير

هنري الثامن

ترجمة وتقديم
د.محمد عناني

الهيئة المصرية العامة للكتاب



لوحة للملك هنرى الثامن رسمها فنان مجهول فى عام ١٥١١ على الأرجح وهو فى العشرين من عمره.

تصدير

هذه هى المسرحية السادسة التى تخرجـها هيئة الكتاب فى سلسلة ترجمات شيكسبير ، بعـد **تاجـر البندقية** (١٩٨٨) **ويوليـوس قيصر** (١٩٩١) **وحلم ليلة صـيف** (١٩٩٢) **وروميـو وجـوليت** (١٩٩٣) **والملك ليـر** (١٩٩٦) ، وهى تخرج بالعـربية كاملة لأول مرة ، ولما كـانت العادة قـد جـرت على تصنيفـها ضمن المسرحيات التاريخـية ، وثار الخلاف حول نسبتها إلى شيكسبيـر وقيمتها الفنية ، كـان لابد من كتابة مقـدمة وافيـة تتناول هذه القضايا الخلافـية ، إلى جانب نبذة تاريخـية موجزة عن العصر الذى تصوره وقـضايا الإصلاح الدينى فـى إنجلترا ، مما استغـرق المساحة المخصصة للمقـدمة وزاد عليها ، فلم أتناول أى قضية تـتعلق بالترجمة أو المذهب الذى ارتضيـته فيها ، اكتـفاءً بكتابى **فن الترجمـة الأدبية** الصادر عـن الشركـة المـصريـة العالمية للنشر - لونجـمان عام ١٩٩٧ . وأرجو أن تكون المقدمة على طولها ذات نفع لقارئ المسرحية ودارس الدراما الشيكسبيرية والمسرح العالمى بصفة عامة .

محمد عنانى
القاهرة - ١٩٩٦



الكاردينال وولزى فى لوحة رسمها له رسام معاصر (من كتاب حياة وولزى للأستاذ بولارد).

المقدمة

ظهـرت أول طبعـة من هذه المسرحـيـة ، فى آخر القـسم الذى يتضـمن المسرحيـات التاريخية مـن طبعة ' الفوليو' الأولى لمسرحـيات شيكسبـير عام ١٦٢٣ . ومعنى ' الفوليو' هو 'القطع الكبير' عندنا أى حجم الصـفحة الذى يبلغ ضعف حجـم هذا الكتاب الحالى بالعربية ، ويدل أصلـها على الطىّ مرة واحدة للصحيـفة الكبيرة المعتادة فى طبـعات الصحف اليومية مـحليًا وعالميًا . ونص المسرحـية المطبـوع فى هذه الطبعـة يختلف إذن عن نصـوص كثـير من المسرحـيات الأخرى فى أنه لم يطبع فى حـياة الشاعر (فـيما يسمى بطبـعات 'الكوارتو' أى ربع حجم الصحـيفة أو ما يوازى 'القطع المتوسط' لدينا) وإن كان قد طبع بعد ذلك بتعديلات كثيرة ، أدخلها كبار المحققين والناشرين . أما النص المطبوع عـام ١٦٢٣ فهو بالغ الوضـوح ويتضمن تقـسيم المسرحـية إلى فصول ومشـاهـد (بخلاف النصوص الأخرى) إلى جانب إرشادات مـسرحية وافية ، والظاهر أنها كانت ضرورية بسبب مشاهد 'الفرجة' الكثيرة التى تتسم بالجاذبية و''الثراء البصرى'' وهو يعتبـر عنصرًا مهمًا مـن عناصر هذا العرض الخاص . ويقول فوكس Foakes محرر طبعة آردن Arden (١٩٥٥ و ١٩٦٢)

التى اعتمدت عليها فى هذه الترجمة "إن لغة **هنرى الثامن** تتسم أحيانًا بالتعقيد، وتتضمن صعوبات كثيرة فى التفسير ، ولايعزى من ذلك إلى التحريف إلا أقل القليل" - وهذه هى العبارة بالإنجليزية .

The language of *Henry VIII* is sometimes complicated, and offers many difficulties of interpretation, but few that can be attributed to corruption. p.xv.

ولذلك فقد اضطررت إلى إدراج الحواشى فى الهامش ، وإثبات ما يحتاج إلى الإثبات من الحقائق التاريخية التى يصورها النص ، إلى جانب الخلافات التى ترجع إلى جمهور المحققين والناشرين مثل الدكتور صمويل جونسون Samuel Johnson والشاعر ألكسندر بوب Alexander Pope ، والأساتذة و.أ. رايت W.A. Wright محقق طبعة كلارندون (وقد أشرت إليها باسم كلارندون فحسب) و ك. ديتون K. Deighton محقق طبعة ماكميلان ، وبولر Pooler محقق طبعة آردن الأولى التى صدرت عام ١٩١٥ ثم صدرت منقحة عام ١٩٣٦ ، وهى خلافات فى التفسير وقراءة النص لايمكن تجاهلها لأن بعض اللاحقين (مثل الأستاذ جورج هاريسون محقق طبعة بنجوين التى كنت اعتمدت عليها أول الأمر) يأخذ ببعضها ويترك البعض الآخر وكان لزامًا علىّ من ثَمَّ أن أقارن وأختار ثم أثبت فى الهامش آراء الآخرين إيمانًا منى بأن الترجمة لون من التفسير القائم على الاختيار أيضًا .

وإذا كنت لم أعرض لمشكلات النص والتحقيق فى ترجمتى لمسرحية **الملك لير** (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦) إلا عرضًا عابرًا فى المقدمة، فإننى لابدأن أعرض لهذه المشكلات تفصيلاً هنا بسبب ما شاع فى طبعات شيكسبير الحديثة من أن هذا النص لاينسب بأكمله إلى شيكسبير وأن

جون فلتشر John Fletcher شاركه كتابته . وكان فلتشـر يصغر شيكسبير بنحو ١٥ سنة ، واشتهـر عنه مشاركة فـرانسيس بومـونت Francis Beaumont فـى كتابة المسرحـيات ، وله وحده ١٦ مسرحيـة ، وكثيرًا ما يشار إلى مـا كتبه هو وبومونت باسم فلتشر فقط ، وإلى الأسلوب باسم الأسلوب 'الفلتشرى' !

وهـذه هى المشكلة الأولى التى لابد من التصدى لها بسبب أهمـيتها العامة أى التى لاتقتصر على تحقيق نصوص شيكسـبير . فحتى منتصف القرن التاسع عشر لم يكـن أحـد يشك فـى نسبة النص إلى شيكسبير ، ولكـن أستاذا يدعى ج. سـبيـدنج J. Spedding نشـر مـقـالاً فى مجلـة اسمـهـا *Gentleman's Magazine* عام ١٨٥٠ بعنوان «من كتب مـسرحية شيكسـبير **هنرى الثامن** ؟ » يقول فيه إنه تمكن من تمييز أسلوبين مختلفين فى المسرحية ''الأول معقد وحافل بالصور الشعرية'' والثانى ''تقل فيه نسبة الفكر والخيال إلى الألفاظ والصور'' . وأعـد إحصـاءً بالسطور التى تنتهـى بنهايـة الجملة ، وعِلَلِ الزيادة (العروضية) فى الأبيات ، وانتهى مـن ذلك إلى الزعم بأن هذه من السمات التى يتمـيز بها الأسلوب المعتاد لفلتـشر ، ومن ثَمَّ أعد قائمة بما يمكن أن ينسب فى المسـرحية إلى شيكسبير وما يمكن أن ينسب إلى فلتـشر ، باستثناء الفصل الرابع ، إذ ذكر أنه أقوى من أن ينسب إلى فلتشر وأضعـف من أن ينسب إلى شيكسبير . وفى العام نفسه كتب صمويل هيكسون Samuel Hickson مقالاً يحمل عنوانًا مماثلاً فى مجلة *Notes and Queries* ينتهى فيـه إلى الرأى نفسه ، وإن كـان ينسـب الفصـل الرابـع إلى فلتشر. ولـم يلبث سبيدنج أن وافقه فى رأيه.

وقبل أن نعرض لتفاصيل القضية نورد نموذجًا مما يعتبره سبيدنج أسلوبًا مميزًا لشيكسـبير ، بسـبب انتظام الإيقاع الشعـرى وعدم الخروج عن البـحر إلا فى

المواضع ذات الدلالة الدرامية ، وهو ما حاكيتـه فى الترجمة المنظومة بالعربية ، وهذا هو النمـوذج الذى أورده جورج هاريسـون ، محرر طـبعة بنجـوين من المسرحية : إنه إجابة وولزى على الملك فى المشهد الثانى من الفصل الثالث :

My Sovereign, I confess your royal graces
Shower'd on me daily, have been more than could
My studied purposes requite, which went
Beyond all man's endeavours. My endeavours
Have ever come short of my desires,
Yet fill'd with my abilities : Mine own ends
Have been mine so, that evermore they pointed
To th'good of your most Sacred Person, and
The profit of the State. For your good graces
Heap'd upon me (poor Undeserver) I
Can nothing render but allegiant thanks,
My prayers to heaven for you; my loyalty
Which ever has, and ever shall be growing,
Till death (that Winter) kill it.

III.ii. 166–179

مولاى إننى أقر بالعطايا الملكية
وكل ما أمطرتنى به من النعمْ . . فى كل يوم
تلك التى تفوق ما أسطيع أن أناله مهما بذلت من جهود
بل فوق ما يسطيع أى فرد أن يحققه
أما إذا كانت جهودى قد أتت ببعض خير لى
فإن غايتى كانت ومازال تحقيق الذى

يعود بالخير العميم دائمًا
لشخصكم وما له من بالغ القداسة
وثروة البلاد كلها ! وفى مقابل المكارم العظيمة
تلك التى أغدقتموها (فوق من لايستحقها ، أنا الضعيف)
لا أستطيع غير الشكر والولاء
وكل دعوة من أجلكم إلى السماء
وإخلاصى الذى ما انفك ينمو ، بل وسوف يظل ينمو ،
بل ولن يفنيه إلا الموت (ذلك الشتاء) .

أما النموذج الثانى فهو حديث منفرد يقوله وولزى أيضًا على المسرح بعد إدراك انهيار آماله وضياع حظوته لدى الملك واقتراب النهاية المحتومة :

So farewell, to the little good you bear me. 350
Farewell ? A long farewell to all my Greatness.
This is the state of Man; today he puts forth
The tender leaves of hopes, tomorrow blossoms,
And bears his blushing honours thick upon him :
The third day, comes a frost; a killing frost, 355
And when he thinks, good easy man, full surely
His greatness is a–ripening, nips his root,
And then he falls as I do. I have ventur'd
Like little wanton boys that swim on bladders :
This many summers in a sea of Glory, 360
But far beyond my depth : my high–blown Pride
At length broke under me, and now has left me

Weary, and old with service, to the mercy
Of a rude stream, that must for ever hide me.
Vain pomp, and glory of this World, I hate ye, 365
I feel my heart new open'd. Oh how wretched
Is that poor man, that hangs on Princes' favours !
There is betwixt that smile we would aspire to,
That sweet aspect of Princes, and their ruin,
More pangs, and fears than wars, or women have; 370
And when he falls, he falls like Lucifer,
Never to hope again.

III.ii. 350–372

إذن وداعًا للقليل مما تضمرانه من كل خير ! ٣٥٠
وداعٌ ؟ بل وداع دائم للمجد والعظمة !
فذاك حال كل إنسان هنا ! فى يومه
قد ينشر الأوراق من آماله الغضة
ويشهد البراعم الحسناء فى غده
ويحمل الورود القانيات الوافرات فى مدارج الشرف
لكنه يرى الصقيع القاتل الثقيل قادمًا فى ثالث الأيام ٣٥٥
وعندما يظن وهو ناعمٌ فى الخير والهناء
أن الثمار أوشكت على النضوج ، وأن مجده لاشك قد أتى ،
يرى الصقيع ناخرًا جذورها
والجذع قد هوى كما أهوى أنا !
لقد نزلت سابحًا فى بحر مجد صاخب ٣٦٠

مثل الصغار السابحين يمسكون بالقِرَبْ

وكنت كل صيف أضرب الأمواج حتى اجتزت منطقة الأمان

وبعدها شهِدْتُ كبريائى مثل قِرْبَةِ الصغار تنفجرْ

ورُحْتُ أهوى منهكًا محطمًا من طول ما جَهِدْتْ

وتحتَ رحمةِ البحر العنيف إذ سيطوينى إلى الأبد !

يا زيف مجد العالم الخاوى وزيف الأبهة ! ٣٦٥

لشد ما أبغضكما ! إنى لأشعر أن قلبى يتفتّحْ

ما أتعس الذى يعيش عالةً على رضى الأمراءِ ما أفقرَهُ !

فبين بسمة نحاول اقتناصها وبسمة الرضى على المحيا

وبين وهدة السقوط والهلاك ألوان من الألم

وهوة من المخاوف التى تزيد عن هول الحروب أو مخاوف النساء

٣٧٠

فإنه عند السقوط مُبْلِسٌ كأنه إبليسُ قد ضاع الرجاء منه للأبد !

وقد وضـعت الأرقام هنا لمساعـدة القارئ على المقارنـة ، ويعلق هاريسون على الفرق بين النصين قائلاً إن 'النهايات الضعيفة' إيقاعيًا فى الحديث المنفرد الأخـير هـى مما يُزعـم أنه ينتـمى إلى أسلوب فلتـشـر أكثـر مما يميـز أسلوب شيكسبير، والمقصود بالنهايات الضعيفة استناد حـروف القافية على مقطـع غير منبـور مثـل 'left me' (٣٦٢) و 'hide me' (٣٦٤) و 'hate ye' (٣٦٥) – وهذا أيضًا مما قـاله سبيدنج ، ولكنه ليس من جـوهر حجته، إذ يسـتند جوهر الحجة على تفاوت 'المستوى اللغوى' بين أجزاء المسرحية ، وتفاوت الإيقاعات

أيضًا ، وهذا ما دفعنى إلى اقتباس هاتين الفقرتين اللتين يزعم سبيدنج نسبتهما إلى كاتبين مختلفين . ولن أفيض فى تحليل الإيقاعات فهى واضحة لمن يقرأ النص بصوت عال ، وأرجو أن أكون قد وفقت فى نقلها إلى العربية حتى يحس بها القارئ العربى ، ولكننى سأشير قبل العرض السريع لقضية الاشتراك فى الكتابة إلى أن طبعة بنجوين قد صدرت عام ١٩٥٨ أى قبل أن ينشر سايراس هوى Cyrus Hoy دراسته الرائعة (التى سنعود إليها) بأربعة أعوام والتى يثبت فيها بما لايدع مجالاً للشك أن الفقرة الثانية هى أيضًا من تأليف شيكسبير ، وأنا أدعو القارئ إلى تأمل بعض الملامح الأساسية فى أسلوب شيكسبير والتى يعرفها كل دارس مهما صغر حظه من التعمق فى علم الأسلوب ، وأهمها 'الاستعارة الممتدة' extended metaphor أى المبسوطة على مدى أبيات متعاقبة، فحديث 'وولزى' الأخير يستند إلى ثلاث استعارات ممتدة، الأولى هى استعارة الشجرة وهى تزهر وتثمر ثم يقتل الصقيع الثمر ، والثانية هى استعارة السباحة فى اليم والغرق ، والثالثة هى استعارة السقوط الذى لا أمل بعده ولا رجاء كأنه سقوط إبليس ، والملمح الآخر هو 'التعبير المضغوط' compressed الذى يقتضى البسط عند ترجمته ، وهناك ملامح أخرى مثل الاستعارة الخاطفة swift shifting وتردد الإيحاءات بالطباق المعنوى، وسوف نعود للصور الشعرية فيما بعد .

وفكرة الاعتماد على التحليل الأسلوبى أو ما يسمى بالأدلة الداخلية internal evidence للتوصل إلى معرفة المؤلف الحقيقى للنص فكرة ذات جاذبية لاتقاوم ، أو قل على الأقل إنها فكرة وجد فيها الباحثون مجالاً خصبًا للبحث والكتابة ، فانهمرت المقالات التى تؤيد تقسيم هيكسون أو تعارضه أو تدخل عليه بعض التعديلات ،وهذا هو ما شاع فى معظم الطبعات التى أشرت إليها فى البداية :

البرولوج	فلتشر
الفصل الأول ـ المشهد الأول والمشهد الثانى	شيكسبير
الفصل الأول ـ المشهد الثالث والمشهد الرابع	فلتشر
الفصل الثانى ـ المشهد الأول والمشهد الثانى	فلتشر
الفصل الثانى ـ المشهد الثالث والمشهد الرابع	شيكسبير
الفصل الثالث ـ المشهد الأول	فلتشر
الفصل الثالث ـ المشهد الثانى ـ السطور ١ - ٢٠٣	شيكسبير
الفصل الثالث ـ المشهد الثانى ـ السطور ٢٠٤ - ٤٥٩	فلتشر
الفصل الرابع ـ المشهد الأول والمشهد الثانى	فلتشر
الفصل الخامس ـ المشهد الأول	شيكسبير
الفصل الخامس ـ المشهد الثانى والمشهد الثالث والمشهد الرابع	فلتشر
الختام	فلتشر

وتبارى النقاد فى العثور على الأدلة النصية التى تؤكد مشاركة فلتشر فى كتابة المسرحية ، وإن كان معنى الأسلوب الذى يستندون إليه أقرب إلى ما نسميه بناء الجملة أو التركيب Syntax إذ كان مقصورًا على بناء عبارات بعينها ومدى تواترها فى أماكن معينة من النص ، مثل وقوع else فى آخر الجملة - "وإلا تأخرنا عن موعدنا" "We Shall be late else" (١/ ٣/ ٦٥)(*) أو التركيب ("and a [adjective] one") مثل (he makes a supper and a

---

(*) أى السطر ٦٥ من المشهد الثالث من الفصل الأول ، وهذا هو الاختصار المعمول به فى النصوص المسرحية الأصلية والمترجمة - بدلاً من ف ١/م٣/ ٦٥ .

great one - ١/٣/٥٢) الذى يماثل العامية المصرية « عامل حفلة - لأ وإيه ! حاجة هايلة ! » بدلاً من « عامل حفلة هايلة » أما مقابل هذا التركيب فى الفصحى فيتطلب التوكيد اللفظى : « يقيم حفلة عشاء ، حفلة رائعة ! » إلى جانب استخدام بعض الكلمات فى معان محددة مثل sink بمعنى ruin (الهبوط أو يهبط بمعنى يدمر أو الدمار) ولكن أهم الأدلة قاطبة هو تفضيل كل من الشاعرين لصيغ معينة من الأفعال المساعدة والضمائر ، فشيكسبير يفضل doth (does) وفلتشر hath (has) وشيكسبير يفضل كتابه them كاملة وفلتشر يحذف th ('em) وشيكسبير يفضل you وفلتشر يفضل ye - وقد أعد أ.ك. بارتريدج A.C. Partridge إحصاءً كاملاً لهذه الاستخدامات فى كتاب عنوانه « إعادة فتح ملف مشكلة هنرى الثامن » *The Problem of Henry VIII Reopened*, Cambridge أصدره عام ١٩٤٩، وأظن ظنًا أنه استفاد من كتاب أصدره ثورندايك فى أول القرن عن تأثير بومونت وفلتشر فى شيكسبير ، ونشر فى الولايات المتحدة ، إذ يعتمد اعتمادًا مبالغًا فيه على استخدام them الكاملة و 'em المبتسرة A.H. Thorndike, *The Influence of Beaumont and Fletcher On Shakespeare*, Worcester, Mass, 1901, pp. 24 - 44 .

والواقع أنه لايوجد ما يشين أو يعيب التعاون بين شاعرين وخصوصًا بين فلتشر وشيكسبير ، فقد تعاون الشاعران فى كتابة مسرحية طبعت عام ١٦٣٤ بعنوان **نبيلان تربطهما صلة القرابة** (*The Two Noble Kinsmen*) ويظهر اسماهما على الغلاف جنبًا إلى جنب ، كما اشتركا فى كتابة مسرحية مفقودة هى 'كاردينيو' *Cardenio* وإن كانا قد سجلاها باسميهما فى الشهر العقارى الانجليزى ، استنادًا إلى ما ذكره تشيمبرز فى كتابه الضخم "وليم شيكسبير : دراسة للحقائق والمشاكل" - مجلدان - عام ١٩٣٠ W.S. Chambers,

William Shakespeare : A Study of Facts and Problems وقد ورد ذكـرها فى المجلد الأول فى صـفحة ٥٢٨ وصـفحـة ٥٣٨ ، ومن ثم فليست مـسألة التعاون بالمسألة التى تتسبب فى أى حرج للشاعرين ، وكان كلاهما قادرًا على الإفصـاح عنهـا لو حدثت ، ولكن عـدم وجود أدلة تاريخـية لاينفى إمكانـية حدوثها استنادًا إلى الأدلة النصـية . أما القول بأن المسرحية قيمـتها الفنية أدنى من قيمة أعمال شيكسبير الأخرى ومن ثم فنسبتها إليه مشكوك فيها فهذا مردود عليه ، والخلاف بين النقاد فى تقدير قيمتـها الفنية يشهد بأن الحكم على القيمة الفنية لم يتبلور حتى الآن بصورة قاطعة ، ولايكفى حـتمًا لنفى نسبة المسرحية لشيكسبير .

ولنناقش الآن مبـدأ الاستناد إلى الأدلة النصـية . لقـد قام عدد من كـبار الباحـثين والنقاد بتفنيـد هذه الأدلة دليلاً دليـلاً . وكان أولهم وأكثـرهم اقناعًا أستاذ متخصص هو بيتـر ألكسندر الذى أصدر عام ١٩٣٠ كتابًا عنوانه مقالات ودراسات ، يتضـمن فصلاً عنوانه 'التاريخ الحدسى أو مسـرحية هنرى الثامن لشـيكسـبيـر' P. Alexander, *Essays and Studies*, London, 1930 وعنوان الفصل هو 'Conjectural History or Shakespeare's *Henry VIII*' ويدحض فيـه (فى الصفحـات ٨٥ - ١٢٠) الأدلة الإحصائيـة ، مبينًا أن خـصائص نهايات الأبيات وعلل الزيادة العروضية هى من خصائص أسلوب شيكسبير فى مسرحياته الأخـيرة ، وأنها كانت شائعة فى كتابات مـعاصريه فى أوائل القرن السابع عشر وغيـر مقصورة على فلتشر ، كما لاتخلو منـها الفصول والمشاهد المنسوبة إلى شيكسبـير . كما رصد الاختلافـات الكثيرة بين الأسلوب المنسوب إلى فلتشـر أى المستقى من مسرحـياته المنشورة ، وبين الأسلوب المسـتخدم فى المشاهد المـنسوبة إليه فى هـذه المسرحيـة ، وخصـوصًا كثـرة وجود العـبارات

الاعتراضـية هنا parentheses ، وعدم انتـهاء الجملة نحويًا بانتـهاء السطر أو البيت run - on lines ، والأمثال السـائرة ، والتكرار ، فوجد أنها أقل كـثيرًا فى مسـرحيـاته عنها فى الأسلوب المنسـوب إليه هنا . وقـد أكد ذلك كـتابٌ أصدره بولدوين ماكـسويل عام ١٩٣٩ وعنوانه 'دراسات فى بومونـت وفلتشر وماسـينجر' ، وخصـوصًا فى الفـصل الخاص باللـغة Baldwin Maxwell, *Studies in Beaumont, Fletcher and Massinger* كمـا أثبت باحـث آخر هو هاردين كريج أن اختلاف الأسلوب فى المسرحيـة قد يكون متعمدًا ، فالملاحظ كمـا يقول أن المشاهد التى ينسـبها البـاحثون إلى شـيكسبيـر هى المشاهد التى تتطلب أسلوبا ' رسمـيا' رفيـعًا ويتـسم ' بالفخـامة' ، بينما تنـسب المشاهد 'العاطفية' إلى فلتشر ! أفلا يمكن أن يغير الكاتب من أسلوبه تبعًا للمقتضيات الدرامية من مشهد إلى مشهد ؟ واسم كتابه هو :

Hardin Craig, *An Interpretation of Shakespeare* (New York, 1948)

كـما أنـنا إذا وسعنـا من نطاق النظرة إلى الأسلوب وجـدنا أن الكلمـات والعبارات المنسوبة إلى فلتشر شائعة شيوعًا كبيرًا فى كتابات تلك الفترة .

أما أقـوى دليل إحصائـى يورده الباحثـون على وجود أسلوب فلتـشر فى المسرحـية فـهو كثـرة ورود صيـغة "ye" و "em'" فى بعض أجزاء المسـرحية المنسوبة إليـه . ولكن فوكس Foakes يرد على ذلك قائلا إن تواترها فى هذه الأجزاء أقل من تواترها أسـلوب فى فلتشر المعتاد . فهـو يضرب مثلاً بمسرحية كتبـها فلتشر فى الفتـرة نفسها تقريبًا (١٦١٠ ؟ - ١٦١٣) واسـمها 'بندقة' *Bonduca* إذ يجد فى نص طبـعة ' الفوليو' من هذه المسرحيـة المنشور عـام ١٦٤٧ عـددًا لايقل عن ٣٤٩ من صيغة "ye" وعدم ورود "you" تقريبًا . أما

فى المشهـد الأول من الفصل الرابع المنسـوب إليه فى '**هنرى الثامن**' فنجد أن "you" ترد ١٢ مـرة ، و "ye" ثلاث مرات ، وأن الأخيرة لاترد إلا فى أربعة سطور يقولها 'السيد الثالث' (انظر النص) فى وداع سيدين آخرين (١١٣ - ١١٦) . ويفسر فوكس ذلك قائلاً إن تغير هذه الصيغ قد يعزى إلى تدخل من جانب الكتبة أو النُّساخ أو رجال الطباعة . وتشهد على ذلك مسرحية '**بندقة**' نفسـها ، إذ يوجد مخطوط لهـا ما يزال فى حالة جـيدة ، ويختلف اختـلافًا شاسعًـا عن طبعة ' الفوليو' ، ويبدو أن المحاسـب الخاص بفرقة التمـثيل التى قدمت النص كـان قد أعده لأحد هواة جـمع المخطوطات ، أو ربما كان ملقن الفرقـة هو الذى أعده ، وفقًا لما يقـوله فوكس Foakes ، وفى هذا النص نجد أن كلمة "you" هى المستخدمة بدلاً من 'ye' فى طبعة الفوليو فى ١٧٢ حالة، وقـد نشـر النص فـعلاً عـام ١٩٥١ (وإن لـم أطلع عليه) وهـو من تحقـيق و.و. جـريج و ف.ب. ويـلسـون W.W. Greg and F.P. Wilson ، فى سلسلة طبـعـات جمـعـية مـالون Malone Society Reprints ، وأشار إلى المخطوط باحث يدعى ر.س. بولد فـى أهم مرجع ببليـوغـرافى عن أعمـال بومونت وفلتشر وهو

R.C. Bold, *Bibliographical Studies in The Beaumont and Fletcher Folio*, 1938

وحسبما يقول 'بولد' فإن استبدال هذه الألفاظ فى الفوليو يقل قليلاً عما يذهب إليه فوكس Foakes . ووفقًا لعادة رجال الطباعة من التدخل فى النص بالتعديل والتبديل فقد يكون نص **هنرى الثامن** الذى لم يصل إلينا إلا فى طبعة ' الفوليو' قد امتـدت إليه يد المصحح أيضًا ، مـثلما حدث فى حالة مسـرحية **ريتشارد الثالث** ، على نحو مـا أوضحت أليس ووكر فى كتـابها « المشكلات

النصيـة فى طبعة الفـوليو « Alice Walker, *Textual Problems of the First Folio* الصادر عام ١٩٥٣ ، إذ استعاض المحرر بكلمة 'you' عن كلمة 'ye' ، وهو ما حـدث أيضًا فى مسرحـية **طرويلوس وكريسـيدا** ، مما يؤكد تفـضيل محررى طـبعة ' الفوليو' لصورة "you" وقيـامهم بوضعـها مكان "ye" فى مسرحيات أخرى كذلك ، يحتمل أن يكون من بينها نص **هنرى الثامن** ، كما يذهب إلى ذلك فـيليب ويليامـز الابن فى مقـال نشره فى مـجلة *Studies in Bibliography* عام ١٩٥٦ (وأشار إليه فوكس Foakes) . ومن المحتمل أن صيغ الكلمـات الأخرى التى يستند إليهـا الباحثون فى تحديد مـؤلف النص قد تعرضت للتغيير هى أيضًا . إذ تذكـر أليس ووكر فى صفحة ٦٢ من كتابها أن ناشرى طبعة الفوليو كانوا يستخدمون 'has' و 'does' مكان 'hath' و 'doth' فى طبعة الكوارتو ، وتضـيف قائلة إن العكس قد حدث عند طباعة مـسرحية **عطيل** ، فى طبعة الكوارتو استنادًا إلى مخطوط لايرقى إليه الشك .

وأعتـقد أن القارئ العـربى سوف يكتفى بهـذا القدر من الدحض 'للأدلة الداخلية' (المستمدة من الأسلوب) وهـو دحض يستغرق مئات الصفحات فى الكتب المتخـصصة ، ولننظـر الآن إلى الأدلة الخارجيـة . فطبعة الفـوليو التى تتضـمـن النص لم تـورد أى مسرحـية اشترك مؤلـف آخر مع شيكسبـير فى كتابتـها ، والناشران هما همنـجز وكونديل Hemings and Condell المشهود لهما بالصـدق وتحرى الدقة ، وهما يؤكدان فى تقـديمهما للطبعة أنهـا تتضمن مسرحيات شيكسبير "كاملة غير منقوصة وعلى نحو ما أبدعها قلمه" ولم يقل أحد فى أى وقت سابق على النشر باحتمال مشاركة أحد فى كتابة أى مسرحية فى المجموعـة ، والخـصائص الأسـلوبية العـامة كما رأينا فى البـداية تشير إلى مؤلف واحد .

ويقدم فـوكس Foakes دليـلاً دامغًـا على أن للنص مـؤلفًا واحـدًا وهو استعمـال المصادر التاريخية . فالمعروف أن شـيكسبير اعتمـد فى المسرحية على كتاب تاريخ انجلترا الذى كـتبه هولنشد Holinshed وعلى المؤرخ الآخر فوكس Foxe وكـذلك على حوليـات 'هالى' ، والنص يدل على الدقـة الشديدة فى اتباع المـصادر ، والقدرة الفـائقة على ضـغط الحوادث ، واقـتبـاس كثـير من العبـارات بل والأقوال منها . فـإذا افترضنـا وجود مؤلفين اثنين ، فـيجب أن نفترض اتفاقهما التام فى اختيار الفقرات التى تصور أحداث المسرحية ، وتطابق وجهـة نظرهمـا فيمـا يتعلـق بالضغط الزمنى والتنسـيق الدرامى . وهذا شـبه محال، بل إن أسلوب فلتشـر فى الكتابة التاريخية يختلف اخـتلافًا بيّنًا ، ففى مسرحية '**بندقة**' لايستخدم فلتشر أى اقتباسات مباشرة من كتاب هولنشد بينما تحفل مسرحية **هنرى الثامـن** بهـذه الاقتباسـات (انظر كتاب بولدوين ماكسويل المشار إليه آنفا) .

وأما النظرية البديلة القائلة بأن شيكسبير لم يكمل المسرحية وتركها لصديقة فلتشر حتى يكملها بدلاً منه فمن الصعب قبولها بسبب ما تتسم به المسرحية من دقة فى اختيار المادة المستقاة من المصادر وإعـادة ترتيبها زمنيًا ودراميًا على امتداد الفصول الخمسة .

ويذهب جمهور النقاد إلى أن « وحدة التصور والروح » تشهد بأن الكاتب مؤلف فرد ، فالشخصيات الرئيسية تقدم إلينا لأول مرة فى المشاهد المنسوبة إلى شيكسبير ، وهذه المشاهد أيضًا هى التى ترسم بناء الحبكة ، وتشير إلى المشاهد الأخرى ومـا يقع فيـها (وبعضـها منسـوب إلى فلتشر) . والـعديد من هذه المشاهد التى يظن نسـبتها إلى فلتشـر تتضمن بعض "السادة" الذين يتحدثون

عما وقع أو مـشاهد احتفال (مثل مـأدبة الكاردينال وولزى ومشهد التعـميد) وهى مشاهد تتطلب أسلوبًا يختلف مثلاً عن مشـهد محاكمة كاثرين (الملكة) ومن ثم فقد ترجع الاختلافات اللغوية إلى ضرورة تغيير الأسلوب وفقًا لطبيعة المشهد . أمـا من زعموا (مثل سـبيدنج) بأن المسرحـية تفتقر إلـى التماسك والوحـدة فـقد رد علـيهم كـبـار الشـعـراء والأدباء ، وأهمهـم سوينبـيـرن Swinburne فى كتابه *A Study of Shakespeare* (دراسة لشيكسبير - ١٨٧٩ والطبعـة التى بين أيدينا هى الطبـعة الرابعة الصـادرة عام ١٩٠٢) والدكـتورة كارولاين سبـيرجون فى كتابـها الشهير الصـور الفنية عند شيكسبـير ودلالاتها Caroline Spurgeon, *Shakespeare's Imagery and What It tells us* (١٩٣٥) إذ لفتت الأنظار إلـى الوحدة التى يتسم بهـا بناء الصور الشـعرية فى المسرحية كلها مما يقطع بأن مؤلفـها واحد ، فقد وضعت يدها على أهم ملمح من ملامح هذه الصور وهو الحركة المادية العنيفة التى تهب اللغة طابعًا ديناميكيًا يعوض المسرحيـة عما تفتقر إليه مـن الحـركة الجسدية ، " فالتفاعلات" داخل نفوس الـشخصـيات ، والمؤامـرات التى يحـوكـها "وولزى" ، ومحاكـمات الأشخاص وسقوطهم ، يقـدمها شيكسبير إلينا من خلال الحـركة ، وخصوصًا من خـلال صورة تحـمّل الأعـباء والخـلاص منهـا أو من خلال صـور حركـة السقوط . فالذى يبدأ فى المشاهد الافتتاحية يستمر فـى المشاهد التاليـة - إذ نقرأ فـى البداية عمن « دبر الاحتفال العظيم . . . من صوّر جسده وفصّل أطرافه » (١/١/٤٥-٤٦) وعن المعـاهـدة التى كـالكأس التـى « لم تحـتـمل التـنظيف فانكسرت » (١/١/١٦٨) وعن « قطع الحماية عن الرعايا » وعما « يتسلل إلى قلب الضمـير » (٢/٢/١٧) ثم نجـد الصـور نفـسها فى مـشهـد منسوب إلى فلتشر ، حيث توصف مؤامرات وولزى على النحو التالى :

لقد نجح فى فصم عرى التحالف
بيننا وبين امبراطور اسبانيا (ابن شقيقة الملكة)
كما نجح فى النفاذ إلى أعماق قلب الملك ، وبث فيه
التشكك من صحة زواجه ، وغرس فيه بذور الأخطار
وآلام الضمير . . .　　　　٢/ ٢/ ٢٤ - ٢٧

كما تصطبغ الصور بصبغة المرض ، وتنتشر فى طول المسرحية وعرضها ، وهى توحى بالظلم أو بالمعاناة النفسية والذهنية ، كما تنتشر صور الشمس والضياء ، والشمس ترتبط عند شيكسبير ، كما هو معروف ، بصورة الملك ، إلى جانب صور البحر والعواصف وتحطم السفن ، وهى الصور ذات الحيوية الدافقة فى المسرحية ، وهى التى تبرز أهم اللحظات الدرامية فيها فى جميع أجزائها. والدكتورة كارولاين سبيرجون تورد العشرات من هذه وتلك جميعًا .

أما فوكس Foakes فإنه يتصدى للتشابه الكبير بين روح التعاطف والرحمة التى تسود هذه المسرحية ومسرحيات شيكسبير الأخيرة مثل **العاصفة** *The Tempest* **وحكاية الشتاء** *The Winter's Tale* وغيرهما . وينتهى من ذلك إلى أن يقول :

« إن روح فلتشر غريبة عن ذلك تمامًا ، ومن ثم فلدينا من الأسباب ما يبرر الإبقاء على مسرحية **هنرى الثامن** حيث وضعها هيمنج وكونديل ، أى بين مؤلفات شيكسبير . أما إذا كان لابد من الزج باسم فلتشر فأعتقد أن نصيبه أقل كثيرًا مما يوحى به التقسيم المعتاد للفصول والمشاهد ، وأقصى ما يمكن أن ينسب إليه هو مشهد أو مشهدان » .

مقدمة طبعة **آردن** (١٩٥٥) - صفحة ٢٥

وفى طبعـة عام ١٩٦٢ أضـاف فوكس Foakes إلى المقدمـة أحدث الآراء المبنية على الدراسات اللغـوية والأدبية الحديثة ، خصوصـًا الدراسة التى أعدها سايراس هوى Cyrus Hoy وسبـقت الإشارة إليهـا وقام فيـها بتحليل جـميع أعمال فلتشر وأساليب الطباعة (وما يعتريها من تصحيح أو تحريف للنصوص) وانتهى فيـها إلى أن دور فلتشر فـى بعض المشـاهـد التى جـرى العرف علـى نسبتهـا إليه ، (وهـى ١/٢ ، و ٢/٢ ، و ٢/٣ من السطر ٢٠٣ حتى آخر المشهد ، و ١/٤ و ٢/٤) لم يزد على "تنقيح فقرة كتبـها شيكسبير أو إدراج فقرة من تأليفه فى سياق شيكسبيرى" . وهو ينتهى إلى أن السمات المميزة للغة فلتشر يمكن رصدها بسهولة فى المشاهد التالية : ٣/١ و ٤/١ و ١/٣ و ٢/٥ و ٣/٥ و ٤/٥ ، ومن ثم فهو يقلل عدد المشاهد المنسـوبة إلى فلتشر إلى أكثر من النصف من حيث عـدد الأبيات . ويختـتم فوكس Foakes هذه الإضافة قائلاً : ليت المناقـشة حول تدخّل فلتشـر فى النص تتوقف عند الحكم الرزين الذى انتهى إليه 'هوى' Hoy وهو :

> من يبحث عن حقيقة نصيب فلتشر فى **هنرى الثامن** سيجده حيث توجد الحقـيقة بصفة عامـة أى فى مكان وسط بين الآراء المتطرفة التى ورثناها عنهـا ، فالذين ينكـرون وجوده تمامًا فـى المسرحـية مـخطئون ، لأنه لاشك مـوجود ، والذين ينسـبون إليـه عشـرة مشاهد ونصف مشهد من مشاهد المسرحية الستة عشر مخطئون إذ ينسبون إليه أكثر مما يستحق .

(مقتبسة من مقدمة **آردن** - صفحة ٢٧ و ٢٨)

والطريف أن أحدث طبعة للمسرحية (١٩٩٠) وهى طبعة نيوكيمبريدج قد حققت أمنية 'فوكس' ، إذ يختتم 'جون مارجسون' مناقشته للموضوع بإعلان اتفاقه مع 'هوى' !

وقد قدمت المسـرحية على المسرح لأول مـرة فى ٢٩ يونيو عام ١٦١٣ ، وهذا تاريخ مـهم لأنه تاريخ الحـريق الذى شب فى مسـرح الجلوب Globe ، وكان سبب الحريق فـيما ذكره المؤرخون هو إطلاق عيار نارى من مـدفع صغير يشبه مدفع الهاون إما فى حفل الكاردينال وولزى فى آخر الفصل الأول أو فى حفل التـعميـد فـى المشـهد الأخير ، ولما كـانت المسرحيـة توصف آنذاك بأنها جديدة ، فقد اتفق جمهور النقاد والبـاحثين على أنها كتبت إما فى أواخر عام ١٦١٢ أو أوائل عام ١٦١٣ ، ولغة المسـرحية كما سبق أن ذكـرنا تتفق مع لغة مسرحيات شيكسبير الأخيـرة ، أو ما يسمى بالرومانسات الأخيرة . ومصادرها معروفة ، فـهى كما سبق أن ذكرنا تاريخ انجلترا الذى ألفـه هـولنشد ، وكتاب تاريـخ آخـر من تأليف فوكس Foxe ، وشيكسبيـر يتبع ما أورده هذان بصورة بالغة الدقة ، ويكاد يكرر العبـارات التى أوردها حرفيًا فى الحوار ، ولن نقف طويلاً عند تاريخ التـأليف أو المصـادر بل سنورد لمحـة عن مواقف النقـاد من النص ، وهى مواقف تتسم بالتعارض والتناقض أحيانًا .

وأول ملاحظة مهـمة هى أن المسرحيـة عانت من التجاهل النقـدى بسبب قضيـة مشاركة فلتشـر ، أى بسبب تحول الاهتمام مـن النص إلى التساؤل عن مؤلف النص ، ولم يبـدأ الاهتمام الحقـيقى بها باعـتبارها نصًا دراميًا إلا فى النصف الثـانى من القرن العـشرين عندمـا تبلورت المذاهب النقدية فى الـنقد الانجليزى نفـسه بفضل مـا أتى به النقد الجـديد أولاً من ضرورة التركـيز على النص ، وبسبب دراسة الأستاذ فوكس Foakes فى مقدمتـه لطبعة آردن والتى تقع فى نحو ٢٥ صفـحة (١٣ ألف كلمة) وتقترب كثـيرًا من المنهج البنيوى بسبب تركيزها على البناء الذى يتميز بالتناقضات أى 'المقابلات' أو التعارضات

الثنائية ، وإن كانت لاتغفل الجوانب الأخرى للنص . وفى التسعينيات خرجت علينا بعض الدوريات المتخصصة فى شيكسبير بمقالات مناهضة للمنهج البنيوى ولكنها تقر بفضل فوكس Foakes ، وأهمها فى رأيى دراسة رنة المفارقة والتورية الساخرة فى المسرحية باعتبارهما من سمات الحداثة فى نص لابد من اعتباره عرضًا مسرحيًا فى المقام الأول ، وهى الدراسة التى كتبها جون مارجسون John Margeson فى صدر طبعة عام ١٩٩٠ من المسرحية فى سلسلة نيوكيمبريدج شيكسبير . ويمكن القول بصفة عامة إن الاتجاه النقدى الحديث أصبح يرى جوانب إيجابية فى المسرحية لم يسبق للنقاد رصدها .

كان من أوائل من كتبوا عن المسرحية باعتبارها نصًا دراميًا ناشر الأعمال الكاملة لشيكسبير نيكولاس رو Nicholas Rowe فى طبعة عام ١٧٠٩ ، وكان ذلك بطبيعة الحال فى عصر الكلاسيكية الجديدة ، فاهتم مثل معاصريه بالإشارة إلى عدم محافظة الكاتب على 'الوحدات' الدرامية الثلاث - وخصوصًا وحدتى الزمان والمكان ، واعتبر ذلك عيبًا من عيوب المسرحيات التاريخية بصفة عامة ، ولو أنه امتدح مبدأ المواءمة أو اللياقة decorum أى اتفاق صفات وأفعال وأقوال كل الشخصيات مع مكانتها فى المجتمع والعالم ، وهو مبدأ أساسى من مبادئ الكلاسيكية الجديدة (طبعة ١٩٦٧ - الصفحتين ٢٩ - ٣٠) ويعرب رو عن إعجابه بشيكسبير بسبب عدم إظهاره عيوب الملك هنرى الثامن على نحو ما رواه المؤرخون ، قائلاً إن ذلك يدل على احترام الكاتب لذكرى الملكة إليزابيث (ابنة الملك) كما يمتدح دون إسهاب تصوير الكاتب لأحزان الملكة كاثرين ، قائلاً إنه يثير 'الشفقة' و'الخوف' ويقترب بمصيرها من مصير المأساة ، وذلك أيضًا من أصول الكلاسيكية الجديدة التى

ازدهرت فى القـرن الثامن عـشر . وكان الإعـجاب الذى أثارتـه عروض هذه المسرحيـة على امتداد القرن الثامن عـشر - أساسًا بسبب ثراء المناظر وجـمالها pageants - كفيلاً بلفت نظر كبار النقاد إليها ، وربما أثرت العروض فى تقدير قيـمتهـا الدرامية ، مـع التركيـز على مأساة الملكة كـاثرين ، إذ ركز الدكـتور صمويل جـونسون Samuel Johnson على مصـيرها المأسوى واعتـبرها البطلة الحقيقـية . وقد تنبه إلى سر نجاحـها الجماهيرى ، وامتـدح المشاهد التى تظهر فيها الملكة وأثنى بصفة خاصـة على المشهد الثانى من الفصل الرابع ، قائلاً إنه "يفوق أى جزء آخر من مآسى شيكسبـير ، بل وربما كان أفضل من أى مشهد كتبه أى شاعر آخر" (طبعة ١٩٥٧ من ملاحظات حـول شيكسبير *Notes to Shakespeare* الصفـحتين ٦٥ - ٦٦) وهـو يـثنى بصفـة خاصة علـى الرقة والشفقة والتعاطف فـى هـذا المشهد ، لكنه يستثنى سائر المسرحية من إطرائه .

وظلت آراء جونســون سائدة حتى جاء سـبيدنج فى منتصف القـرن التاسع عشر وألقى بقنبلة التشكيك فى نسبة المسرحيـة إلى شيكسبير على نحو ما أشرنا آنفًا ، فأثار لدى نقاد العصر الفكتوري نوازع القيم 'الأخلاقية' أى البحث فى القيمة المعنوية أو الروحية لأحداث المسرحيـة ، خصوصًا بسبب عبارته الشهيرة التى تقول "إن المسرحية تكاد لاتقدم إلا الانتصار النهائى للشر" ، ومن ثم فهو ينعى على المسرحية الافتقار إلى التـماسك المعنوى فى بنائها (أو عدم التماسك الأخلاقى incoherent moral design) وقـد رد على ذلك بيتـر ألكسندر فى الفصل المشار إليه من كتابه الصادر عام ١٩٣٠ (**مقالات ودراسات**) قائلاً إنه يرى الكثير مما يسـتحق المديح سواء فى بناء المسرحية أو فى تطوير مـوضوعاتها الأساسية ، وهو يـفصّل القول فى نمط بناء المسرحية من خـلال البناء الموسيقى الذى يعتمد على' التكرار والتنويع' repetition with variation أى إن 'الثيمة'

(خيط الفكرة) تتكرر على امتداد المسرحية فى صور مختلفة ، أى فى صور تتنوع لتؤكد الجوهر ، بمعنى أن العرض (بفتح الراء) الذى يمثله العرض (بتسكين الراء) يتغير ولكن الجوهر واحد وهو فى رأيه ' موضوع' أخلاقى ، يتمثل فى تفاهة العظمة الدنيوية وبهرجها الزائف ، ويضيف ألكسندر إن ما يوحّد المسرحية حقا هو هذا العنصر البنائى إلى جانب جو التسامح والتعاطف الذى يسود المسرحيات الرومانسية عند شيكسبير . وأظن ظنا أن ألكسندر كان يرد على آرثر سايمونز Arthur Symons أيضًا ، الذى ردد ما قاله سبيدنج تقريبًا فى تقديمه للأعمال الكاملة لشيكسبير التى حررها الممثل الذائع هنرى إيرفنج Henry Irving وف.أ. مارشال F.A. Marshall عام ١٩٢٢ .

ووصل هذا التراشق النقدى فى النصف الأول من القرن العشرين إلى ذروته فى عام ١٩٤٨ عندما أصدر الأستاذ ولسون نايت Wilson Knight كتابه الشهير "إكليل الحياة" *The Crown of Life* الذى يعلن فيه أن هذه المسرحية أحد الأمثلة الرائعة على فن شيكسبير ، وأنها تستعين بالحفلات الصاخبة ، والمناظر الخلابة، والطقوس الجذابة، لإضفاء معانٍ وطنية ودينية على الحدث ، وأن الملك رمز الانتماء الوطنى والقوة الدينية معًا ، وأن هذه المعانى تتجسد فى حركة المجموعات على المسرح وما يصاحبها من موسيقى واستعراض للأبهة والفخامة . وهو يبالغ كثيرًا فى تفسير دلالة هذه الحفلات والشعائر فيعتبرها دليلاً على جلد الأمة وطموحها وآمالها العريضة ، ولذلك يزعم أن المسرحية تتضمن أكبر وأصدق قدر من المشاعر الدينية ، فهى تركز على معنى العدالة والحق والخير والإحسان ، ومن ثم فهى جديرة باحتلال الذروة بين المسرحيات التاريخية والرومانسية . ولكن هذه المبالغة سرعان ما أحدثت رد فعل عنيف من جانب بعض محررى طبعات شيكسبير ممن أثروا تأثيرًا كبيرًا فى الفكر

النقـدى ، وأهمـهـم فوكس (Foakes) وماكـسويل ، الأول فى طبـعة آردن (١٩٥٥) (حـيث تجـاهل تمامًـا آراء ويلسون نايـت) والثانى فـى طبعـة نيـو شيكسـبيـر (١٩٦٢) حيث ركز فى مـقدمـته على نقاط الضـعف الدرامى فى المسرحية .

وسوف نعود إلى فوكس Foakes فيما بعد بسبب مقـدمته البالغة العمق ، بينما نعرض عرضًا سريعًا لآراء الآخرين . أما مـاكسويل فيقول فى مقدمته إنه مقتنع بأن فلتشر قد شارك مشاركة كبيرة فى تأليف النص ، لأن نجاح المسرحية الجماهيرى لاينفى أن النص يفتـقر إلى ما يسميه "بالحياة الدرامية الحقة" وهو يعرف هذه الصـفة بأنها " الأهمية" أو "الضخـامة" momentousness وهى كلمة غـامضة أقصى مـا يفهم منها هو الحكم على قـيمة ما يقـدم من أحداث وأقـوال ، وهو يشيـر إلى أن "المادة" substance هزيلة بسـبب عدم وضـوح تصوير الملك باعتبـاره الشخصية الرئيسيـة ، مدللا على أن الكاتب يقدم صورًا متباينة له دون أن يحسم موقـفه من أى من هذه الصور ، والنتيجة فى رأيه أن المسرحـية تفتقر إلـى وضوح الاتجاه direction (أو ما نسـميه اليوم بالتـوجه orientation) ومن ثم تفـتقـر إلى المعنى العـام . وهو لايعفى المشـاهد التى تصـور الملكة كاثرين إذ يقـول إنها مـشاهد تفـتقـر إلى "انطباع مـوحد" بل ولايظهر فـيها "انطباع مركب" على الإطلاق . وهذا هو أيضًا مـا ينتهى إليه كليفورد ليتش Clifford Leech فى كتابه عن المسـرحيات التاريخية لشـيكسبير الذى صدر فى العام نفـسه ، إذ يقول فى صفحة ٣٤ إن القـارئ لايشعر أثناء سـيـر الأحداث أنـه يسيـر فى خط مـحـدد نحـو "رؤية مـركبـة complex للشخـصيات والموقف ، أو أنه ينفذ إلى مـستويات متـزايدة العمق من الدلالة والمعنى ، ويبـدو ، بدلاً من ذلك ، أن الكاتب يقدم إلينا سلسلة مـن البدائل

فى النظر إلى الشخصيات والمواقف'' وأن تنوع الاستجابة للمسرحية مرده عدم إحكام النظرة إلى المادة ، أى عدم التيقن مما يريد الكاتب توصيله ، وهو ما يميز ''طريقة'' أو ''فن'' (manner) فلتشر .

ويخرج القارئ من قراءة الفصل الخاص بهذه المسرحية فى الكتاب المذكور وهو *William Shakespeare, The Chronicles* بأن ليتش ''يتوقع'' أو ''يطلب'' من الكاتب إعلاء شأن قيمة إنسانية محددة دون إفساد المسعى بالتطرق إلى ضعف البشر الذى يحول دون تحقيق تلك الغاية ، فهو يشير إلى خيط الفكرة السائدة وهى أن الزمان حُوّل قُلّب ، وأن أمجاد الدنيا زائلة ، ويوحى فى كتابه بأن هذا ''الموضوع'' كان يقتضى من الشاعر أن يؤكد الحركة الداخلية فى الدراما نحو غاية أسمى ، ولكن الكاتب فى رأيه يضيع جهوده فى تصوير المؤامرات الخسيسة والصَّغَار والأحابيل وخداع النفس . وينتهى من ذلك إلى أن المسرحية ''لاتتضمن أى درس سياسى'' لأن الشخصيات الخيّرة والشريرة تنتهى إلى المصير التعس نفسه ! (صفحة ٣٩) .

والذى أدهش له أن يخرج الناقد بهذه النتيجة بناءً على ما ذكره من أسباب ، فالمسرحية التاريخية تختلف تعريفًا عن المسرحية الخيالية فى أنها تخضع للحقائق التى يعرفها الجمهور ، وهى تقدم '' مادتها'' فى إطار رؤية تفسيرية للتاريخ ، وكل تاريخ لايعدو أن يكون تفسيرًا ، والتفسير الذى يقدمه شيكسبير هنا ، مهما تكن إضافات فلتشر أو تدخلاته ، هو انهيار ''النظام القديم'' حسبما يسميه الأستاذ جيفرى بولو Geoffrey Bullough وبداية العصر الجديد أى حكم أسرة تيودور وما يرمز له الملك هنرى الثامن من الوعد بحكم الملكة إليزابيث وقد عاش شيكسبير معظم سنىّ حياته فى ظل هذا الحكم . ويرجع خطأ النقاد الذين يعيبون على النص افتقاره إلى مزايا التراجيديا

الشيكسبيرية المألوفة (فى **هاملت** مثلاً أو فى **ماكبث**) هو أنهم كانوا يريدون بطلاً تراجيديًا أوحد ، يتعاطفون معه أو يدينونه ، أى حدثًا دراميًا محددًا تلتقى فيه نوازع الشخصيات وينتهى إلى ذروة تقليدية (كلاسيكية) ، بدلاً من رؤية ما يرمى إليه الكاتب من خلال ما كتبه ، أى من خلال ما يبدو أن النص يريد أن يقوله .

والمدخل الصحيح فى رأيى هو مدخل فوكس Foakes الذى لايربط المسرحية بالمسرحيات التاريخية أو التراجيديات التى سبقتها بل بالمسرحيات الرومانسية ، إذ إن المعنى الدرامى فى هذه المسرحيات لاينبع من عمق تحليل شخصية معينة ، بل من البناء العام للمسرحية والقوى المحركة لها ، والبناء هنا فى رأيه يعتمد على المحاكمات الأربع - لدوق بكنجهام ، وكاثرين ، وولزى ، وكرانمر - وهى محاكمات تمثل مراحل متعاقبة على طريق 'الوعى' العام ، أو الرؤية العامة لذلك العصر ، والتى تؤدى إلى ثبات النظام الذى أوجد انجلترا الحديثة . وسلسلة التوازيات والتناقضات الثنائية سلسلة مُحْكمة يستعيض بها شيكسبير عن الأحداث الفردية التى يقوم بها أبطال تراجيديون كلاسيكيون ، والبناء هنا إذن هو البطل ، مثلما كان البناء هو البطل فى **روميو وجوليت** ثم فى **حلم ليلة صيف** ، فهو بناء يعتمد على التقابلات والتعارضات ثم ينتهى بالتوافق . ويسهب فوكس فى تحليل هذه المحاكمات ، والحديث عن دور أبناء الشعب فى المسرحية ، من خلال شخصيات السادة gentlemen والجمهور غير المثقف ، وكذلك دور المناظر والحفلات التى تنهض بأدوار طقسية لاغنى عنها فى هذا اللون من المسرح .

وقد أكد هذا الاتجاه الحديث أولاً هاورد فيلبرين Felperin فى كتابه عن رومانسيات شيكسبير عام ١٩٧٢ ثم عاد ألكسندر ليجات Leggatt فأفرد له

مقالاً مهما عام ١٩٨٥ ، وكل منهما يركز على الطابع الأسطورى الذى يضفيه شيكسبير على التاريخ الانجليزى فى هذه المسرحية ، وهو طابع يقترب بالمسرحية كما يقول فيلبرين من الأبنية القصصية أو السردية القديمة ، وكان مثله الأعلى هو الكتاب المقدس ، وهو يمثل له أيضًا "كوميديا إلهية" تتضمن ألوانًا من العذاب والمعاناة حتى تصل إلى إحقاق الحق والعدالة والسلم ، أو كما يقول "الحرية الروحية" ، فكل سقطة تراجيدية فى المسرحية هى ، من هذا المنظور ، سقطة حميدة لأنها تؤدى إلى تحرير النفس من الالتصاق بالأرض وعرض الدنيا الزائل ، وهو يقيم توازيا بين هذه المسرحية و' مسرحيات الأخلاق' أى morality plays فى العصور الوسطى ، فيرى أن وولزى يلعب دور الشيطان (ابليس) أو الرذيلة ، وأن كاثرين تلعب دور ملاك الخير مع زوجها هنرى الذى يمثل هنا دور ملك خاطئ سبقه عدد كبير من الملوك الخطاة . وفيلبرين إذن يحاول تحديد 'النوع الأدبى' الذى ينبغى قبوله حتى نقبل هذه المسرحية ، فالسرد عنصر قصصى ، والاحتفالات عنصر رومانسى أساسى ، ولكنهما يتزاوجان هنا فى بناء درامى ، وإن كان ذلك الناقد يأخذ على شيكسبير التزامه الشديد بالسياق التاريخى الحقيقى ، ويأخذ عليه فى الوقت نفسه حذف الكثير من ذلك التاريخ (صفحة ٢٠٩ من كتاب *Shakespearean Romance* - ١٩٧٢) .

وقبل أن نعرض لغير هؤلاء من النقاد يجب أن نذكر أن هذه المسرحية التاريخية كانت تتضمن أحداثًا وشخوصًا معروفة للجمهور ، ولذلك فإن مقال ليجات يقيم وشائج وثيقة بين الرؤية المثالية للتاريخ التى تضمنت نبوءة كرانمر فى آخر المسرحية ، والواقع الأليم الذى تصوره الأحداث والشخصيات ، وهو يقول إن تحقيق الرؤية فى عصر جيمس الأول (وقت كتابة المسرحية) كان أول

معنى له هو 'فصل الكنيسة عن الدولة' أو إقامة علاقة جديدة بينهما ، وهذا هو المعنى الذى كان الجميع يعرفونه آنذاك ولايعرفه قراء العربية، مما يتطلب بعض الشرح والتفصيل. وعنوان مقال ليجات هو (1985) "Henry VIII and the Ideal England, *Shakespeare Survey*. 38" .

تقع أحداث المسرحية فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى ، وفى وقت لم تكن دول أوربا الحديثة قد اتخذت طابعها وحدودها المعروفة ، بل ولم تكن اللغات الأوربية الجديدة قد تبلورت بصورة كاملة ، وكانت اللغة الإنجليزية تسير فى طريق التطور من لغة تشوسر المتوفى عام ١٤٠٠ حتى وصلت إلى النضج فى أيدى كتاب آخر القرن وعلى رأسهم شيكسبير . وكان الجو العام هو ما يوصف بجو التحول من تراث العصور الوسطى إلى عصر النهضة ، وقد يجد البعض أن ذلك تاريخ متأخر للنهضة ، ولكن هذا هو ما يذهب إليه المؤرخون المحدثون ، خصوصًا تريفيليان صاحب التاريخ الاجتماعى لانجلترا ، وهو الكتاب الذى استعنت به أكثر من غيره فى رسم صورة فترة المسرحية .

ولما كنت أومن ، مثل ليجات ، بأن جوهر المسرحية لايكمن فى تصوير مأساة فرد بعينه ، ولا فى علاقة الشخصيات بعضها بالبعض ، بل فى الجو العام الذى يملى الأحداث إملاءً ، ويرهص فيه بالتحول من سلطة البابا ، رأس الكنيسة الكاثوليكية ، إلى سلطة الملك الذى أصبح رأس الكنيسة الانجليزية ، ومن ثم التحول من الكاثوليكية تدريجيًا إلى البروتستانتية فى عصر خلفاء الملك هنرى الثامن ، فأعتقد أن الفهم الكامل للمسرحية لن يتأتى إلا بإدراك الواقع التاريخى للشخصيات الرئيسية الحقيقية ، وعلى رأسها فى نظرى الكاردينال وولزى ، والملك هنرى الثامن ، وزوجته كاثرين ، ثم زوجته الجديدة آن بولين .

ولد وولزى (Wolsey) عـام ١٤٧٥ فى إبسـويتش (Ipswich) بمقـاطعـة سافوك (Suffolk) ، وكان أبوه جـزارًا ولكنه أنفق بسخـاء على تعليمـه حتى تخرج فى أكـسفورد وحـصل على الشهادة الجـامعية فى الـعلوم اللاهوتية ولما يتجاوز الخامـسة عشرة من عمره ، وكان ذا مـوهبة فذة فى الإدارة لفتت أنظار رجـال الجامـعة ، فـعهـدوا إليـه ، بعد تسلـمه عـمل الكاهن فى ١٤٩٨ ، بالإشراف على الشئون المالـية فى كلية مودلين (Magdalen)(*) وكانت الشؤون المالية لاتنفـصل عن الإدارة ، وما لبث أن أثبت نجاحًا منقطع النظـير فى تجديد الكليـة وبناء برج لها ، واشـتهـر بذلاقة اللسـان وحسن المعـشر ، والطـموح الشديـد ، والتفانى فى الـعمل ، وأصبح الكـاهن الخاص (chaplain) للسـير ريتشارد نانفان Nanfan نائب قائد حامـية كاليه (المدينة الفرنسـية التى كانت تابعة لانجلترا) إذ بهـره سحر بيانه وإخلاصه الشـديد ، فزكاه إلى الملك هنرى السـابع الذى حكم انجلترا من عـام ١٤٨٥ إلى ١٥٠٩ ، وعندما توفى نانـفان عام ١٥٠٧ اتـخذ الملك ذلك القـسيس الشـاب كاهنًا خـاصًا له فـأثار حـسد الكثيرين . وحذره الملك من مكائد القصر ونصـحه بمواصلة الجد والاجتهاد ، ويقول بعض المعاصرين إن الملك أبعده عن القصر عمدًا بتعيينه رئيسًا لكاتدرائية لِنْكُنْ (Lincoln) حتى يكون بمأمن من أحابيل الحساد .

كان وولزى فى عنفـوان شبابه حين توفى الملك هنرى السـابع عام ١٥٠٩ وخلفه الملك هنرى الثـامن الذى كان ما يزال فى الثـامنة عشرة ، وكـان طالبًا مجـتهـدًا برع فـى اللغـات القـديمة فكان يؤلف باللاتينيـة وهو فى هذه السن

(*) الاسم العلم ينطق ماجدلين ، ولكن اسـم الكلية ينطق مودلين ، وروعى فى كتابة جمـيع الأسماء طريقة النطق لاطريقة الهجاء ، ولذلك وضعت الألفاظ الأجنبية بين أقواس .

المبكرة ، ويعزف الموسيقى ويكتب الشعر ، واستهوته رسائل وولزى المكتوبة بلاتينية سلسة تنم عن ذكاء متوقد ، كما بلغت أسماعه أنباء الإنجازات الإدارية والمالية لذلك القسيس العصامى فقرر استدعاءه واصطفاه لنفسه ، وقرر تعيينه مديرًا لصندوق البر والإحسان التابع للملك (royal almoner) وهو الصندوق الذى كان يعتمد على بعض موارد الأوقاف endowments فى الإنفاق على الفقراء . ولم تمض سنوات معدودة حتى بزغ نجم وولزى فى سماء القصر الملكى ، إذ كان هنرى الثامن يعمل بمشورته وينتصح بنصحه ، وكان الملك آنذاك يفتقر إلى الخبرة اللازمة بشئون السياسة الدولية بل وعازفًا عنها ، فأول مذاق لها لديه كان زواجه ممن تكبره سنا ومن لايحبها ، لأسباب سياسية ، وهى كاثرين خالة الامبراطور شارل الأسبانى ، وكان دائم التطلع إلى الحب الذى قرأ عنه فى أشعار اليونان والرومان ، فكان يقضى سحابة يومه فى الصيد والقنص والاستماع إلى القيان وتطارح الشعر فى المساء ، وكان اهتمامه الشديد بالرياضة البدنية والمهارة الحربية لايترك له وقتًا للنظر فى أمور الدولة . ولذلك فقد كان يرحب بكل ما يقترحه عليه الكاهن ذو البيان الساحر ، ويكاد يقتصر دوره على التوقيع والموافقة على ما يقوله الكاهن بنبرات خفيضة تمثل أقصى درجات الخضوع والخشوع وتقوى الله .

وما انقضت السنة الرابعة من حكم هنرى الثامن (١٥١٣) حتى لاحت للكاهن فرصة نادرة لتحقيق أول طموحاته فى مجال السياسة ، فأقنع الملك بضرورة الهجوم على فرنسا وضم أراضيها إلى انجلترا أثناء انشغال لويس الثانى عشر بالحرب فى إيطاليا . وكان الصراع قائمًا ومحتدمًا بين إسبانيا التى يحكمها الامبراطور شارل ابن أخت الملكة (وكان اسمها جوانا) ، وبين فرنسا، ولذلك فلو تمكن الملك من عقد حلف مع اسبانيا لتأمين حملته فى

فـرنسا فـسوف يكتب له النجـاح . ورأى هنرى الثـامن أن النجاح العـسكرى سيـوطد سلطانه فى القارة الأوربيـة (وفى انجلترا بطبـيعة الحـال) وأنه سوف يساعده كذلك فى تحقيق المثل الأعلى للملوك فى العصور الوسطى ، وهو المثل الأعلى الذى ورثه عن أسـلافه واستـقاه من قراءاته ، إذ سـوف يعود منتـصراً بأكاليل الغار ، وسوف يدخل لندن على صهوة جـواده فيحييه أبناء الشعب ، ويتغنى الشعراء بمدائحه وهو بعد فى الرابعة والعشرين !

وأبحر الجيش الانجـليزى بقيادة الملك وكـبار النبلاء والفرسان وحـقق نصراً كبيراً طـارت أنباؤه بفضل رسائل وولزى وأتباعه عـام ١٥١٣ ، فأثلج الصدور وأحيـا الأمل فـى نفـوس الشعب بقرب اسـتعادة أراضى فـرنسا وضمـها إلى انجلترا . وبلغ من سرور الملك أن استجاب لطلب وولزى فاقترح على البابا ليو العاشـر أن يعينـه أسقفًا للكاتدرائيـة التى عمـل فيها نائـب رئيس ذات يـــوم (كاتدرائية لِنْكُنْ) وإن كان يريده فى الحقيقة أن يظل إلى جواره .

ويقول بعض المعاصـرين إن طلب وولزى الذهاب إلى لِنْكُنْ رغم طموحاته السياسـية الكبيرة ، من أهم الدلائل على ذكـائه الأصيل ودهائه الفطرى ، إذ كان يريد أن يكون الملك هـو الذى يسعى إليه ويطلبـه حين يشعر بالعـجز فى غيابه عنه ، وهكذا فلم تمض شهور على تعيينه أسقفا لكاتدرائية لِنْكُنْ (فبراير ١٥١٤) حتى عيـنه الملك (عن طريق البابا بطبيعـة الحال) أسقفًـا لكاتدرائية يورك (سبتمبر ١٥١٤) تمهيدًا لتحـقيق ما كان وولزى يطمح فيه حقا وهو أن يكون كـاردينالاً - والكاردينال هو أعلى منصب دينى يمـكن للبابا أن يمنحـه . وفعلاً أصبح وولزى الكاردينال العظيم فى عام ١٥١٥ .

ويقـول بـعض المؤرخين إن فطنة وولزى جــعلتـه يضع الأسـس اللازمـة لاستمرار النصـر الذى تحقق على الفرنسيين ، وذلك بالتمهـيد لعقد صلح مع

فرنسـا ، فاقترح تزويج لويس الثـانى عشر من مـارى شقيقـة هنرى ، وكتب التاريخ حافلة بالأحابيل التى لجأ إليها لتـحقـيق هذه الغاية ، فهـى حقـا مما يطمح إليه كل ملك منتصـر ، لا لاستتباب السلم فحسـب بل للاحتفاظ بوقع النصر وأصدائه فى القارة ، إذ أصبح هنرى الثامن وهو فى شرخ الشباب ملكًا مرهوب الجانب وأصبحت أوربا تتطلع إليه بعيون حذرة .

ولكن السلم الذى سـاد مـؤقـتًـا لم يكن قـائمًا علـى الأسس التى تكفل استمراره ، وأهمها القوة الاقتصادية اللازمة لإعداد الجيش وتجهيزه ، فالمعروف أن الملوك آنذاك لم يكن لديهم 'جـيش نظامى' بالمعنى الحـديث للتـعـبيـر ، ولكنهم كانوا يقومـون بتعبئة الجنود عن طريق النبلاء والأشـراف عندما ينشأ ما يدعو لشن حملة مـا أو للدفاع عن البلد ضد الغزاة ، وكان كبـار الضباط من ذوى الخبـرة فى تنظيم المعارك وفنون القتـال هم الذين يتولون هذه التعبـئة فى العادة ، ولذلك فهـم دائمًا على صلة بالقيادة السـياسية التى كانت تـتمثل فى المجلس الملكى الخـاص Privy Council وفـى رئيسه الذى يتمـتع بحظوة كبيرة لدى الملك . فإذا علمنا أن السلطة الفعلية كانت فـى أيدى كبار رجال الكنيسة الذين يتمتعون بعضوية هذا المجلس ، ليس بسبب سطوتهم الدينية فحسب بل أيضًا بسبب ثرائهم الفاحش ، أدركنا أن وصول وولزى إلى منصب الكاردينالية كان معناه جمع خيوط السلطة فى يده ، وهكذا لم يكن من المستغرب أن يعينه الملك رئيسًـا للمجلس فـى ديسمـبر عـام ١٥١٥ فيصـبـح بهذه الصفة رئيـسًا للوزراء ، بتعـبيرنا الحديث ، (أو الوزير الأول بـالتعبيـر التونسى) أو الوزير وحسـب بتعبيـر العرب القـدماء ، وكان اسـم المنصب آنذاك هو Chancellor [واسمـه بالكامل هو Lord Chancellor of England] - وهى الكلمة التى

أسيئ فهمها بسبب الخلط بينها لدينا وبين كلمة counsellor بمعنى المستشار (فى الخارجية) وكلمة councillor بمعنى عضو المجلس (عادة عضو المجلس البلدى أو المحلى فى بريطانيا)(*) .

ومن ثم فقد كان رئيس الوزراء يجمع بين السلطة الدينية بصفته كاردينالاً والسلطة الزمنية temporal أو العلمانية secular (أى سلطة الدولة) باعتباره يمثل سلطة الملك . ولكن الكنيسة الإنجليزية لم تكن مستقلة عن سلطة البابا فكان لزامًا على من ينشد السلطة الحقيقية أن يستمدها من البابا ، وهكذا سعى وولزى حتى يحصل من البابا على منصب 'القاصد الرسولى' (legate *a latere*، أى ممثل البابا الخاص فى انجلترا ، وهو المنصب الذى يتيح له أن يتحدث باسم البابا وأن يصدر القرارات الدينية التى تستمد قوتها من قوة رئيس الكنيسة الكاثوليكية الأكبر فى روما .

ورغم سعادة الملك واطمئنانه إلى ذكاء وولزى ونشاطه ، فقد كان ما يزال يطمح فى أن تكون انجلترا هى الحَكَم arbiter فى منازعات القارة الأوربية التى لم تهدأ بين القوتين العظميين آنذاك وهما فرنسا والامبراطورية الرومانية المقدسة ، وأن يسود سلام دائم أى سلام يتضمن التسليم بسيادة انجلترا على شمال أوربا كلها لتأمين طرق التجارة الانجليزية مع هولندا وبلجيكا وبلدان الشمال التى لم تكن قد استقرت حدودها السياسية استقرارًا كاملاً آنذاك . وحاول وولزى تحقيق آمال الملك عن طريق إعلان خطبة مارى ابنة الملك من كاثرين (خالة امبراطور اسبانيا) إلى ابن فرانسيس ملك فرنسا ، وكانت

(*) يلاحظ أن هذا الخلط ما يزال قائمًا إذ يطلق على رئيس ألمانيا الحالى لقب مستشار بالعربية ، ولكنه فى الحقيقة رئيس الوزراء !

الطفلة فى الثانية والطفل لايتجاوز عمره سبعة شهور ، وصاحب إعلان الخطبة الإعلان عن حلف أوربى (أى معاهدة سلام) بين جميع القوى الكبرى ، وبذل ولزى جهودًا جبارة لإنجاح هذه المعاهدة ، فأقام حفلاً ضخمًا لم يشهد تاريخ انجلترا له مثيلاً فى لندن ، حتى يشعر المندوبون بمدى القوة الاقتصادية لانجلترا ومن ورائها ، بطبيعة الحال ، القوة العسكرية والسياسية . وكانت هذه هى الفرصة التى استغلها ولزى فى إقناع البابا بتعيينه 'قاصدًا رسوليًا' ويقول بعض المؤرخين أنه قدم الأموال "للجميع" على سبيل الرشوة ، لتحقيق هذا الهدف ، الذى نجح فى تحقيقه فعلاً كما قلنا فأصبح يجمع سلطة الدين والدنيا فى عام ١٥١٨ .

ولكن حفل التوقيع أظهر للملك مدى ثراء الكاردينال (ورئيس الوزراء) الذى لم يكن يتقاضى أى مرتبات من خزانة الدولة . ولابد أن الملك قد سمع أيضًا عن المبالغ الكبيرة التى أنفقها الكاردينال لتحقيق مراميه ، ويختلف المؤرخون حول تحديد موقف الملك من الكاردينال فى تلك الأيام المبشرة بالسلام الأوربى ، وإن كان معظمهم يميل إلى تصديق السجلات المعتمدة التى تفصح عن الثقة الكبيرة التى كان الملك يوليها له ، ويجب ألا ننسى فى خضم هذا البحر السياسى المتلاطم الموج أن الملك كان مشغولاً آنذاك بعجز زوجته عن إنجاب مولود ذكر من صلبه يرث عرش انجلترا ، وأنه كان قد فقد تمامًا أى دافع لمواصلة الارتباط بزوجته كاثرين ، فهجرها فى المضجع وبدأ يفكر فى وسيلة لإنهاء الزواج . وتتضمن كتب التاريخ بعض الإشارات إلى الجهود التى بذلها ولزى فى تدبير بديل للملكة ، أى العثور على ملكة أخرى تساعده فى تحقيق طموحاته السياسية من خلال إحلال السلام فى أوربا ، وكان يطمح فى أن يجد للملك زوجة فرنسية إذا استطاع إيجاد السبل القانونية (الشرعية) لإعلان

بطلان زواج الملك بكاثرين ، وكان يميل إلى اختيار أخت الملك فرنسيس واسمها (رينيه).

وفى العام التالى (١٥١٩) تبين لوولزى بوضوح وجلاء أن علاقة الملك بزوجته قد انتهت . ويبدو أنه غض الطرف عن العلاقات الغرامية التى كان الملك يقيمها مع بعض نساء القصر ، إذ إن هنرى اتخذ عشيقة له فى ذلك العام هى إليزابيث بلاوتد (Plowted) ، وأنجبت له ابنًا سفاحًا ففرح به وأنعم عليه بلقب دوق ريتشموند وسومرست ، وفكر فى أن يقف وراثة العرش عليه، ولكن وولزى تدخل بسلطته الدينية وثناه عن عزمه .

وعندما نصل إلى عام ١٥٢٠ ، وهو العام الذى اختاره شيكسبير بداية لأحداث المسرحية ، نصل إلى نقطة البداية حقا فى الصراع الذى أضفى عليه الكاتب السمات الدرامية من خلال تجميع الخيوط المتفرقة والتى عرضنا لبعضها فى حياة وولزى ، ونعرض الآن للبعض الآخر فى حياة الملك .

كان الملك (عند بداية المسرحية) فى التاسعة والعشرين ، منفصلاً عن زوجته الإسبانية ، ويبحث جادًا عن بديل ، وكانت الأحوال السياسية ماتزال مضطربة فى القارة الأوربية . ونرى فى المشهد الأول تركيزًا على لقاء العاهلين الفرنسى والانجليزى الذى دبره الكاردينال وولزى ، سعيًا لإقرار السلام فى أوربا ، ومحاولة منه فى التقريب بين الدولتين عسى أن ينجح فى تزويج أحدهما من أسرة الآخر .

كان هنرى الثامن هو الابن الثانى للملك هنرى السابع ، أول ملوك أسرة تيودور Tudor ، وقد ولد فى جرينتش فى ٢٨ يونيو عام ١٤٩١ ، وعندما توفى أخوه الأكبر آرثر فى عام ١٥٠٢ أصبح وريثًا للعرش . وعندما آل إليه

الملك فى عـام ١٥٠٩ تعلقت به آمـال الشـعب بل إن المؤرخين يبـالغـون فى تصوير مدى تفاؤلهم به وتطلعهم إلى لون من الاسـتقرار الذى حرموه سنوات طويلة .

أما زوجته كاثرين فكان قـد زوجه منها أبوه رغم إرادته بعد أن توفى أخوه آرثر عـام ١٥٠٢ . والذى حدث هو أن آرثر كـان فى الخامـسة عـشرة وكـان مريضًـا عندما تزوج كاثرين التى كـانت فى السادسة عشـرة عام ١٥٠١ (١٤ نوفمبر) ولم يبق فى قيد الحياة بعد ذلك سوى أشهر معدودة ، وكانت كاثرين تصـر على أنه لم يَبْنِ بها ، وهنا يخـتلف المؤرخـون فى مدى صحـة ذلك ، فالوقائع تساند احتمال عدم إتمام الزواج فـعليًا ، رغم إجراء مراسمه العلنية ، وعلى أى حال فعندمـا مات آرثر أصبحت كاثرين أرملة (عذراء فـى زعمها) وكانت قد أحضرت معها صداقًا قدره مائتا ألف من الدوكات ، وهو مقدار من الذهب يصل إلى عشرات الملايين من الدولارات بعملة العـصر الحاضر ، وكره هنرى السابع أن تـعود إلى اسبـانيا بهذا المبلغ فـقرر أن يزوجهـا من هنرى ابنه الثانى الذى كان ما يزال فى الحادية عشرة .

واستنكر وارام Warham كبيـر الأساقفة آنذاك ذلك الزواج المـقترح وأيده الأسقف فـوكس Foxe استنادًا إلـى آية فى الكتاب المقـدس تقول "وإذا أخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجـاسة . . . يكونان عقيمين" (سفر اللاويين ٢٠/٢١) ووافق على الزواج أساقـفة آخرون اسـتنادًا إلى آية أخرى هى "إذا سكن إخوة معًـا ومات واحد منهم وليس له ابـن . . أخو زوجهـا يدخل عليها ويتـخذها لنفسه زوجة" (سفر التـثنية ٢٥/٥) . وهكـذا كان لابد أن يحتـكم الجميع إلى البابا ، وكـان اسمه آنذاك يوليـوس ، الذى أصدر فتـوى عام ١٥٠٣ بأن الزواج حلال . ولكن فـتوى البابا لم تحـسم الأمر تمامًا ، إذ ظل الفقـهاء فى

خلاف ، وإن كـان الخلاف هذه المرة حـول حق البابا فى الافـتاء ، مما يرهص بنوازع الاستـقلال عن كنيـسة روما . ولم تهـدأ المسألة ، رغم إعـلان الخطبة رسميا عام ١٥٠٣ ، إلا عندما أُعلن تأجـيل الزواج بسبب صغر عمر هنرى . إذ كان هنرى ما يزال فى الثـانية عشرة ، وكان يرى فى المرأة غيـر الجميلة التى تكبره بست سنوات زوجة لايشـتهيها قلبه كمـا سبق أن ذكرنا ، فطلب إعلان بطلان الزواج لأن أباه أكرهه عليه ، ولكن والده أصر ، وأصر معه كثيرون ممن كانوا فى قلق على الأوضاع السياسية والعسكرية ، وكانوا يرون فيه إنقاذًا للبلد من الحرب مـع امبراطـورية قوية من المسـتحسن أن تـساندهم فى صـراعهم التقليدى مع فرنسا . وهكذا تزوج هنرى الثـامن كاثرين ، قبيل أن يبلغ الثامنة عشرة أى بعد أن مات أبوه وتولى العرش فى ٢١ إبريل ١٥٠٩ .

وبعد سبـعة شهور أنجبت كاثـرين أول طفل لها مات عند الولادة ، (٣١ يناير ١٥١٠) وبعـد ذلك بعـام أنجبت طفـلاً آخـر مات بعـد بضـعة أسـابيع (١٥١١) وسقطت فى طفلها الثـالث (١٥١٣) والرابع (١٥١٤) مما جعل الملك يفكر من جـديد فى إعلان بطلان الزواج . ولكن عندمـا أنجبت كـاثرين طفلة أسماها مـارى عام ١٥١٦ تفاءل الملك لأن الطفلة ظلت فى قيـد الحياة (وهى التى أصبحت ملكة فيما بعد) وعاوده الأمل فى إنجاب وريث للعرش . ولكن آماله تحطمت عندما أنجبت كاثرين ابنًا آخر ولد ميتًا فى عام ١٥١٨ .

فى بداية المسرحـية إذن نرى الملك وقد فقد الأمـل فى نجاح زواجه ، إلى جانب ظهـور مشكلة وراثة العرش وما يمـكن أن تتسبب فيـه من مشكلات ، ونرى الكاردينال وولزى وهو يـعمل جـاهدًا على إقـامة الروابط الـعائليـة بين الدولتين ، ونعلم من الخلفية التاريخية أن خطبـة مارى لولى عهد فرنسا (رغم أنهـما كان طـفلين) أثـارت انزعـاج كبـار رجـال الدولة (اللوردات أى كـبار

الملاك) لأن ذلك معناه أن تكون بريطانيا خاضعة لفرنسا . ومن ثم عارضوه ، وكان من بينهم لورد نورفوك ودوق بكنجهام . ويختلف المؤرخون فى مدى صحة ما ورد فى كتاب تاريخ انجلترا (من تأليف رافائيل هولنشد) الذى استند إليه شيكسبير بصورة كاملة ، عن اعتزام دوق بكنجهام الاستيلاء على العرش ، ولكنهم يجمعون على أن خطبة مارى إلى ولى عهد فرنسا كانت تمثل خطرًا داهمًا على البلاد ، ويبدو أن المعارضة الرئيسية كانت من جانب دوق بكنجهام (Buckingham) ، ويفسر ذلك أحد المؤرخين قائلاً إنه لم يكن يرى أنه من كبار رجال الدولة فحسب بل كان يعتقد أنه يتحمل مسؤولية حماية سلامة الأمة من مغبة الانسياق وراء الأحلاف الأوربية ، ولاشك أن هذه المعارضة السياسية كان معناها إفساد خطط الكاردينال وولزى ، بل كان معناها تحطيم آماله الطموحة التى لم يكن لها حدود ، ولذلك دبّر للقضاء على بكنجهام ، ورأى شيكسبير فى ذلك موقفًا دراميًا يرهص بالموقف الدرامى "المتكرر" للمؤامرات والدسائس التى أودت بجميع من عمل فى خدمة الملك ، وبنهاية الكاردينال وولزى نفسه (فكما تدين تدان) .

ويصور شيكسبير على لسان الراوى نورفوك ما حدث فى اللقاء بين الملكين الانجليزى والفرنسى عام ١٥٢٠ ، ويصور أيضًا موقف بكنجهام . ولكنه لايصور ما حدث بعد ذلك إذ عندما ترك هنرى الثامن " حليفه" ملك فرنسا (فرانسيس) عاد إلى كاليه فى يوليو ١٥٢٠ (أى بعد ١٧ يومًا فقط) ليعقد اتفاقًا مع الامبراطور الاسبانى شارل ، فى حضور الكاردينال وولزى أيضًا وهو الاتفاق الذى تراجع فيه عن عزمه على مصاهرة الأسرة المالكة الفرنسية ! أى إن وولزى كان فى الحقيقة يسيّر دفة السياسة الانجليزية ، ولم يكن من ثم على استعداد لقبول أى معارضة من أى طرف . ولقد خرج من

هذه المغامرات كلها بثروة يصعب حصرها ، إذ أمر الملك رهبان دير سانت أولبانز Albans 'باختيار' وولزى رئيسًا لهم وتقديم صافى دخل الدير له ، عوضًا له عن تكاليف الرحلة .

ولنقرأ الآن ما كتبه تريڤيليان فى كتابه **تاريخ انجلترا الاجتماعى** ص ٩٤ عن وولزى :

« كان هنرى السابع وابنه هنرى الثامن يتسمان بالحماس للعقيدة السلفية (orthodoxy) ، ولم يهمل أى منهما واجبه فى إحراق الهراطقة (أصحاب البدع الدينية سواء منهم المصلح أو المجدد أو المارق) وكثيرًا ما استعانا بالأساقفة للعمل مستشارين للدولة أو وزراء ، وفقًا لتقاليد القرون الوسطى ، وكانت الذروة التى أسدلت الستار على تلك التقاليد تعيين الكاردينال وولزى وزيرًا (رئيسًا للوزراء بلغة العصر الحديث) للملك هنرى الثامن ، إذ اجتمعت فى وولزى كبرياء الكنيسة القروسطية(*) وجبروتها على نحو لم يسبق له مثيل . كان وولزى أداة لسلطة البابا ، ولكنه زاد من سيطرة هذه الأداة على الكنيسة الانجليزية ، فكان يعامل النبلاء والسادة من غير رجال الكنيسة كأنما هم تراب يطؤه بقدميه ، ومن ثم ساعد سلوكه هذا فى إشعال نار الثورة المضادة للكهنوت التى صاحبت سقوطه . كان يعمل فى منزله ما يقرب من ألف شخص ، وكان يسير فى موكب رسمى يسبقه فيه حاملو القضبان الفضية والجلادون الذين يرفع كل منهم بلطة الإعدام . وكانت مصادر ثرائه متعددة لاتكاد تحصى ، ومن بينها راتبه باعتباره رئيس أساقفة يورك ، وأسقف دارام

(*) نسبة إلى القرون الوسطى ، وهى كلمة نحتها الدكتور عبد الحميد يونس وأشاعها .

Durham ، ورئيس دير سانت أولبانز Albans ، وإن كان يهمل القيام بواجبات أى من هذه المناصب . ويقول كاتب سيرة وولزى وهنرى الثامن (البروفسور بولارد - ص ٣٢٠ - ٣٢١) إن الكاردينال كانت ثروته تعدل ثروة الملك تقريبًا . وإنه استطاع بدهائه أن يدبر للابن الذى أنجبه سفاحًا الحصول على دخل عدة كنائس وأبرشيات وأديرة لكنه لم يستطع أن يمكنه من دخل أبرشيه دارام البالغة الثراء . وكما كان بالغ الزهو والخيلاء ، شديد الجشع والطمع ، يعيش فى بذخ وأبهة لاحد لهما ، كان سخيا شديد السخاء فى الانفاق على إنشاء المعاهد والكليات الجامعية والعليا والتى كانت روعتها لاتجارى ولاتبارى فى زمانها . لقد كان حقًا من أمراء الأسرة الأوربية الحاكمة التى تخطت الحدود الجغرافية الضيقة ، وطالما انحنى أمامها الرجال وركعوا ، وإن كان ذلك قد قُضى عليه إلى الأبد فى انجلترا . ومع ذلك فقد كرس نفسه لخدمة الملك وتفانى فيها أكثر مما كرس نفسه لخدمة المصالح الدينية للكنيسة . وكان وولزى فى ذلك كله من أعظم الشخصيات وأصدقها تمثيلاً لروح القرون الوسطى فى تاريخنا ، وقد وصلت طاقتها إلى ذروة جبروتها بعد انتهاء موقعة بوزورث فيلد (أى انتهاء الحرب بين الأسرتين المالكتين فى انجلترا) بأكثر من أربعين سنة » G.M. Trevelyan, *English Social History*, p. 94 .

وينبغى ألا يدهش القارئ العربى من ذكر الأبناء غير الشرعيين لرجال الدين أو للملك ، فإن وولزى قد أنجب ابنًا وبنتًا سفاحًا ، ولم يكن أبناء السفاح يكتسبون اسم الأب بل اسم العم ، وكان يطلق على الواحد منهم اسم « ابن الأخ » nephew والطريف أن كلمة **المحاباة** فى اللغة الانجليزيةnepotism مشتقة من هذه الكلمة ، فهى مأخوذة من الإيطالية nepotismo المشتقة من

nepote بمعنى ابن الأخ ، وأصلها اللاتينى هو nepotis وهى حالة المضاف إليه من nepos بمعنى الحفيد أو ابن الأخ ، وقد ارتبطت المحاباة بالكلمة لطول ما أظهر القسس فى العصور الوسطى من إسباغ الفضل والتفضيل على أبنائهم الذين كانوا ينجبونهم سفاحًا ويطلقون عليهم لقب أبناء الأخ ! أما الملك ، فقد كان ذلك من حقه ، ويقول ول ديورانت Will Durant فى كتابه قصة الحضارة (وأنا أعتمد هنا على ترجمة الدكتور عبد الحميد يونس للجزء الرابع من المجلد السادس - القاهرة - ١٩٧٢) .

وكان فى ذلك العهد قانون غير مكتوب ينص على حق الملك فى إرضاء نوازع غرامه خارج حدود الزواج إذا كان قد أجبر على الزواج ممن لايحبها من أجل مصلحة الدولة .

ولذلك لم يكن من الغريب أو المدهش ألا يعترض وولزى على مغامرات الملك الغرامية ، إذ لم يلبث هنرى الثامن أن اتخذ عشيقة أخرى (عام ١٥٢٤) هى مارى بولين ابنة السير توماس بولين ، وكان دبلوماسيًا يعمل بالتجارة أيضًا ، وذا ثراء كبير ، وكانت أمها هى ابنة دوق نورفوك وتنتمى لأسرة عريقة هى أسرة هاوارد ، ويبدو أن الملك قد طارح الأم الغرام أيضًا ، إذ إنه لم يستطع انكار التهمة حين ألقاها أحد النبلاء فى وجهه ، ولكن ذلك كله ، كما يقول ديورانت ، كان من "الهفوات التى تغتفر فى ذلك العصر الطروب" (ص ٦٤) .

ويعتمد شيكسبير فى تصويره لشخصية وولزى على ما يحيط به المتفرجون أو جمهور القراء عنه ، وعما هو معروف عن تاريخ العصور الوسطى ، ولذلك فنحن أبناء العربية نجد كل ذلك غريبًا لأننا لانستطيع أن نتصور كيف

يكون رجل الدين منكبًا على الدنيـا ومباهجها إلى هذه الدرجـة ، ونعجز عن إدراك وجهة نظره التى يمكن تلخيصها فى أنه كان يرى نفسه ممثلاً لمملكة السماء على الأرض ، فكان الكاردينال وولـزى يتلقى الأموال من مـلك فرنسـا ومن امبراطور اسبانيا باعتبارها هدايا "فى سبيل إعلاء كلمة الله" ، وهى لم تقتصر على الهدايا العـينية بل كانت تصله أيضًـا فى صورة مرتبات منتظمـة ، وكان يحـصل على ذلـك كله إلى جـانب الرواتب التى يحـصـل عليـهـا من دخل أبرشيتين ، وست رواتب للقسس ، ومرتب رئيس جامعة ، ومرتب رئيس دير سانت أولـبانز St. Albans ، وأسقف باث Bath ، وأسقف ويلز Wales ، ورئيس أسـاقفـة يـورك York ، ومـدير أبرشـيـة ونشـسـتـر Winchester ، وشـريك أسـقف وُسْتَرْ Worcester ، وأسقف سـولزبرى Salisbury وهما إيطاليان ويقيمان فى إيطاليا.

وقبل أن نعـــود إلى المسرحيـة يجمل بنا أن نـصور الأحوال الدينيـة التى سادت آنذاك ، أو ما وصلت إليه عند بداية المسرحية ، ولا شك أن ذلك الجو العام كان معروفًا للقراء فى عصر الملكة إليزابيث وجيمس الأول (الذى قدمت المسرحيـة فى عهده) . كان عدد الأبرشيـات فى انجلترا يبلغ نحو ٨٠٠٠ إلى جانب ستمائة دير للرهبان و ١٣٠ ديرًا للراهبـات ، وقد كتب ريتشارد فوكس Fox إلى وولزى عام ١٥١٩ يقول إنه قد يئس تمامًا من إصلاح حال الكنيسة ، إذ كان القسس يرون أن ترقـيتهم فى سلك الكهنوت تتوقف على ما يجـمعونه مـن مـال ، فتسابقوا فـى الحصول على المكوس من الفلاحين وصغار التجار (العشر من كل شىء) ومن الطبيعى ألا يستجيب وولزى لهذه الشكوى لأنه كان هو نفسـه على رأس هذا النظام الكنسى ، ويقول فـرود فى كتابه عـن هنرى الثامن (Froude, *Henry VIII*, vol. II pp. 114 - 115) إن مورتـون Morton كـبيـر

الأساقفة اتهم رئيس رهبان دير سانت أولبانز فى عام ١٤٨٩ (الذى خلفه وولزى فيما بعد) بالاتجار "فى المقدسات والرتب والوظائف الدينية ، وبمزاولة الربا والاختلاس والإقامة علنًا وباستمرار مع العاهرات والعشيقات داخل أرباض الدير وخارجه" (ص ١١٤) كما "اتهم الرهبان بأنهم يحيون حياة داعرة . . . لا بل إنهم يدنسون الأماكن المقدسة ، حتى كنائس الرب ذاتها ، بمضاجعة الراهبات ، وما أبغض ذلك إلى قلوب المؤمنين" (ص ١١٥) بل إنه ذهب إلى القول بأنهم حولوا ديرًا صغيرًا مجاورًا إلى "ماخور عام" (نفس الصفحة) .

وأهم من ذلك كله ما شاع عن الخروج عن الدين ، أو المروق أو التجديف فى الدين ، والذى يدخل جميعًا فى باب الهرطقة ، أو البدعة التى يعاقب مرتكبها بالإعدام حرقًا . وكانت سلطة الكنيسة فى معاقبة الهراطقة لاحدود لها ، وكانت أحكامهم لا راد لها ، فأشاعت الخوف فى النفوس وقذفت الرعب فى القلوب . وكان من بين ما يُعَدُّ من قبيل الهرطقة الدخول فى جدل حول القربان المقدس ، أو القول بأنه يكفى أن يقدم من الخبز ، والتشكيك فى السلطة الإلهية للقسس ، أى السلطة المفوضة للقس من الرب فى الحكم بأن الشخص مؤمن أو كافر ، وفى التكريس أو الحل ، أو القول بأن القرابين المقدسة ليست ضرورية للحصول على الخلاص ، أو التشكيك فى قيمة زيارة قبور الأولياء والصالحين ، وفى قيمة الصلاة من أجل الموتى ، والجدير بالذكر أن بعض الأملاك الشاسعة والأراضى الخصبة كانت موقوفة على الإنفاق على هذه الصلوات [chantries] ، وكذلك الدعوة إلى أن يتوجه الإنسان بالصلاة إلى الله فقط ، والزعم بأن الإيمان وحده قادر على أن ينقذ الإنسان من النار بغض النظر عن صالح الأعمال ، وبأن المسيحى المخلص لايلتزم أو له ألا

يلتزم بأى قانون بشرى لم يأت به المسـيح ، ومن ثم القول بأن الكتاب المقدس والكنيسة هما المرجع الأوحد للعقيدة ، والدعوة إلى تعميم الزواج بين الجميـع بمعنى إلغـاء الأيْمان التى يحلفـها القسس بأن يظلـوا دون زواج ، وكان يطلق عليها "أيمان العفة" [Vows of Chastity] ، وكانت بعض هذه الأفكار نابعة من تفسير المثقفين الشبان وتذييلاتهم لترجمة الكتاب المقدس إلى الانجليزية التى تنسب إلى ويكليف Wycliffe (١٣٣٠ - ١٣٨٤) والتى شـاعت وانتشـرت بين الطبقات الفقيرة ، ودعت كل من يعـرف لغته الأم إلى التساؤل عن صدق ما يدعو إليه الكهنة إذ لم يجد له سندًا فى الكتاب ، وعلى امتداد القرن كله (أى حتى عهد هنرى الثـامن) كانت هذه التفسيرات والتـذييلات تلقى الهجوم والسـخرية ويطلق عـلى من يرددها لفظ المتشـدق الأجـوف ، وعلى التشـدق الأجوف لفظ lollardry وكانت الأفكار فى مجموعها تعـتبر مرادفة للهرطقة . وذلك قبـل أن يصدر مارتن لـوثر ترجمتـه للكتاب المقـدس من اليونانـية إلى الألمانية عام ١٥١٧ . ولايجب أن ننـسى ما حدث قبل مائة عـام تقريبًا ، أى فى ١٤٠٨ إذ دعا رئيس الأساقفة السير توماس أرندل Sir Thomas Arundell إلى عقـد مجمع مـقدس لرجال الكنيـسة انتهى فـيه إلى منع ترجمـة الكتاب المقدس إلى اللغة الوطنية ، وانطلـق منـدوبو الكنيسة فى كل مكان للبحث عن النسخ الانجليزية وإحراقها ، ولكن الحظر لم يكن مـحكمًا برغم جميع الجهود المبـذولة ، إذ ما تزال بين أيدينا نحـو ٢٠٠ نسـخة من هذه التـرجمـة يرجع تاريخـهـا إلى مـا بين عـامـى ١٤٢٠ و ١٤٥٠ . ويذهب المؤرخـون إلى أن "المتشدقين" قد اشـتد ساعدهم فى النصف الأخـير من القرن الخامس عـشر وكانوا من العـوامل التى أوجدت المناخ الملائم للإصـلاح الدينى الذى نهض به هنرى الثامن ، فلولا التأييد الشعبى لما استطاع كبار علماء التنوير مثل إرازموس Erasmus وصحبه التأثير فى الجيل الجديد .

إننا نجد أنفسنا مع بداية المسرحية على فُوَّهة بركان ، ولم تكن المشكلة التى يركز عليها شيكسبير أى موضوع الطلاق من كاثرين والتزوج من آن بولين إلا الفتيل الذى أشعل النار ، أما اللهيب الحقيقى فكان لهيب ثورة الإصلاح الدينى التى قادها الملك باسم الدين الصحيح فبذر أولى البذور التى ضربت جذورها فى التربة الانجليزية فى عهد خلفه وآتت أكلها فى عهد الملكة إليزابيث وهى التحول من الكاثوليكية إلى البروتستانية .

ولكن من هى آن بولين - 'الفتيل الذى أشعل النار' ؟ كانت آن هى الشقيقة الصغرى لعشيقة الملك (مارى بولين) وقد أرسلها والدها للدراسة فى فرنسا وهى بعد فى العاشرة ، وعندما عادت إلى البلاط عام ١٥٢٢ لم تكن قد تجاوزت الخامسة عشرة ، وكان سلوكها فى البلاط ينم على الذوق الرفيع الذى كان الإنجليز ينسبونه إلى تقاليد فرنسا المستقاة من فنون عصر النهضة ، سواء فى الملبس أو طريقة الكلام أو فى الميل إلى الرقة والرشاقة فى كل ما تقوله وتفعله ، وسرعان ما التحقت بخدمة الملكة (أى أصبحت من وصيفاته) فاقتربت من كبار أهل البلاط واستطاعت بموهبتها الكبيرة أن تحذق أساليب حياته وتحيط بدسائسه ومؤامراته . ويقول معاصروها إنها ليست رائعة الجمال، فهى قصيرة القامة ، وبشرتها داكنة ، وفمها واسع ، وعيناها سوداوان ، ولكنها كانت بعيدة مهوى القرط ، وشعرها البنى ينسدل على كتفيها ، وحركتها رشيقة ، وبديهتها حاضرة ، فتغزل فيها الشاعر سير توماس وايات ، وتشبب بها ، كما أوقعت فى حبائلها أحد كبار رجال الدولة وهو السير هنرى بيرسى Sir Henry Percy الذى ترقى فيما بعد فأصبح لورد نورثمبرلاند Lord Northumberland، وأشيع أنه تزوجها سراً ، ولكن طموحها لم يقف عند هذا الحد ، على خلاف ما يصوره شيكسبير فى المسرحية .

ويقول المؤرخــون إن أقدم ما يشــهد على تولّه الملك هنرى الثـامن بها هو رسائل الغـرام التى كان يرسلهــا إليها منذ يولـيو عام ١٥٢٧ ، ولكن العــلاقة كانت ولاشك قد بدأت قـبل ذلك التاريخ . وإذا كان شيكسبيــر قد صور لقاء الملك بها فى الحفل الذى أقامه وولزى تصويرًا يحمل أصداء **روميو وجوليت** ، فهذا خيال شاعر مـحض ! بل إن العبارة التى يقولها الملك عندما يراها "لأول مرة" فى الحفل هى نفس العـبارة التى يقولهـا روميو عندمـا يرى جوليت فى حفل أسرة كابيوليت وهى "أنا لم أشاهد الجمال ولم تعرفه عيناى قبل الآن !"

والصـدق التـاريخـى هنا يقتـصر على جوهر الحـدث ، أى افتـتان الملك بالفتاة ، أما أنها هى التى دفعته إلى طلب الطلاق فمسألة خلافية ، فالملك كان ينتوى الطلاق منذ أمد بعـيد ، وكان موضوع إنجـاب وريث يخلفه على عرش انجلترا شـغله الشاغل ، وكـان الشعب يشاركـه القلق ، فالحـرب الأهلية بين أسرتى يورك ولانكاستر بسبب الخلاف على تولى العرش كانت ذكراها ما تزال عالقة بالأذهان (١٤٥٤ - ١٤٨٥) والأسرة الحاكمة التى يمثلها الملك لم تقض فى الحكم إلا اثنتين وأربعين سنة ، وكان آخرون يطمـعون فى ارتقاء العرش ، ولذلك فإن حبه للفتاة ، مهما يكن صادقًا وعميقًا ، كان الشرارة وحسب التى أوقدت البركان الساكن .

وعلى أى حـال فإن هنرى الثـامن طلب من وولزى مسـاعدته فـى إعلان بطلان زواجه من كاثرين عن طريق إقناع البابا بذلك . ولكن البابا كان حينذاك أسيرًا عند امبراطور أسبانيا ، ولم يكــن الامبراطور على استعداد لمساعدة الملك فى التخلص من الملكة التى هى خالته (أى خالة الامبراطور) . وكان وولزى يتصور أن الطلاق سوف يمكّن الملك من الـزواج من رينيه أخت ملك فرنسا ، مما يساعـده فى خططه السياسـية ، لاتلك الفـتاة التى لـم تتجاوز الـعشرين ،

والتى لا تمثل له أى قيـمة سياسـية ، ومـع ذلك فقـد عمل على تحقيق رغـبة الملك.

وأحس الملك أن وولزى ليس مخلصًا فى تحقيق رغبته ، ولابد أن آن بولين كانت تحفز الملك على اتمام الطلاق وتمارس أقصى ما تستطيعه المرأة من ضغوط وحيل ، فأرسل مندوبًا عنه إلى البابا الأسير "كليمانت" ، اسمه السير وليام نايت بطلبين محددين الأول أن يسمح له بالاحتفاظ بزوجتين إذا تعذر الطلاق، والثانى أن يصـدر فتوى بتـحليل زواجه من فتاة كـانت له علاقات جنسـية مع أختـها ! ولكن الملـك تراجع فى آخر لحظة وألغى المطلب الأول ، ويقـول لنا بولارد فى كتابه عن وولزى (ص ٢٠٧) إن الملك لابد قد أصابه الذهول عندما تلقى من أحـد مندوبـيـه فى رومـا ، وهو إيطالى يدعى جـوفـانى كـاسـالى Giovanni Cassali خطابًا بعد ذلك بثـلاث سنوات يقول له فيـه إن البابا قـد اقتـرح عليه آنذاك (أى فى عـام ١٥٢٧ - عندما بعث إليه وليـام نايت) بأنه يستطيع أن "يسمح لجلالتكم بالجمع بين زوجتين" ! ولم يستطع البابا الأسير لدى الإمـبراطور شـارل أن يسـمح بالطلاق لأن مـعنى ذلك الحكم بأن البـابا السابق أخطأ حـين سمح بالزواج أصلاً ! وأخـيرًا أرسل الملك إلى البـابا طلبًا بعقد محكمة أى جلسة فقهية للنظر فى صحة زواجه من كاثرين ، وأن يرسـل لهذا الغـرض مندوبًا عنه وممثلاً له بحـيث يلتزم الملك بالحـكم الذى يصدره . وكان البابا مـترددًا ، ولكن الملك هنرى استطاع بفضل جهـود وولزى أن يعقد حلفًا مع فرانسيس ملك فرنسا لشن حملة على امبراطور اسبانيا وفك أسر البابا إذا نجحت الحملة - فى يناير ١٥٢٨ - وعندها رأى البابا أملاً فى الخلاص مـن الأسـر فـوافق على إرسـال منـدوب عنه هو الكاردينال كـامبيجيو (كـامبيوس فى مسرحية شيكسبير) .

ولما علم ملك فرنسا أرسل خطابًا شديد اللهجة إلى البابا يؤنبه فيه على اتخاذ قرار يعارض فيه قرار البابا السابق (يوليوس الثانى) فانزعج البابا وأرسل إلى مندوبه يطلب منه تأجيل البت فى القضية (وهو ما يصوره شيكسبير من خلال استياء الملك لهذا 'التسويف') . وكانت دوافع هنرى فى هذه الآونة قد تبلورت ، فلم يكن ، كما يظن كامبيجيو ، مدفوعًا بالحب الجارف للفتاة آن بولين وحسب ، ولكنه كان يعيد النظر فى حساباته جميعًا ، خصوصًا فيما يتعلق بموقف انجلترا من كنيسة روما ، وتلك السلطة التى بدت له أكبر مما يمكن للملك ما أن يحتمله ! كان كامبيجيو يتصور حسبما كتب إلى البابا فى فبراير ١٥٢٩ أن العاطفة المشبوبة هى التى تتحكم فى تصرفات الملك، غير مدرك للتحولات الاجتماعية والفكرية التى كانت تحفز الملك إلى معاداة الكهنوت ، شأنه فى ذلك شأن رعاياه ، وإلى معاداة البابا بصفة خاصة ، باعتباره رمزًا لسلطة أصبحت - بسبب الفساد الذى شاب ممارستها - غير صالحة للعصر الجديد .

ويحافظ شيكسبير على الحقائق التاريخية فى تصويره للمحاكمة ، ولكنه لايظهر التيارات الاجتماعية والفكرية التى أدت إلى نشوء هذا الموقف ، فهو يصوره من وجهة نظر الشخصيات العليا ، متبعًا فى ذلك المذهب الكلاسيكى فى الدراما ، وهو يصور المأساة الإنسانية للملكة ، وإن كان يحذف أنها أقسمت أنها كانت عذراء عندما تزوجها الملك ، حتى لايجعل كفة الحكم تميل فى صالحها ، وضد الملك ، وربما لم يجد 'المساحة الزمنية' الكافية لرصد كل هذه العوامل .

فالمسرحية تبدأ زمنيًا فى عام ١٥٢٠ وتنتهى بمولد إليزابيث فى عام ١٥٣٣، أى إن الفترة الزمنية تنتهى بنا إلى بداية الهجوم على الكهنوت

والقضـاء على سلطان الكنيسـة الكاثوليكية الرومـانية التى كـان وولزى رمزها الواضح بل وقـوتها الجبـارة . ويقول لنا البـروفسـور بولارد صاحب ترجـمة وولزى إن وولزى كان يمتطى دائمًـا صهوة جواد جامح ، وإنه اسـتغل السلطة البابوية فى انجلتـرا استغـلالاً شديدًا فجنح الفـرس به وأودى به وبها ! أى إن انتهـاء المسرحيـة هو بداية لانهاية ، وإن كـانت نهاية ولزى هى بداية التـحول الذى لم تكن أحوال الملك الشـخصية إلا مظاهره البادية ، بينمـا كانت جذوره تضرب فى تربة الشعب على أوسع نطاق . ويضيف بولارد قائلاً :

« كـان الخـلاف الأسـاسى بين وولزى وهـنرى ينحـصـر فى أن الكاردينال يناصر سلطة الكهنوت ، بينمـا كان الملك يناصر سلطة الدولة ، وهذا هو الذى كان يميـز الكنيسة الرومانية عـن الكنيسة الأنجليكانية ، لا أى مسألة أخرى من مسائل اللاهوت . فالسلطة الأولى فى أيدى القسس والسلطة الثانية فى يدى الملك . . . ولقد أدى سلوك وولزى إلى أن أصبحت الكنيسة سلطة مستبدة ، وكان سلطانها يتـمثل فى تحكمهـا فى أبناء الشعب لا فى طاقتـها على حكم نفسها ، وهكذا فإن انتصار هنرى وضمه الأديرة إلى الدولة أنقذ الكنيـسة الأنجليكانية من السـقوط فى الهوة التى تردت فيـها الكنيسـة وفقًا لمفهوم وولزى ، أى الكنـيسة البابوية المسـتبدة التى تتناقض مع روح حق تـقرير المصـيـر ، وهى الروح التى كـانت تتغلغل فى وجدان الأمة وتعيد تشكيلها » .

Pollard, pp. 369 - 370.

وعندما تنتهى المسرحية بمولد إليزابيث تكون انجلترا قد دخلت مرحلة تحول بطئ يصطرع فيـها دعاة السلفية مع دعـاة التجديد والإصلاح على مـدى عقد

كـامل سجل أحـداثه مؤرخـو الفتـرة ، ولنا فى كتـاب رحلات ليـلاند *The Itinerary of John Leland* شاهد حى على التـحول الاجتماعى الـذى شهدته انجلترا فـى هذه الفترة ، والذى بدأ يـتخذ صـورة بارزة بعد سـقوط وولزى . فزواج الملك هنرى الثامن من آن بولين كان يرتبط فـى نظره وفـى نظر الشعب باسـتقـلال انجلترا كـدولة ذات سيـادة عن سلطان رومـا ، ولايمكن أن يكون الاستقلال كـاملاً طالما كان فى الدولة ممثل للبابا (القاصـد الرسولى) يفرض آراءه على رجال الدين فى البلد ، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن موقف هنرى الثامن من مـسألة الطلاق والأزمـة الشخصـية لم تكن إلا عرضًـا من أعراض التحول ، أما التحول الحقيـقى فهو ما يرصده المؤرخون فى موقف الشعب من الكهنوت وانتشـار روح التنوير الجديدة ، التى ولدت فى ألمانيا بترجـمة مارتن لوثر للكتاب المقـدس ، وكانت قد بذرت بذورها كما قلنا بترجمة ويكليف فى القرن الـسابق ، ثم بلغت أوجـها فى الصـدام بين الملك وبين الكهنوت والذى انتهى بتأميم الأديرة ثم حل الأوقاف فى عهد خليفته إدوارد السادس .

ومن ثم فإن تركيز شيكسبير على المشكلة الشخصية للملك هو تركيز على العرض لا على الجوهر ، والجوهر هو روح التنوير التى كان الملك يرفع لواءها مهمـا يكن من تمسكه بأهداب العقيدة الـسلفية ، وقد تجاهل شـيكسبير قـضية ترجـمة الكتـاب المقـدس إلى الانجليـزية التى قام بهـا وليـام تيندال William Tyndale فى الفترة التى تغطيـها أحداث المسرحية ، وهى التـرجمة التى بدأها بإصدار العهد الجديد فى عامى ١٥٢٥ - ١٥٢٦ ، معتمدًا على الأصل العبرى والأصل اليـونانى لا على النسـخة اللاتينيـة ، وكـان يرمى بذلك إلى توعيـة الشعب من غير المتعلمين (ومن غير رجـال الكنيسة بطبيعة الحال) بما جاء فى

الكتاب المقدس حتى يستطيع كل من يعرف الإنجليزية أن يقرأ الكتاب المقدس وأن يفهمه (ولو قرأه عليه آخرون) وقد طُبع الكتاب فى ألمانيا وتخاطف الشعب النسخ عند وصولها ، وكان من الطبيعى أن يثور عليه كبار السلفيين بحجة أخطاء الترجمة أو لتأثره الواضح بأفكار مارتن لوثر ، ولكن هذه الحجة مردود عليها ، بل إن المترجم نفسه قد رد على انتقادات توماس مور Thomas More للترجمة فى كتاب ضخم ، أظهر فيه تمكنه من اللغات القديمة وإحكامه "للصنعة" إحكامًا لم يسبق له مثيل ، ولكن الفتنة كانت قد بدأت ، ورأى الملك فى عام ١٥٣٠ أن يخمدها بمنع تداول الكتاب ، وأصدر وولزى مرسومًا بمنع حيازة المؤلفات (بما فيها المترجمات) غير المعتمدة من الكنيسة (والمقصود بها طبعًا الكنيسة الكاثوليكية التى يرأسها البابا) .

ويذهب كولتون Coulton فى كتابه عن الحياة فى القرون الوسطى إلى أن معارضة ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات الحية فى أوربا كان وراءها حرص الكهان على الاحتفاظ لأنفسهم بحق تفسير النصوص اللاتينية على نحو ما يناسب أهواءهم ، والواقع أن مفهوم العلم والمدرسة فى العصور الوسطى كان قائمًا على هذا الأساس ، فكان طلب العلم هو طلب الإحاطة باللاتينية وكانت المدارس التى كان يطلق عليها Grammar Schools هى مدارس تعليم الكتابة باللاتينية ، وكانت تقتصر إلى حد كبير على الذين يعتزمون الدخول فى سلك الكهنوت ، خصوصًا من أبناء القادرين أو من "أبناء إخوة" الكهان (أى الأبناء الذين أتوا بهم سفاحًا كما سبق أن أشرنا) فاللاتينية هى لغة العلم ، والعلم هو العلم بالكتاب المقدس وشروحه وتاريخ القديسين والأولياء والصالحين من مفسرين ورهبان ، وهى أيضًا لغة إيطاليا الكاثوليكية والتى كانت تتحول تدريجيا إلى الإيطالية الحديثة ، ومن ثم فإن الاعتصام بالكتاب

المقدس المكتـوب باللاتينية يكفل عزل الكهنوت عن الشـعب ، ويجعل الكاهن صاحب الحق الأوحد فى 'هداية' العامة وتوجيه خطاهم .

وبعث ولزى إلى رجـال الكنيـسة فى كل مـكان يطلب موافـاته بالمتـرجم 'الزنديق' الذى كان يمضى قـدمًا فى ترجمـة العهد القديم (١٥٣٠) وعـملاء وولزى له بالمرصاد ، وما لبث أن بث امبراطور إسبانيا عيونه لمعرفة مكانه ، ثُمّ ألقى القبض عليه فى أنتويرب Antwerp ، وسجن نحو عام ونصف عام فى سـجن بالقرب من بروكـسل ثم أعـدم حـرقًا عـام ١٥٣٦ ، على الرغـم من تشـفع توماس كـرومويل وزير هنرى الثـامن له ، ومن المفارقـات أن النسـخة الانجليزية التى وضـعها أصبـحت أساس النسخة الحـالية المعروفة باسم نـسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس ، وهذا كله مما أغفله شيكسبير بسبب اعتماده على تاريخ انجلتـرا الذى كتـبه هولنشـد فقط . ويجـمل بنا أن نقرأ مـا كتـبه تريفيليان عن نهاية العصور الوسطى التى آذن ذلك بها :

" وفى العقد الذى قام فيه ليلاند برحلاته فى انجلترا (١٥٣٤ - ١٥٤٣) وسجل ملاحظاته عما شاهد وسمع ، قام الملك هنرى الثامن باستخدام البرلمان فى إحداث الثـورة التى أطاحت بالكهنوت ، والتى نستطيع أن نعتـبرها ، دون غيـرها ، أعظم شاهد على انتهـاء المجتمع القـروسطى فى انجلترا . فإن قـيام كنيـسة وطنيـة تتمـتع بالاسـتقـلال وترفض سلطة البـابا أتاح إمكان إخضـاع الكهنوت للسلطة العلمـانية ، وتقسـيم الأملاك الشاسعـة والنفوذ الاجتـماعى للأديرة على أفـراد الشـعب . وكـانت هذه الأحـداث مـجتـمـعـة تمثل ثورة اجتمـاعية. وقد صـاحب تلك الثورة قدر محـدود من التغييـرات الدينية التى سمح بها الملك هنرى الثامن الذى يرى المؤرخون أنه ممن تشربوا الروح الحـديثة التى تدعو إلى نـشر الكتاب المقـدس بالإنجليزية بين جمـيع طبقـات الشعب ،

وإلى القـضاء على الأشكال السـاذجـة للتديّن من تقـديس لتـماثيل الأوليـاء ومخلفات القديسين ، وإلى إنشاء معاهدة علمية تنتمى حقا لروح عصر النهضة فى أكسفورد وكـيمبريدج بدلاً من الفلسفة الاسكولائية الكنسـية والفقه الدينى القـديم ، وكانت هذه الروح الحـديثة تعـتبـر فى نظر هنرى الثامن ضـربًا من الإصلاحات الكاثوليكية القويمة التى يأمر بها الدين الصحيح . ولم يتوقف فى غضون تلك الإصلاحات عن كراهيته للبروتستانت وإضطهادهم ، ولو لم يكن ذاك موقفه فربما فقد عرشه فى ظل المناخ الفكرى السائد آنذاك . ومع ذلك فإنه قد ساهم بهذه الإصلاحات فى إيجـاد نظام اجتماعى وكنسى جديد ، كان من المحال الإبقـاء عليه فى السنوات اللاحـقة وما أتت به من مظاهر التـحوّل دون إقامته على أساس بروتستانتى صريح ".

" كانت حركة الإصلاح فى انجلتـرا حركة سياسية ودينية واجـتماعية فى الوقـت نفـسـه ، وكانت مظاهـرهـا الثلاثـة ترتبـط ارتبـاطًا شـديدًا بعـضهـا بالبعض . . . فـالعداء للكهنوت كان ظاهرة اجتـماعية تتـفق مع شتى أشكال النظر إلى الدين والعقيدة . وكان العداء للكهنوت هو النغمة الأساسية للحركة الفكرية التى أحس بها المثقـفون والعامة جمـيعًا ، وهى التى مكّنَتْ الملك من الانفـصال عن البـابوية وتأمـيم الأديرة وحل الأوقـاف ، فى وقت كان عـدد البروتستانت الانجليز ما يزال يمثل أقلية ضئيلة تعانى من الاضطهاد" .

" كان هنرى الثامن قد تلقى تعليـمه على ضوء المناهج المعادية للكهنوت التى وضعها إرازموس وأصدقائه فى أكسـفورد ، وهم رجال يتمتعون بإخلاص دينى صادق وينتمون للمذهب السلفى القـويم ، وإن كان قد أثارهم وأغضبهم ما كان صغار الكهنة وحقراؤهم يلجأون إليه من تحايل لابتزاز النقود من الجهلة

والمؤمنين بالخرافات . وكان إرازموس وصحبه يناصبون طوائف الرهبان وقسس الطوائف (وتسمى طوائف الإخوان الشحاذين الأربع Four Mendicant Orders)(*) عداءً مستحكمًا باعتبارها الطوائف الداعية إلى تعتيم الجاهلية وجمود الفلسفة الاسكولائية وباعتبارها معادية لدراسة الكتاب المقدس فى أصله اليونانى ، وهو الأصل الذى كان إرازموس وكوليت يعتبرانه معيار الصدق الدينى .

" ولننظر إلى بعض ما كتبه إرازموس فى هذا الباب ، وهو الذى يفصح إفصاحًا صريحًا عن عداء لاهوادة فيه للكهنوت . ففى الكتاب الذى كتبه باللاتينية وأعطاه عنوانًا ساخرًا هو **تقريظ الحماقة** ، نراه يدين الرهبان 'لأنهم يراعون مراعاة شديدة ويحافظون بكل ما أوتوا من قوة على كثير من الطقوس السخيفة البلهاء والقواعد التقليدية التافهة العجفاء' ، ويؤكد أن المسيح لم يكن ليكترث إطلاقًا لهذه الطقوس والقواعد ، وهى التى توسل بها هؤلاء ليكفلوا لأنفسهم معيشة بذخ وترف ، و'التهام اللحم وملء البطون حتى كادت تنفجر' . وهو لايعفى قسس الطوائف 'الحقراء' [الذين يعيشون على الصدقات] ويسخر من وعظهم سخرية مريرة قائلاً : 'إن أسلوبهم فى الوعظ برمّته يوحى بأنهم قد تلقوا دروسًا من الدجالين الطوافين ، وإن كان الدجالون لاشك يتفوقون عليهم كثيرًا' ويواصل إرازموس هذا الهجوم على امتداد صفحات وصفحات .

(*) وهى تشبه الطرق الصوفية لدينا ، وتسمى طوائف الشحاذين لأنها تعتمد على الصدقات ، وكلمة Friar تعنى فى الأصل 'الأخ' ، والطوائف هى طائفة الفرنسيسكان (التى ترتدى اللون الرمادى) وطائفة أوغسطين (إخوان أوستين) وطائفة الدومينيكان (الوعاظ الذين يرتدون الأسود) وطائفة الكرمليين (اللون الأبيض)

" فإن كـان هذا الرجل ، الذى يعتبـر أعظم عالم فى أوربا وأشـد أبنائها ثقافـة ورقة طبع ، والذى كان يحط من قدر الخـطوات الثابتة القوية والمبـاشرة التى اتخـذها مارتن لوثر ، يسـتطيـع أن يكتب مثل هذا الكلام باللاتيـنية عن الرهبان وقسس الطوائف، فلنا أن نتـخيل نبرة الكُتَّاب الشعبـيين الذين هاجموا الكهنوت والذين وجهـوا كلامهم إلى أبناء الشـعب الإنجليزى بلغتـه الوطنية . لقد دارت المـطابع وأصدرت العـديد من أمثـال هذه الهجمـات ، وأثارت فى هجمـاتها طمع الـناس من غير رجـال الدين وطموحـهم إلى الثراء الـفاحش والممتلكات الـشاسعـة للكنيسة والتى كـانت قد فقـدت منذ فتـرة أهم أسلحة دفاعها عن حماها ألا وهو سلاح النفوذ المعنوى والرهبة الدينية .

" وعلى سبيل المثال فقد نشر سايمون فيش كتيبًا بعنوان **ابتهال الشحاذين،** قبل تأميم الأديرة بسنوات قليلة ، وقرأ هنرى الثامن ذلك الكتيب دون أن يظهر أدنى استياء منه ، وقرأه أبناء لندن فأعربوا عن ابتهاجهم البالغ به ، وهو يتوجه فيه بالخطاب إلى الملك قائلاً :

" فى العهـود الغابرة لأسلافك النبـلاء ، تسلل إلى مملكتكم فى مكر ودهاء ، نوع آخـر من الشحّاذين والمتـشردين الذين يلبـسون مسوح القداسة ولايزاولون أى مـهنة ، وهـى مســوح زائفة قوية وبالغة التـأثير (ولايشوبهـا أى ضعف) . . . وهم الأساقـفة ، ورؤسـاء الأديار ، ومقـدمـو الأديار ، والشـمامـسة ، ورؤسـاء الشـمامـسه ، ومـعـاونو الأسـاقفـة ، والكهـان ، والرهبـان ، ورجـال الكنيسة ، وقسس الطـوائف ، وبائعو صكوك الغفران ، والمحضـرون الكنسيـون . ومن ذا الذى يستطيع أن يحـصى عدد هذا الضـرب العاطل الهـدام من الرجـال الذين أخذوا (بعـد أن

نبذوا كل عمل يمارسه الإنسان) يسـألون الناس إلحافًا حتى تمكنوا من الاستيـلاء على أكثر من ثلث مملكتكم كلها ؟ فـهم أصحاب أجمل المقاطعات والمسـاكن ، وأخصب الضياع والأراضى . وهم يسـتولون إلى جـانب ذلـك كله على نسـبـة العشـر من كـافـة المحـاصـيـل ، ومن المروج والمراعى والكلأ والصـوف والمهـور والعـجول والحـمـلان والخنازير والإوز والدجـاج . . . بل إنهم ليـحرصـون بالغ الحرص على الدقـة فى تحصـيل هذه الأرباح ، حتى إن الفـلاحة الفقيرة يجب أن تـقدم إليهم عشر عـدد البيض جميعًا وإلا حـرمت من حقوقها [المقدسة] فى عيد الفصح ، واعتبرت مارقة فى الدين . . . ترى مـا مقدار النقود التى يحصل عليها المحضرون ابتزازًا كل عام ، إذ إنهم يعلنون الناس بالحضور إلى محاكم ممثلى الأساقفة ، ثم يُـعْفُونَهُمْ من طلب الحضور لقاء مبلغ من المال ؟ . . . ومـن تلك التى تقبل العمل بـيديها مـقابل ثلاثة بنسات فى اليوم إذا كان فى وسعـها أن تحصل على عشرين بنسًا فى اليـوم على الأقل فى اليوم لقاء النوم سـاعة مع قس من قسس الطوائف أو راهب أو كاهن ؟ "

والنتيجة التى يـنتهى إليها مؤلف الكتيب هو ضـرورة الاستيلاء على ثروة الكهان وخـصوصًا ثروة الرهبان وقسـس الطوائف ، لصالح الملك والمملكة ، وضرورة قيـامهم بالعمل مـثل غيرهم من الرجال ، بل والسـماح لهم بالزواج حتى يتسنى لهم أن يتركوا زوجات الآخرين فى حالهن " .

G.M. Trevelyan, *English Social History*, pp. 100 - 103

والذى نستشفه من تأمل المهاد التاريخى لأحداث المسرحية أن انجلترا كانت تشهد تغيرًا بطيئًا ولكنه ثابت الخطى نحو الإصلاح الدينى ، ويتجلى ذكاء شيكسبير فى تجميع أحداث ١٣ سنة أو أكثر فى عمل درامى لايستغرق عرضه أكثر من ثلاث ساعات ، إذا رأينا كيف يجعل الملك ممثلاً لطموح الشعب فى إسقاط سلطة الكهنوت ، ويجعل وولزى ممثلاً للكهنوت الذى ينتهى به الأمر إلى السقوط ! وتتجلى عبقريته الدرامية فى إيجاد مساحات الألوان 'الرمادية' أى التى تجمع بين الأبيض والأسود بدرجات متفاوته ، فهو ينصف وولزى على لسان خادم الملكة بعد أن يعرضه لأشد ألوان القدح على لسانها وعلى لسان الآخرين ، وهو يجعل الملك شديد التمسك بالعقيدة السلفية ، شديد العداء لمارتن لوثر وأتباعه ، وللهراطقة المارقين ، حتى وهو يقدم على الإصلاحات الدينية التى يعرفها المتفرج أو قارئ المسرحية ، وهو فى هذا يؤكد الحقائق التاريخية التى يرويها تريڤيليان :

" كان الرأى العام فى انجلترا ، بين عامة الشعب خارج الكنيسة وبين رجال الكنيسة أنفسهم يموج بتيارات متغيرة ومتضاربة ، أى إنه لم يكن قد انقسم فى عهد هنرى الثامن إلى حزبين ثابتين ، حزب الإصلاح والحزب الرجعى ، بحيث يمكن التفريق بينهما بوضوح . وفى خضم هذه الأمشاج المختلطة تمكن الملك من فرض مذهبه الذى يضم العناصر المحددة التى انتقاها من هذا وذاك . فإن سياسته المناهضة للبابوية والأديرة لم ينقذها من الفشل إلا كبار النبلاء المحافظين ، مثلما حدث فى عام ١٥٣٦ عندما قامت الثورة فى الشمال ، التى عرفت باسم 'حركة الحج المبرور' ، إذ تصدى لها لورد نورفوك ، ولورد شروزبرى ، والأسقف جاردنر والأسقف بونر ، وكل منهم

كـان لايقل حدبًا عن الملك علـى إحراق أتبـاع مارتن لوثر . ويذكـر راوز فى كتابه عن تاريخ مقاطعة كورنوول تحت حكم أسرة تيودور (ص٢٢٢) Rowse's *Tudor Cornwall* أن جـمـيع الكبـار الذين انهـمكوا فى تأمـيم الأديرة وحل الأوقاف فى كـورنوول كانوا من الكاثوليك ، ولم يكن من بينهم بروتسـتانتى واحـد . ومـن ناحيـة أخرى فإن رجلين من أعظم المتنورين فى عصـر النهضة الأكاديمية والإصلاح وهما السير تومـاس مور والأسقف جون فيشر (وهما من أعز أصـدقاء إرازموس) فـضّلا الإعـدام على الموافقة على طرح سلـطة البابا وإخضاع الكنيسة للدولة".

المرجع نفسه ص ١٠٨ - ١٠٩ .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن حـاجـة الملك إلى المال كـانت من الدوافع التى جـعلته يتـجه إلى تأمـيم الأديرة ، وقـد يكون ذلك صحـيحًـا ، ولكننا لانسـتطيع أن ننكر مـا يقـوله تريڤـيليان عن 'روح التنوير' التى كـانت وراء استقلال الكنيسة الانجليزية ، ولذلك فإن المواجهات التى تجرى فى المسرحية بين رجال الدين ، خصوصًا تلك السهولة التى يدينون بها أعداءهم ويرسلونهم إلى السجن أو الاعدام ، ونكوصـهم عن آرائهم أمام سلطة الملك ، تؤكد أن الملك كان يواجه فكر التعـتيم القروسطى ، وينشد العدالة للطبقـات الوسطى الناشئة آنذاك .

كان التغير بـصفة عامة فى صالح الطبقات المتـوسطة والأغنياء ، بينما كان قانون حمايـة الفقراء هو البديل الذى استندت إليه الدولة فى رعـاية المتضررين من حل الأوقاف وتأميم الأديرة ، ويقول تريڤيليان :

" كان المذهب البروتستانتى ينزع إلى إضفاء الاحترام والتبجيل على الزواج ، والتفانى فى حياة العمل والإنتاج ، مما يمثل رد فعل عنيف للمذهب القروسطى القائل بأن حياة 'المتديّن' الصادق هى عدم الزواج والانعزال عن الدنيا فى الدير . وكان السماح للقسس بالزواج (بأمر من الملك إدوارد السادس ثم من الملكة إليزابيث) أحد مظاهر هذا التغيير الفكرى . وكان المثل الأعلى البروتستانتى هو المنزل المتديّن ، الذى يقرأ فيه أفراد الأسرة الكتاب المقدس وكتاب الصلوات ، إلى جانب حضورهم صلوات الكنيسة وشعائرها . . .

" وكان اللون الجديد من الدين الانجليزى يعتبر العمل مثلاً أعلى قائلاً إن التجارة والزراعة أنشطة تبذل فى سبيل الله . وكما قال جورج هيربرت :

من يكنس غرفة طاعة لشريعتك

فإنه ينظفها وينظف سريرته !

لقد كان لونًا من الدين المناسب لشعب من التجار والمزارعين" .

(المرجع نفسه - ص ١٢٧)

ويضيف تريليان قائلاً :

" وكان الوقت الذى شهد بذر بذور هذه الأفكار والأعمال التى شاعت وتفشت فى القرن اللاحق ، هو عصر الملك إدوارد السادس وأخته الكبيرة ، بينما كان كرانمر يقوم بإعداد كتاب الصلوات ، والملكة مارى تقتل البروتستانت فتقدم الشهداء الذين لاغنى عنهم لانتشار أى دين جديد . فإذا كانت الثورة المناهضة للكهنوت فى عصر هنرى الثامن قد شابها انقضاض مقيت وشره

بغيض لالتهام ثروة الكنيسة ، فإن الشهداء الذين خلد فوكس Foxe ذكرهم فى كتـابه الذائع ضربوا المثل على التـفانى وأوحوا بذلك الأسـاس الأخلاقى المتين الذين كـان الدين الجديد على مـستـوى الأمة كلهـا يحتاج إلـيه حتى تـتضح ملامحه وتشتد أركانه . وعنـدما جلست الملكة إليزابيث على عرش انجلترا كان الكتـاب المقـدس وكـتاب الصـلوات هما الأسـاس الفكـرى والروحى للنظام الاجتماعى الجديد''. (ص ١٢٨)

وإزاء هذا كله نرى أن نبوءة كرانمر فى ختام المسرحية ليست مجرد حلم ، وليست وهمًـا من الأوهام الجوفاء ، بل هى صورة يرسـمها شيكسبـير للنظام الاجتماعى ، خـصوصًا إذا ذكرنا أبعاد التحول الاجـتماعى الواسع النطاق فى عصر الملكة إليزابيث ، وهذا ما ذهبت إليه الأستاذة فرانسيس ييتس Yates فى كتابها العظيم **آخر مسرحيات شيكسبير** : مدخل جديد (١٩٥٧)

Francis Yates, *Shakespear's Last Plays : A New Approach*, London, 1957

إذ إنهـا تربط بين هذه المسـرحيـة وبين مسـرحـية سـيمـبلين *Cymbeline* باعتبارهما أعمـالاً تبشر بالعصر الجديد ، كما أنها ترى فى احتـفالات التعميد فى نهاية المسرحيـة انعكاسًا لروح الاحتفال بزواج الأميرة الصـغيرة إليزابيث ، على نحو ما فعل فوكس Foakes فى مقدمته الطويلة ، وهى تقدم أدلة تاريخية لاشك فيها علـى اهتمام القراء ورواد المسرح بهذا الزواج وإحـساس العامة فى مطلع القرن السـابع عشر بالتغـيرات التى أتى بها النظام الجـديد ، وتعلق آمال الكثيرين بازدهار الاصلاح البروتستانتى فى العهد الجديد ، واعتبارهم أن الأمير هنرى الصغير (أحد أحفاد هنرى الثامن) لو تولى الملك فسوف يواصل جهود أسلافه المصلحين ، ولكنه توفى فى سن مبكرة . وهى ترى محقة أن المسرحية

تمثل تحقيقًا دراميًا لرؤية التاريخ الإنجليزى باعتباره صراعًا بين سلطة الملك وسلطة البابا ، "والسلطة الأولى قرينة العدالة والنظام والسلم ، بينما تجر السلطة الثانية فى أعقابها الظلم والحروب" ، (ص ٧٠) وأعتقد أن الاتجاه الحديث بصفة عامة يؤكد ويؤيد الربط بين نظرة فرانسيس ييتس إلى المسرحية فى إطارها التاريخى وبين نظرة فوكس Foakes إليها باعتبارها بناءً دراميًا له منطقه الذى يرهص بالنظام الجديد .

وقد سبق أن أشرنا إلى ما ذكره ليجات فى هذا الصدد ، ونضيف اتجاهًا جديدًا فى النظر إلى المسرحية باعتبارها مزيجًا من مسرحية القصر الغنائية الراقصة أو ما يسمى court masque وبين الرومانس ، وأهم الكتب الحديثة فى هذا الصدد تستلهم مقالاً كتبه ج . د . كوكس فى مجلة التاريخ الأدبى الانجليزى ELH ، العدد ٤٥ ، عام ١٩٧٨ بعنوان "هنرى الثامن ومسرحية القصر الغنائية" ، الذى يلتقط فيه الخيط من كتاب الأستاذ ستيفن أورجيل Stephen Orgel بعنوان "وهم السلطة : المسرح السياسى فى عصر النهضة الانجليزية"

The Illusion of Power : Political Theatre in the English Renaissance

الصادر عام ١٩٧٥ ، ولكن أهم كتاب صدر فى الثمانينيات هو كتاب روى سترونج Roy Strong بعنوان الفن والسلطة : احتفالات عصر النهضة فى الفترة ١٤٥٠ - ١٦٥٠ (Art and Power, Renaissance Festivals 1450 - 1650) الصادر عام ١٩٨٤ لأنه يشرح بالتفصيل كيف كانت الموسيقى والرقص واللوحات الاستعراضية tableaux والمواكب processions من العناصر المعترف بها فى الدراما الكلاسيكية ، ضاربًا الأمثلة على تأثيرها الدرامى المباشر فى النظارة باعتبارها جزءًا من نسيج المسرحية ، ومدافعًا عن وجودها فى هذا

النص باعتبارها جزءًا لايتجزأ من 'الحدث' ، فالدراما الحديثة كما نعرف ليست كلامًا فقط ، ولهذا فإن شيكسبير تعمد إدراج الإرشادات المسرحية المطولة تحقيقًا لغرضه ، ونقطة البدء كما يقول سترونج هو أن نحدد نوع المسرحية على ضوء ما 'تفعله' المسرحية لا على ضوء ما نتوقعه منها ، وهو يستشهد بمقال كتبه الناقد الأشهر نورثروب فراى Northrop Frye بعنوان "رومانسة أم مسرحية قصر غنائية ؟" "A Romance or a Masque ?" فى كتاب بعنوان "إعادة النظر فى رومانسات شيكسبير" من تحرير C. McG. Kay و H.E. Jacobs صدر عام ١٩٧٨ ، وبغيره ممن رأى هذه الإمكانية فى **هنرى الثامن** .

ونختتم هذا العرض الموجز بفقرة من مقدمة جون مارجسون ، محرر طبعة نيوكيمبريدج (١٩٩٠) ، يقول فيها :

> أثار النقد الذى كتب فى الآونة الأخيرة سؤالاً آخر لم يجب عليه أحد حتى الآن ، أو قل إنه ربما دلّ على أن الخلاف على المسرحية لم يحسم بعد ، وهو : هل العامل الذى يحدد الصورة الذهنية لمسرحية **هنرى الثامن** ويتحكم فى بنائها ونسيجها معًا ، هو سياقها التاريخى ، أو المناسبة "الجماهيرية" الخاصة التى ترتبط بنشأتها والقضايا السياسية والدينية التى اختلف عليها الناس فى انجلترا إبان حكم الملك هنرى واستمرت تعكر صفو حكم الملك جيمس الأول ؟ هل تعتبر المسرحية عملاً أدبيًا يتصل ويعتمد على إدراك الجمهور لهذه القضايا على نحو ما تفترض فرانسيس ييتس وجلين ويكام Glynne Wickham ؟ أم تعتبر هذه المسائل السياقية هامشية بالقياس إلى الصفات النوعية لمسرحية

الأخلاق والمسرحية التاريخية والرومانسة ومسرحية القصر الغنائية - بعد صهرها فى عمل مسرحى مستقل ؟ وهناك من يقولون إن **هنرى الثامن** ، باعتبارها مناظر مسرحية أو عرضًا مسرحيًا بصريًا، تعتبر لونًا من الدراما الذى يقل فيه عنصر المحاكاة عن عنصر الاحتفالية الذى تنظمه مشاهد ' الفرجة' والطقوس . فالعناصر التى تربط العمل بمسرحية القصر الغنائية توحى ، على نحو ما أشار إليه كوكس Cox وفراى Frye ، بمجتمع مثالى أو لون من الوجود المثالى ، بينما نجد بها أنماطًا مناهضة لتقاليد مسرحية القصر الغنائية وهى تهدم العناصر السلفية السائدة فى المسرحية . ولم يعد هناك فى الواقع أدنى اتجاه إلى نبذ **هنرى الثامن** باعتبارها مسرحية تفتقر إلى الحياة الدرامية ولاتثير اهتمام المتفرج أو القارئ إلى درجة كبيرة '' .

(ص ٣٢)

ويقدم مارجسون بعد ذلك وجهة نظره النقدية الخاصة عن نص المسرحية ، مؤكدًا وحدة العناصر التى تتكون منها وتلتحم فى نسيج متجانس بحيث تعتبر ''لونًا جديدًا من الدراما'' يقع فى مكان وسط بين المسرحية التاريخية والرومانسية ، ويتميز بالتورية الساخرة irony فى البناء والنغمة ، ويصبح لونًا من الدراما التعبيرية من خلال الاستخدام الواسع النطاق لعناصر الفرجة (المناظر الخلابة) والموسيقى والرقص . ويخصص مارجسون جانبًا كبيرًا من مقدمته لمناقشة هذا اللون الجديد من الدراما فيصفه بأنه ''تجريبى'' ، ويقيم الأدلة على الإمكانيات الكبيرة التى أتاحتها هذه النزعة التجريبية لإخراج مسرحية تتقيد بأحداث التاريخ ولاتستطيع تغييرها ومع ذلك تقدم رؤية فنية أصيلة من خلال البناء ، وهو يحلل البناء فى ١١ صفحة كاملة للتدليل على

قوة التورية الساخرة على إخراج هذه الرؤية الفنية ، ويختتم دراسته بأن يؤكد أن المسرحية تقبل تفسيرات كثيرة مختلفة ، سواء باعتبارها محاولة لاكتشاف نمو السلطة الملكية ، أو باعتبارها مأساة اثنين من كبار الأضداد وهما الملكة كاثرين والكاردينال وولزى ، أو باعتبارها عرضًا ساخرًا لفترة تاريخية كان لابد فيها من اتخاذ قرارات حاسمة تتعلق بمستقبل الدولة .

ولا أعتقد أن القارئ العربى سوف يحتاج إلى المزيد من الآراء النقدية للاسترشاد بها فى تفهم هذا النص العسير التفسير ، فما أوردناه يكفى ، وإن كان لابد هنا من إضافة كلمة حول الترجمة المنثورة التى اخترتها وكان يمكن أن تكون نظمًا على نحو ما فعلت فى الفقرتين الواردتين فى أول المقدمة . والسبب الأول فى اختيار النثر بدلاً من النظم هو الذى أوردته فى مقدمتى لترجمة **يوليوس قيصر** (هيئة الكتاب ، ١٩٩١) وهو باختصار محاولة الالتزام الدقيق بالأبنية الفكرية والشعورية للعبارات فى الترجمة ، وعدم تغييرها فى الصياغة المنظومة ، خصوصًا بسبب الخلاف الناشب حول اختلاف الأساليب ونسبة بعضها إلى فلتشر . إذ رأيت أن 'التدخل' بالإيقاع العربى سيضيف حتمًا نغمة غريبة عن هذه الأساليب ، وأن محاولة الاقتراب الحرفى والدقيق من النص الأصلى أصدق للمسرحيات التاريخية وأقرب للحفاظ على 'روح' الوقائع المروية . فالنظم العربى يميل إلى إلغاء البعد الزمنى وإيجاد روح الألفة ، وهذا ما لاتتطلبه هذه المسرحية التى تمثل لقراء العربية وقائع تاريخية حقيقية مرتبطة بزمان ومكان من المحال تجريد أى منهما .

وإزاء الاختلافات الكبيرة فى تفسير النص كان لابد من إدراج هوامش مهمة ، وقد فضلت إدراجها فى نفس الصفحة ، رغم تعطيلها للقارئ ، حتى لا أرهقه بالعودة إلى ثبت فى آخر النص نادرًا ما يعود إليه القارئ فى الأحوال

العادية . كما كتبت الأسماء بصورتها المنطوقة فى النص والمقدمة ، وكثيراً ما كنت أضع الاسم الأجنبى أيضًا لمساعدة من يعرف اللغة الانجليزية ، أما البرولوج والخاتمة فهما مترجمان نظمًا ، وكذلك أغنية القينة للملكة .

وقد اعتمدت فى الترجمة على ثلاث طبعات هى طبعة آردن ، من تحرير فوكس Foakes وطبعة نيوكيمبريدج من تحرير جون مارجسون Margeson وطبعة بنجوين من تحرير جورج هاريسون Harrison ، كما استعنت بالمراجع الشيكسبيرية المعروفة والمذكورة فى سياق المقدمة قبل الترجمة وبعدها ، وعدّلت النص وفقًا لبعض ما عثرت عليه من 'قراءات' أصدق ، ولايفوتنى أن أشكر صديقى الدكتور ماهر شفيق فريد الذى أمدنى بطبعة بنجوين وصديقى ماهر حسن البطوطى الذى أرسل لى من نيويورك طبعتى آردن ونيوكيمبريدج ، وكثيرين من الأصدقاء الذين أمدونى بالمراجع التى استندت إليها فى كتابة المقدمة وخصوصًا الصور الزيروكس من كثير من فصول الكتب والمقالات التى استعنت بها فى التعرف على اتجاهات النقد للمسرحية ومهادها التاريخى ، خصوصًا الدكتور حيان الساعى الذى أرسل لى من لندن معجم شيكسبير (العمدة) من تأليف شميت فى صيف هذا العام .

أرجو أن أكون قد وفقت فى تقديم صورة عربية لمسرحية غير مألوفة لشاعر الانجليزية الأكبر ، فإنها لم تترجم من قبل ، فيما أعلم ، إلا ترجمة ناقصة قام بها فى العشرينيات أحمد محمود العقاد وأحمد عثمان القربى ، ولم أجد لها أى نص عربى حديث .

والله من وراء القصد

محمد عنانى
القاهرة - ١٩٩٦



لوحة تصور الملك هنرى الثامن وهو يطا بقدمه البابا كليمانت ـ وهى اللوحة التى صدّر بها جون فوكس John Foxe كتابه عن تاريخ انجلترا وعنوانه الأعمال والآثار (١٥٨٣) وهى تبين الملك وهو يتلقى الكتاب المقدس من كرانمر بينما يتراجع مندوبو البابا فى فرق وهلع، وتعتبر تجسيدا للرأى البروتستانتى الشائع فى القرن السادس عشر عن انتصار الملك على البابا.



المثل العظيم هنرى إيرڤنج Henry Irving في دور الكاردينال وولزى بمسرح ليسيوم Lyceum عام ١٨٩٢ وقد شاركته البطولة إلين تيرى فى دور الملكة كاثرين.

الملك هنري الثامن

الشخصيات

الملك هنرى الثامن	King Henry VIII
الكاردينال وولزى	Cardinal Wolsey
الكاردينال كامبيوس	Cardinal Campeius
كرانمر رئيس أساقفة كانتربرى	Cranmer
جاردنر أسقف ونشستر	Gardiner, Bishop of Winchester
أسقف لِنْكُنْ	Bishop of Lincoln
دوق بكنجهام	Duke of Buckingham
دوق نورفوك	Duke of Norfolk
دوق سافوك	Duke of Suffolk
لورد سَرِى	Earl of Surrey
لورد آبرجانى	Lord Abergavenny
لورد ساندز	Lord Sands
حامل أختام الملك (رئيس الوزراء)	Lord Chancellor
كبير الأمناء	Lord Chamberlain
سير هنرى جيلفورد	Sir Henry Guilford
سير توماس لال	Sir Thomas Lovell
سير نيكولاس وكس	Sir Nicholas Vaux
سير أنطونى دينى	Sir Anthony Denny
براندون	Brandon
كروميل	Cromwell
الدكتور بَتْسْ : طبيب الملك	Dr. Butts

جريفيث : المنادى الخاص بالملكة كاترين

Griffith, Gentleman–Usher to Queen Katherine

Capuchius	كابوشيوس سفير الامبراطور شارل الخامس
1st, 2nd and 3rd Gentlemen	ثلاثة من السادة
Garter King–at–Arms	جارتر : حارس الملك
Sergeant–at–Arms	ضابط
Porter and his man	بواب وخادمه
Door–Keeper of the Council–Chamber	بواب غرفة المجلس الملكى
Secretary to Wolsey	أمين سر الكاردينال وولزى
Crier, messenger, servant	المنادى ، الرسول والخادم
Queen Katherine	الملكة كاترين ، زوجة الملك هنرى ، التى طلقها
Anne Bullen	آن بولين : وصيفة الملكة ، التى تزوجها الملك بعد ذلك
Old Lady	عجوز : صديقة آن بولين
Patience	بيشَنْسْ : وصيفة من وصيفات الملكة كاترين

لوردات وسيـدات فى العروض المسـرحيـة الصامـتة ، ونساء يخـدمن الملكة ، وكتبة، وضباط ، وحراس ، وأتباع ، وأبناء الشعب .

أرواح

البرولوج

لم آت الآن لكى أضحككم
إذ نعرض هذى المرة أحداثًا ذات خطر
عبس محياها وتجهم
ذات أسى تدعو للفكر وإنعام النظر
بل ذات جلال وألم
ومشاهد ذات سمو تسكب عبرات عبر ! ٥
ولمن يعرف معنى الشفقة
واستحسن ما يشهد أن يذرف دمعة
فالأمر حقيق بدموعه ! أما من دفع نقوده
أملاً فى ترسيخ الإيمان بقلبه
فسيشهد أيضًا صورة صدق حقه
وكذا من جاء ليشهد حدثًا أو حدثين وحسب ١٠
لن يلبث أن يجد التمثيلية مقبولة
فإذا صبر وأبدى الرغبة والحب
فأنا أتعمد أن أجزيه خير جزاءٍ عن إنفاق نقوده
بالعرض الحافل فى ساعات معدودة
لن نخدع إلا من جاء ليشهد مهزلة فاحشة
أو قعقعة دروع الحرب ١٥
أو من جاء ليشهد رجلاً فى ثوب مهرّج

كثرت فيه الألوانُ ، طويل ، وموشىً بحواشٍ صفراء !
فلتعلم يا سامعنا الأكرم أنا لو شئنا
أن نهبط بجلال حقائقنا المنتخبة أو أرخصنا
هذا الأمر بمشهد تهريج أو بعض مبارزة جوفاء
سنكون تنازلنا عن فكر الحكماء ٢٠
والعهد بألا نروى إلا صدق الأمناء
بل إنا نفقد ثقة العقلاء !
إنى استحلفكم يا خير جماهير البلدة
يا من ذاعت أذواقهمو رقة
أن تلتزموا بالجد المنشود ونبرات الشجن المقصود ٢٥
ولنتخيل أنا نشهد أشخاص القصة ذات الرفعة
وكأنهمو بين يدينا أحياء
ولنتصور أنا نشهد تلك النخبة من أهل العظمة
يتبعهم جمهور العامة
وبجهدٍ وعرقْ - من ألف صديق خلصاء
ولننظر كيف انقلبت تلك العظمة
فى لمح البصر إلى مهوى بؤسٍ وشقاء ٣٠
فإذا أحسستم فى ذلك بسعادة
فبنفس المنطق قد يبكى الرجل على نفسه
فى ليلة عرسه !

الفصل الأول

المشهد الأول

[لندن – غرفة فى القصر الملكى]

يدخل دوق نورفوك من باب ودوق بكنجهام من الباب الآخر

ويصحبه اللورد آبرجانى

بكنجهام : عم صباحًا ومرحبًا ! لم أرك منذ لقائنا الأخير فى فرنسا !
كيف حالك ؟

نورفوك : شكرًا لمعاليك ! أنا فى أتم صحة وما زلت فى عجب
مما شاهدته هناك !

بكنجهام : لقد أصابتنى الحمى على غير انتظار
فمكثت رهين المحبس فى غرفتى ٥
أثناء اللقاء بين شمسى المجد والبهاء
أقصد اللقاء بين العَلَميْن الساطعين
فى سهل أندرين .

نورفوك : لقد شهدت اللقاء فى وادٍ بين مدينتى جينيس وآردى
ورأيتهما يتبادلان التحية على ظهور الجياد
ثم يترجلان ويتعانقان حتى أصبحا كالجسد الواحد ! ١٠
ولو أصبحا جسدًا واحدًا
لما بَزَّهُمَا أربعةُ ملوكٍ متوجين !

بكنجهام : كنت طيلة ذاك الوقت حبيسًا فى غرفتى .

نورفولك : لقد فاتك مشهد المجد على الأرض !
قد يقول الناس إن الأبهة كانت بِكْرًا حتى تلك اللحظة
ثم اقترنت ببهاءٍ أغنى وأسمى ! كانت أيام الاحتفال　　١٥
يفوق بعضها بعضًا ، حتى حل يوم الختام فجمع
روائع الأيام كلها ! كنت ترى الفرنسيين اليوم
يتلألؤون فى أردية ذهبية كأنهم أصنام وثنية
يطغى بريقها على سناء الإنجليز ثم تراهم فى الغد　　٢٠
وقد ألبسوا بريطانيا ثراء الهند وأبهتها ![*]
كان كل رجل يبرق كأنه كنز من الذهب !
وكان خدمهم القصار أيضًا يرتدون ملابس موشاة
بالنضار مثل صور الملائكة فى الكنائس ، ونساؤهم كذلك !
إذ لم يتعودْن التعب ، وكاد العرق أن يتفصد منهن
لارتداء تلك الملابس الفاخرة ،　　٢٥
واصطبغت خدودهن بلون وردى كأنه طلاء مصطنع !
كان العرض يوصف ليلة بأنه لايبارى
فإذا كان عرض الليلة التالية
طغى عليه فبدا كالأبله الفقير !
كان الملكان متعادلين فى البهاء
يتبادلان المكانة الأولى والأخيرة فى الحضور والغياب　　٣٠

(*) أى كانوا أقل بهاءً وأبهة حتى بدا الإنجليز بالمقارنة فى ثراء الهند وأبهتها ، وصورة « جمال الهند وكنوزها » واردة فى مسرحية هنرى الرابع الجزء الأول ، التى كتبها شيكسبير أيضًا ، فى الفصل الثالث، المشهد الأول ، البيتين ١٦٦ - ١٦٧ .

فإذا حضر أحدهما كان الأفضل وفاز بالثناء
وإذا حضر كلاهما قال الناس إنهم لم يروا إلا واحدًا
ولم يجرؤ ناقد على التشدق بكلمة تنتقص أيا منهما
وعندما أمر هذان الشمسان (كما يدعونهما)
مناديهما بدعوة الكماة الأشراف للنزال
شهدنا مبارزة لايستطيع الفكر أن يحوطها　　٣٥
ورأينا رأى العين قصص الخوارق
فصدقناها ، حتى لقد آمن الناس
بما رُوِىَ من خرافات بيبس (*)

بكنجهام : لابد أنك تبالغ فى وصفك

نورفولك : قسمًا بكرم محتدى ، وبالتزامى الشرف والأمانة
إن رواية أى شىء مهما يكن من بلاغة الراوى
تفقدها بعض طلاوتها وحيويتها　　٤٠
ولايفصح عن الفعل مثل وقوعه
كان كل شىء ينطق بسناء الملك
ولم يخرج شىء عن موقعه فى تقديم العرض
فساعد النظام فى إبراز مواطن الجمال .
وكان المسؤولون يؤدون واجبهم كاملاً بوضوح وجلاء (**)

(*) بيبس من بلدة ساوثامبتون بطل إنجليزى أسطورى نسبت إليه وقائع خرافية .
(**) السطور من ٤٢ - ٤٥ منسوبة فى طبعة بنجوين (من تحرير جورج هاريسون) إلى بكنجهام خلافًا للطبعات الأخرى ، وخلافًا لشتى طبعات الأعمال الكاملة لشيكسبير وأحدثها طبعة أكسفورد من تحرير كريج .

بكنجهام : ولكن من الذى دبر هذا الاحتفال العظيم ؟ ٤٥
من الذى صوّر جسده وفصّل أطرافه ؟

نورفوك : هو من تحدس ! رجل لا شأن له أصلاً بالموضوع !
وثق فى قولى !

بكنجهام : أرجوك أفصح عنه سيدى !

نورفوك : لقد عُقد الاحتفال بناءً على أوامر القس الأكبر ، ذى النظر
الثاقب ، كاردينال يورك . ٥٠

بكنجهام : وفقه الشيطان ! لا تسلم فطيرة إنسان من أصابعه النهمة(*)
ما شأنه هو بهذه الملاهى الدنيوية الصارخة !
إنى لأعجب كيف يستطيع هذا اللحيم(**) أن يمتص بجسده ٥٥
أشعة الشمس واهبة الصحة ويمنعها من الوصول إلى الأرض !

نورفوك : لاشك يا سيدى أن به خصالاً أصيلة تحفزه
لتحقيق هذه الغايات . فهو لاينتسب إلى سلالة عظيمة
من أمثال من يرسمون طرائق الحياة لأبنائهم ٦٠
ولا هو ممن يُطلب إليهم تأدية الخدمات الجليلة للدولة
بل وليس له معاونون بارزون يسعون بين يديه
ولكنه مثل العنكبوت ينسج بيته من خيوط يفرزها جسمه !
وهذا يوضح لنا أن جدارته هى القوة التى تشق

(*) هذا التعبير فى الإنجليزية الحديثة مصطلح عام to have a finger in every pie ولكنه فى شيكسبير استعارة حية تتطلب النقل بصورتها الحسية بدلاً من مجرد معناها . و (النهم) هنا أصلها (الطموح) .

(**) فى الأصل قطعة من اللحم ، ويتضمن التعبير تعريضًا بأن أباه كان جزارًا .

طريقه فى الحياة ، وهى هبة من السماء ، ٦٥
اشترى له بها مكانًا متاخمًا للملك .

ابرجانى : كيف لى أن أعرف ما وهبته السماء له !؟
فلينظر ذو البصر الثاقب فى هذا الأمر ،
أما أنا فأرى أن كبرياءه تطل من خلال جوارحه جميعًا !
وأنىَّ يأتى بذلك إن لم يكن من الجحيم ؟
الشيطان ضنين بصفاته (*) ، أو قل إنه أسبغها عليه ٧٠
جميعًا كى ينشئ فى ذاته جحيمًا جديدًا !

بكنجهام : قل بحق الشيطان لماذا تصدى بنفسه ،
(ودون استشارة الملك) لتعيين مرافقيه فى رحلته إلى فرنسا ؟
لقد أعد قائمة بجميع أعيان البلد ، وكان يرمى من ذلك ٧٥
أن يتكبد معظمهم نفقات باهظة دون أن يفوز بشرف يذكر !
وقد كتب الخطابات التى أرسلها إليهم بنفسه
رغم عدم مصادقة المجلس الملكى عليها !

ابرجانى : أعرف يا قريبِّى ثلاثة على الأقل ٨٠
باعوا بعض عقاراتهم وأنفقوا جانبا كبيرًا من ثمنها
ولن يعودوا أبدًا إلى سابق ثرائهم

بكنجهام : ما أكثر الذين أنقض ظهورهم رهن ضياعهم
للإنفاق على هذه الرحلة الباذخة . وماذا كانت نتيجة

(*) الكبرياء من الخطايا المهلكة الثلاث - أى الخطايا التى لاينجو صاحبها من النار ، أما الخطيئتان الأخريان فهما الغضب والحسد .

هذا الزهو الأجوف ؟ محادثات لم تثمر شيئًا ذا بال ! ٨٥

نورفولك : يحزننى أن أقول إن اتفاقية السلام التى عقدناها مع الفرنسيين
لاتستحق ما أنفق فى سبيلها !

بكنجهام : بل سرعان ما أعقب الاتفاقية هبوب
تلك العاصفة المقيتة ، حتى لقد اجتمعت آراء الناس ، ٩٠
ودون تشاور فيما بينهم ، على التنبؤ بالنهاية المحتومة
وهى أن تلك العاصفة التى خضبت جلباب السلم
تنذر بتمزيقه فجأة !

نورفولك : وها هى بوادرها ! إذ خرقت فرنسا المعاهدة
وصادرت بضائع تجارنا فى إقليم بوردو . ٩٥

ابرجانى : أهذا سبب إخراس صوت السفير ؟

نورفولك : أقسم إنه كذلك !

ابرجانى : يا له من سلم بالاسم وحسب !
ويا للثمن الباهظ الذى دفعناه فى شرائه !

بكنجهام : عجبًا ! كيف دبر الكاردينال الأعظم ذلك كله ؟

نورفولك : اسمحوا لى يا صاحب السعادة أن أقول ١٠٠
إن رئيس الدولة قد لاحظ الخلاف الشخصى
بينك وبين الكاردينال . ومن ثم فأنا أسدى إليك نصيحة
(صادرة من قلب يتمنى الحفاظ على شرفك وموفور سلامتك)
وهى ألا تُغْفل عند التصدى لخبث الكاردينال

سلطانه النافذ ! وأن تنظر أيضًا فى
قدرة كراهيته على إحداث الأذى ، إذ لن يدخر وسيلة
فى طوقه مهما تكن ! أنت عليم بطبيعته
وتدرك أنه منتقم جبار ، وأنا أعرف أن سيفه
ذو حد بتار قاطع ، وهو سيف طويل ١١٠
يُمكِّنه من الوصول إلى أقصى أهدافه
فإن لم يستطع الوصول قذف به كنصل السهم
فأصاب الهدف !
أرجو أن تنزل مشورتى مكانًا راسخًا فى قلبك
وستجد فى ثناياها السلامة . عجبًا !
ها هى الصخرة قادمة
بعد أن نصحتك بتحاشيها !

[يدخل الكاردينال وولزى ، وأمامه تابع يحمل صندوق ختم الملك ، وبعض الحراس ، واثنين من الكتبة يحملان بعض الأوراق ، وعندما يمر الكاردينال بدوق بكنجهام يحدجه بنظرات احتقار ، ويبادله الدوق النظرات نفسها](*)

الكاردينال : وكيل دوق بكنجهام ؟ أنت هنا ؟ ١١٥
أين تقرير مراجعة حساباته ؟

(*) يقول الشـراح .إن الكاردينال وحاشيتـه يدخلون من باب فى أقصى المسرح ، ويجـرى الحوار بين الكاردينال وكاتبـه دون أن يسمعه الحاضـرون ، حتى ولو سمعـه الجمهور ، ثم يخـرج الجميع من الباب الآخر تاركين بكنجهام وصحبه .

الكاتب : تفضل يا سيدى .

الكاردينال : وهل استعد لمناقشته شخصيًا ؟

الكاتب : نعم يا صاحب الغبطة .

الكاردينال : سنعرف منه المزيد إذن ، وسوف يقلل بكنجهام
من حجم الديون الواردة فى هذا الكتاب الضخم !

[يخرج الكاردينال مع حاشيته]

بكنجهام : إن كلب الجزار ذو أنياب سامة(*) ١٢٠
وليس فى طوقى تكميم فمه !
والأفضل ألا أوقظه من سباته !
إن دفتر الدائن قيمته أكبر من كرم المحتد !

نورفولك : عجبا لك كيف تغضب ؟
اسأل الله الصبر ، فهو الدواء الوحيد لمرضك .

بكنجهام : إنى أقرأ فى نظراته ما يضمره لى من الشر ١٢٥
ولقد اقتحمتنى عينه كأننى أحقر الحقراء
ولابد أنه يدبر لى فى هذه اللحظة مكيدة ما .
لقد ذهب إلى الملك وإذن سأتبعه
وأدحر نظراته بنظراتى الصادقة .

نورفولك : بل اصبر يا مولاى ! ولتقهر حكمتُك سورةَ غضبك ١٣٠

(*) إشارة واضحة إلى أن والد وولزى كان جزارًا ، وشيكسبير يحاكى فى هذا من سبقه من نقاد وولزى مثل وليام روى ، فى قصيدته التى كتبها عام ١٥٢٨ بعنوان « اقرأ أبياتى دون غضب » ، وسكيلتون فى العديد من قصائده.

كى ترسم لك طريق خطاك ! إن الصعود إلى القمم الشماء
يقتضى البطء أولاً ! أما الغضب فهو كالفرس الفائر الثائر
إذ أطلقت له العنان سيكبو !
إنك أرجح عقل أطلب المشورة منه فى إنجلترا
فاطلب لنفسك ما تسديه لصديقك .

بكنجهام : بل سأذهب إلى الملك ، وأتكلم بلسان محتدى الكريم
حتى أمحق صفاقة ذلك المولود فى إيسويتش
أو أعلن أنه لم تعد لعلو المكانة قيمة !

نورفوك : أرجوك استمع لنصحى
إن أعددت أتونًا لعدوك فلا تزد لهيبه ١٤٠
فتكتوى أنت بناره ! إنك إن كنت
تطارد أحدًا وعدوت جموحًا مهتاجًا فلسوف تسبقه ،
فإذا سبقته لم تدركه ! ألا تعلم أن النار إذا
زاد لظاها تحت القدر غلى ما فيه وفار ؟
قد يبدو لك أن السائل يعلو ويزيد
لكن الفائر مسكوب ضائع ! اسمع نصحى ! ١٤٥
إنى لأكرر لن تجد فى إنجلترا من هو أقدر منك
على إرشادك حين تصب رحيق العقل
لتطفئ أوار الغضب أو لتخفف من غلوائه .

بكنجهام : إنى شاكر لك يا سيدى وسوف أعمل بنصيحتك ١٥٠

ولكننى لا أذكر ذلك الشخص الذى بلغ الذروة فى الصلف
بدافع الحقد عليه بل بدافع الإخلاص والصدق
فلدى معلومات استقيتها من مصادرها الصحيحة
وبراهين واضحة مثل الغدران الصافية فى شهر يوليو
تلك التى تكشف لنا عن كل حصاة فى القاع ١٥٥
وهى تدمغه بالفساد والخيانة .

نورفولك : لا تقل إنه خائن

بكنجهام : بل سأقولها للملك وأسوق الدليل عليها صُلْبًا
كصخور الشاطئ ! إن هذا القس مثل الثعلب أو الذئب
أو هو ثعلب وذئب معًا ، إذ يتساوى لديه النهم
بمكر الإيقاع بالفريسة ، والميل للأذى بالقدرة على إحداثه ! ١٦٠
فذهنه يحفزه ومنزلته تمكنه من إظهار سطوته ،
وذهنه ومنزلته يؤثر أحدهما فى الآخر ،
بحيث يظهر السطوة فى فرنسا مثلما أظهرها هنا !
وهكذا فقد أوحى لمولانا الملك بهذه المقابلة الأخيرة
التى تكلفت كثيرًا !
لقد ابتَلَعَتْ مبلغًا كبيرًا من الخزانة العامة
لكنها كانت كالكأس لم تحتمل التنظيف فانكسرت !

نورفولك : هذا هو الواقع حقا !

بكنجهام : أرجوك أن تصغى إلىّ سيدى ! إن هذا الكاردينال الماكر

قد صاغ مواد المعاهدة وفقًا لهواه ، وصادق الطرفان ١٧٠
عليها كأنما قال كن فيكون ! لكنها غير ذات نفع
كأنها عكاز تقدمه لجسد ميت . ولكن رجل البلاط(*) العظيم
ذلك الكاردينال هو الذى أنجزها فلابد أن تكون
على ما يرام ! إن وولزى العظيم (المعصوم من الزلل)
هو الذى فعل ذلك . وبعد ذلك وقع حادث
أعتبره جروًا أنجبته الكلبة العجوز - أى الخيانة ! ١٧٥
إذ حضر الامبراطور شارل متظاهرًا بأنه يريد زيارة
خالته الملكة ، (وهذا هو ما أعلن عنه فى الواقع)
ولكن دافعه الحقيقى هو التحادث سرًا مع وولزى
إذ كان يخشى أن تؤدى المعاهدة بين إنجلترا وفرنسا ١٨٠
وما ينجم عنها من التقارب بينهما
إلى الإضرار بمصالحه ! فمن خلال ائتلافهما أطلت
رؤوس أذى تتهدده ! وهكذا عقد صفقة مع الكاردينال
وفقًا لمصادر معلوماتى الموثوق بها .
والثابت عندى أن الامبراطور دفع إليه المال ١٨٥
قبل أن ينال منه ما وعده به ، وهكذا أجيب إلى طلبه
حتى قبل أن يتقدم به ! فلما شق الطريق رصفه بالذهب
وأفصح الامبراطور عن رغبته فى أن ينقض الملك عهده

(*) طبعة الفوليو تورد count بدلاً من court التى اقترحها بوب واتبعه فى ذلك كل الشراح والمحققين، وبوب يقول إنه يصحح خطأ واضحًا وحسب .

وينتهك معاهدة السلام المذكورة . وإذن فلابد للملك أن
يعرف (وسوف أتولى إطلاعه بنفسى بعد قليل) ١٩٠
أن الكاردينال يشترى ويبيع شرفه وفق هواه
وتحقيقًا لمصالحه الشخصية .

نورفوك : يؤسفنى أن أسمع ذلك عنه وأتمنّى أن يكون اتهامه
قد شابه بعض الخطأ !

بكنجهام : بل لم أخطئ فى حرف واحد ! ولسوف أسوق ١٩٥
التهمة وفقًا لبراهين الإدانة بحذافيرها !

[يدخل براندُن وأمامه ضابط يحمل السلاح ،
وبعض جنود الحرس]

براندن : إلى مهمتك أيها الضابط ! نفذ الأوامر !

الضابط : سيدى ! يا دوق بكنجهام وصاحب مقاطعات
هيريفورد وستافورد ونورثامبتون ! ٢٠٠
إنى ألقى القبض عليك بتهمة الخيانة العظمى
باسم مولانا صاحب الجلالة الملك !

بكنجهام : انظر سيدى اللورد ما يحدث !
لقد وقعت فى الشرك ! وسوف أهلك
بسبب المكر والتآمر !

براندن : يؤسفنى أن تحرم حُرِّيَتَك ٢٠٥
ويحزننى أن أشهد ما يحدث ! ولكن مشيئة صاحب السمو
أن تساق إلى البرج (*)

(*) أى إلى السجن .

بكنجهام لن يجدى أن أدفع ببراءتى ! فقد أصبت بوصمة
: صبغت بالسواد أنصع خصالى بياضًا ! فلنمتثل
لإرادة السماء فى هذا الأمر وفى كل ما عداه ! سمعًا وطاعة ! ٢١٠
وداعًا يا لورد أبرجانى !

براندن لا تودعه فعليه أن يصحبك
: فمشيئة الملك أن تظل فى البرج حتى يبت فى أمرك
ونحيطك علمًا بذلك .

ابرجانى أقول كما قال الدوق وأمتثل لإرادة السماء ٢١٥
: وأطيع أمر الملك .

براندن معى أمر من الملك باحتجاز اللورد « مونتاكيوت » ،
: و « جون دى لاكار » صاحب اعترافات الدوق ،
وشخص يدعى « جلبرت بيرك » وهو أمين خزائنه .

بكنجهام هكذا هكذا ! هؤلاء هم أطراف المؤامرة
: وأرجو ألا يكون هناك غيرهم . ٢٢٠

براندن بل هناك قس من شارترو

بكنجهام : تعنى نيكولاس هوبكينز ؟ (**)

براندن بعينه .

بكنجهام : إن وكيلى كاذب ! فالكاردينال الأعظم قد لوّح له
: بالذهب. إنى لأشهد ساعة أجلى الآن!

(**) تورد طبعات أخرى اسمًا آخر هو مايكل هوبكينز .

وما عدت سوى ظل بكنجهام المسكين

تغشى جسمه فى هذه اللحظة ظُلَّةٌ من الغمام ٢٢٥

تحجب ضوء الشمس الساطعة ! وداعًا أيها اللورد !

[يخرجون]

المشهد الثانى

[نفس المشهد - غرفة فى مبنى المجلس الملكى الخاص]

[صوت الأبواق - يدخل الملك مستندًا إلى كتف الكاردينال ،

مع الأشراف ، والسير توماس لافيل . يجلس الكاردينال

عند قدمى الملك من الناحية اليمنى]

الملك : إن حياتى نفسها وقلبها الخافق

يلهجان بالشكر لك على هذه الرعاية الفائقة

إذ كنت فى مرمى مؤامرة راشت سهامها وصوبتها

فشكرا لك على قَمْعِها ! . نادوا رجل بكنجهام ٥

وليقف بين أيدينا ، وسأسمع اعترافه بنفسى

وروايته المفصلة لخيانات سيده .

[ضجة من خارج المسرح وأصوات تطالب بإفساح

المكان للملكة ، ثم تدخل الملكة يتقدمها دوق نورفوك ،

ومن بعده دوق سافوك . ينهض الملك من العرش

ويرفعها إليه ويقبلها ويجلسها إلى جانبه]

الملكة : بل علىّ أن أطيل الركوع لأنى ألتمس منكم طلبًا .

الملك : بل انهضى وخذى مكانك بجانبنا ! أما طلبك فلا تذكرى ١٠

نصفه الأول ، فأنت تتمتعين بنصف سلطاننا !

وأما نصفه الآخر فقد أجبتك إليه قبل أن تطلبيه !

قولى ما تطلبين وسوف تنالينه !

الملكة : شكرًا لجلالتكم . كل ما ألتمسه هو حبكم لذاتكم

دون أن تتخلوا فى هذا الحب عن شرفكم ١٥

ورفعة مقام سموكم .

الملك : أكملى حديثك يا قرينتنا !

الملكة : لقد ذكر لى نفر غير قليل ، وكلهم من ذوى الإخلاص لكم ،

أن الرعية تشكو مر الشكوى

من الأوامر التى صدرت فى الآونة الأخيرة ، ٢٠

فصدَّعت الإخلاص فى قلوبهم جميعًا ،

ومع أنهم يلومون الذى أصدر الأوامر أى الكاردينال الكريم

فإنهم يوجهون مر اللوم أيضًا إلى جلالتكم باعتباركم

صاحب تلك المطالب الباهظة ! وهكذا فإن الملك

مولانا وسيدنا ، الذى ندعو السماء أن تصون شرفه ٢٥

مما يلوثه ، لم يسلم من جارح القول

ومن الألفاظ التى تزلزل أركان الإخلاص وتقوضه

وتكاد تبدو ناطقة بصوت العصيان الجهير !

نورفوك : بل هى تبدو كذلك فعلاً ! فإن رجال صناعة النسيج
لم يستطيعوا أن يتحملوا هذه الضرائب ومن ثم فصلوا كثيرًا　٣٠
من عمالهم ، من غزّالين وندّافين وقصّارين ونساجين !
ولما كانوا عاجزين عن مزاولة حرف أخرى
فقد باتوا جوعى ! ودفعهم الجوع
وعدم توافر مصادر رزق أخرى إلى الثورة　٣٥
مستميتين فى معارضة الضرائب
والخطر قائم على قدم وساق بينهم .

الملك : الضرائب ؟ علام فرضت وما مقدارها ؟
أيها الكاردينال ! أنت يا من شاركتنا مسؤولية فرضها
هل عامت بهذه الضرائب ؟

الكاردينال : لا تؤاخذنى يا مولاى ! فأنا لا أحيط إلا إحاطة　٤٠
فرد واحد بما يتعلق بأمور الدولة
وإذا كنت فى مقدمة الصف فإن آخرين
يسيرون معى بنفس الخطوات .

الملكة : بلى يا مولاى ! إنك لا تحيط حقًا بما يزيد
عن علم سواك ! ولكنك صاحب قرارات يعرفها الجميع !　٤٥
وهى كالعلقم لمن يعرفها ويتمنى لو جهلها ، ومع ذلك
فلا مناص من إحاطتهم بها ! إن هذه الضرائب (التى
يريد مليكى أن يحيط بها) تؤذى الأسماع ،

وتنقض ظهور من يحملها . ٥٠
يقولون إنك الذى فرضتها - هذا وإلا كان يظلمونك
ظلمًا شديدًا !

الملك : تعودين إلى ذكر الضرائب ؟ ما هذه الضرائب أخبرونا
ما طبيعتها وما نوعها ؟

الملكة : لقد تجاسرتُ أكثر مما ينبغى حين رجوتك الصبر
ولكنْ يشجعنى ما وعدتنى به من عفو ! ٥٥
إن الرعية غاضبة من فرض الاستقطاعات
ومعناها إرغام كل فرد على دفع سدس رأسماله
فورًا ودون إبطاء ! بحجة الإنفاق على
حروبك فى فرنسا !
وهذا هو ما أكسب الأفواه جرأة
ودَفَعَ الألسنة إلى لفظ واجباتها
وجمَّد الولاء فى القلوب الباردة ٦٠
وحلّت اللعنات محل الدعوات
فإذا بالطاعة النابعة من الولاء
تخضع للغضب الجائح فى نفوس الأفراد ٦٥
ولذا فأرجو من سموكم أن تنظروا فى المسألة
على وجه السرعة ، فلا أرى الآن قضية أهم منها .

الملك : أقسم بحياتى إن ذلك ضد إرادتنا .

الكاردينال : أما أنا فقد اقتصر دورى فى الموضوع على التصويت
وبصوت واحد فقط ! ولم أفعل ذلك من تلقاء نفسى ٧٠
بل بعد موافقة المختصين القائمة على الدرس والتمحيص .
أما إذا كان العامة يسلقوننى بألسنة حداد
تجهل طاقاتى وتجهل شخصى
فبئس الرواة لأفعالى وأقوالى !
لابد أن أقول إن هذا هو قَدَرُ من يشغل مكانتى ٧٥
وهو بمثابة الأشواك التى لابد للفضلاء من السير عليها !
ما ينبغى أن نحجم عن القيام بالعمل اللازم
خشية لوم الخبثاء الذين ما فتئوا يلاحقوننا
مثل الأسماك النهمة التى تتبع سفينة اغتنت وازّينت ٨٠
لكنها لاتنقلب إلا بالشوق الأجوف .
إن أعمالنا الجليلة كثيرًا ما ينكرها أو ينسبها إلى الغير
من فى قلوبهم مرض (بعد أن ذاقوا الفشل)
أما أحطّ أفعالنا ، فكثيرًا ما يستحسنها الخبثاء !
فإذا توقفنا عن العمل خشية السخرية من عملنا ، ٨٥
أو توجيه النقد له ، أصبحنا كالأشجار تضرب جذورها
فى التربة هنا حيث نجلس ، أو ظللنا بلا حراك كالتماثيل !

الملك : لا خوف من عمل يؤدَّى على الوجه الأكمل ،
وبالعناية اللازمة ! أما الإجراءات التى

لاتُبنى على مثالٍ سابق فلابد أن نخشى عواقبها ! ٩٠
هل تستند هذه الضريبة إلى مثالٍ سابق ؟
لا أعتقد أن لها سابقة ! يجب ألا نقطع عن رعايانا حماية قوانيننا
ونسيئ إليهم كيفما شئنا ! السدس من كل واحد ؟
إنها لضريبة يرتعد لها القلب ! كيف نقطع من كل شجرة ٩٥
غصونها ولحاءها وجزءًا من جذعها ؟ إننا قد نترك لها
الجذر بعد اجتزاز كل شيء ، ولكن الهواء
سيجرع عصارتها ! أرسلوا خطاباتنا إلى كل مقاطعة
فرضت فيها الضريبة لإعلان عفونا عن كل رجل
رفض إكراهه على دفعها . أرجو أن تتولى ذلك ١٠٠
بنفسك وقد كلفتك بهذه المهمة .

الكاردينال : [**إلى أمين السر جانبًا**] أريد أن أحادثك على انفراد !
اسمع ! اكتب خطابات تتضمن تفضل الملك بالعفو ورفع
الضريبة إلى جميع المقاطعات . ولما كان العامة المتذمرون
ساخطين عليّ ، فاعمل على نشر أخبار تقول إننا تشفعنا ١٠٥
لهم لدى الملك فرفعنا العبء عن كواهلهم
وأتينا بعفو الملك .
وسأحيطك حالاً بما ينبغي أن تفعله فى هذا الشأن .

[يخرج أمين السر ويدخل الوكيل]

الملكة : يؤسفنى غضبك يا صاحب الجلالة على دوق بكنجهام !

الملك : لقد تألم الكثيرون لذلك . فالرجل علاّمةٌ نحرير ١١٠
وحديثه لايجارى ولايبارى ، وقد جادت الطبيعة عليه
بمواهب وافرة ، بل قد تبحر فى الدرس حتى أصبح جديرًا
بتعليم وتخريج كبار المعلمين ، دون الرجوع إلى أحد سواه .
ومع ذلك فإن هذه الخصال السامية قد تضل الطريق ١١٥
إذا فسد القلب ، بل إنها لتتخذ أشكالاً خبيثة
أقبح عشر مرات من سابق جمالها ! كان هذا الرجل الكامل
يُعد من الأعاجيب ، وكان يستولى على أسماعنا ويسحرها
عندما يتحدث حتى لتمر الساعة كأنها دقيقة ! ١٢٠
هذا الرجل يا مليكتنا قد كسى الفضائل التى كان يتمتع بها
أردية شائهة فاصطبغ بالسواد كأنما
كساه سناج الجحيم !
فلتمكثى بجانبنا وسوف تسمعين
من كاتم سره السابق أنباءً تخزن كل شريف ! ١٢٥
هيا أيها الكاردينال ! مُرْهُ أن يعيد على أسماعنا
ما سبق أن قصه من المؤامرات التى حاكها
فمهما سمعنا من تفاصيلها لابد أن نطلب المزيد !

الكاردينال : تقدم أيها الرجل وأخبرنا بلسان جسور
كل ما استطعت أن تجمعه من معلومات عن دوق بكنجهام ١٣٠
تكلم باعتبارك من الرعايا المخلصين !

الملك : تكلم ولا تخش شيئًا !

الوكيل : كان من عادته أولاً أن يقول إنه إذا

مات الملك دون وريث للعرش فسوف يجتهد حتى يستولى على

صولجان الملك ! وكان يدس ذلك القول فى ثنايا حديثه ١٣٥

كل يوم . بل لقد سمعته يقول هذه الكلمات نفسها لصهره

لورد أبرجانى ، ويقسم أمامه أن يثأر من الكاردينال !

الكاردينال : أرجو من سموكم أن تلاحظوا مدى الخطر الكامن هنا

أى إنه إذا فشل فى الوصول إلى عرشكم السامى

فلن يتورع خبث طويته عن تجاوز شخصكم ١٤٠

إلى أشخاص أصدقائكم !

الملكة : سيدى الكاردينال ! أنت علاّمة تعرف معنى الإحسان !

فلتعرض القضية دون تحامل !

الملكة : تكلم أيها الرجل ! قل كيف أقام دعوى حقه فى العرش

إذا لم أنجب وريثًا ؟ وعلى أى أساس ؟ هل سمعته ١٤٥

يتكلم عن ذلك فى أى مناسبة ؟

الوكيل : كان دافعه إلى ذلك

نبوءة جوفاء أدلى بها نيكولاس هنتون (*)

الملك : ومن هو هنتون هذا ؟

الوكيل : إنه يا سيدى قس من الشارترو

(*) 'هنتون' هو اسم المكان لا اسم القس ، ويقول الشراح إن شيكسبير وضع هذا الاسم خطأً مكان اسم 'هوبكنز' .

وهو صاحب اعترافه ، وهو الذى ما فتئ يسقيه
ألفاظ السيادة والملك .

الملك : وكيف عرفت ذلك ؟ ١٥٠

الوكيل : قبيل رحيل سموكم إلى فرنسا ، كان الدوق يقيم فى
قصر الروز ، بأبرشية القديس لورانس بولتنى فى لندن ،
وطلب منى أن أخبره عن رأى أهل لندن
فى رحلتكم المزمعة إلى فرنسا . فقلت له إن الناس ١٥٥
يخشون غدر الفرنسيين وما ينطوى عليه من خطر
على الملك . وعلى الفور قال إن ذلك هو ما يخشاه حقًا
وإنه يؤكد صحة كلمات معينة نطق بها راهب جليل . ١٦٠
ثم أردف قائلاً « كثيرًا ما أرسل لى ذلك الراهب يرجونى أن أسمح
للقس جون دى لاكار بزيارته فى ساعة مناسبة
حتى يحدثه عن موضوع مهم . وبعد أن
أقسم يمين الكتمان جعله يحلف يمينًا مُغَلَّظةً بألا يبوح ١٦٥
بشىء مما يسمع لأى إنسان سواى -
وبعد ذلك قال الراهب بثقة ونبرات بالغة الرزانة
للقس : « أخبر الدوق أنه لن يكتب البقاء للملك
ولا لأى وارثيه ، وحُثَّه على أن يعمل على اكتساب ١٧٠
محبة العامة ، إذ كُتب للدوق أن يحكم انجلترا » .

الملكة : أعرف خير المعرفة أنك كنت وكيل أعمال الدوق

وأنك قد فُصلت من عملك بسبب شكوى مستأجرى الأرض منك!
حذار إذن من اتهام شخص شريف بدافع الحقد
وإلا أفسدت نفسك الشريفة . ١٧٥
أقول لك حذار ، وأرجوك من كل قلبى أن تسمع لى !

الملك : بل فليستمر !

الوكيل : قسمًا بحياتى لا أقول إلا الصدق !
إذ ذكرت لمولاى الدوق أن نبوءة الراهب
قد تكون وهمًا صوره له الشيطان
وأنه من الخطر الارتكان إليها إلى هذا الحد ١٨٠
حتى لاتدفعه إلى أفكار وأهداف يصدّقها
فيعمل على تحقيقها بالمكيدة والمكر !
ولكنه قال إن ذلك هراء
وإنها لن تصيبه بأى أذىً ! ثم أضاف قائلاً
« لو أن الملك قضى نحبه فى مرضه الأخير ١٨٥
لطارت رأس الكاردينال ورأس توماس لافيل ! »

الملك : حقًا ؟ وضيعٌ إلى هذا الحد ؟
حقًا حقًا إنه ليضمر السوء والأذى !
ألديك أدلة أخرى ؟

الوكيل : نعم يا مولاى

الملك : أخبرنا بها . .

الوكيل : عندما كنا فى جرينيتش ، وبعد أن قام سموكم بتوجيه
اللوم إلى الدوق بشأن السير وليام بولمر . . . ١٩٠
الملك : أذكر ما حدث آنذاك ! إذ كان من أتباعى المخلصين
فَضَمَّهُ الدوق إلى رجاله ! لكن استمر . . ماذا جرى ؟
الوكيل : قال حينئذ إنه لو أُرسل إلى البرج ، وهو
ما كان يتوقعه ، لتظاهر بالانصياع ثم أغمد فيه خنجره !
وأوضح ذلك بأنه سيكون قد نفذ خطة والده
إزاء ريتشارد المغتصب ! ١٩٥
إذ طلب أن يقابله عندما كان فى سولزبرى
ولو أجيب إلى طلبه لتظاهر بأداء واجبه وغرس
السكين فى قلبه !
الملك : الخائن الجبار !
الكاردينال : مولاتى ! كيف يحيا الملك فى أمان ٢٠٠
وهذا الرجل حر طليق ؟
الملكة : أصلح الله الأحوال !
الملك : أتريد أن تزيد على ما قلته ؟ أفصح !
الوكيل : وبعد أن أقسم بوالده الدوق ، وبالسكين أيضًا ،
تمطى ثم وضع إحدى يديه على الخنجر والأخرى على صدره
وصعّد ببصره إلى السماء ،
وحلف يمينًا مخيفة معناها ٢٠٥

أنه لو لقى العَنَتَ لفعل ما لم يفعله والده

ولامتاز عليه امتياز الأداء على العزم الخائر !

الملك : تلك غايته ! أن يغمد سكينه فى جسدنا !

إنه معتقل فقدموه للمحاكمة على الفور ٢١٠

فإذا وجد فى القانون رحمة فسوف ينالها

وإذا لم يجد تلك الرحمة فلن أجود بها عليه .

قسمًا بالليل والنهار إنه لخائن من ناصية رأسه

إلى أخْمُصِ قدمه .

[يخرجون]

المشهد الثالث(*)

[غرفة فى القصر الملكى]

يدخل كبير الأمناء واللورد ساندز

كبير الأمناء : لا أصدق أن السحر الفرنسى قد لعب بعقول الناس

فأحدث هذه الألوان الغريبة من السلوك !

ساندز : هذا شأن العادات الجديدة ، مهما تكن مدعاة للسخرية ،

بل مهما انتقصت من صفات الرجولة !

كبير الأمناء : أظن أن الإنجليز لم يكسبوا من الرحلة الأخيرة إلى فرنسا ٥

(*) يتضح من هذا المشهد والمشهد الذى يليه مدى نجاح الكاتب فى ضغط زمن الأحداث إذ إن محاكمة بكنجهام كانت فى سنة ١٥٢١ ولكن الملك هنرى لم يقابل آن بولين إلا فى عام ١٥٢٦ ، وفى تلك السنوات أنعم بلقب البارون على لورد ساندز وأصبح هو نفسه كبير الأمناء !

إلا عادة زم ملامحهم وبسطها أثناء الحديث !
ما أغربها ! إنك إن شاهدتهم وهم يقطّبون
لأقسمت إن أنوفهم نفسها كانت من مستشارى الملك
بيبان أو الملك كلوتاريوس ! (*)
بل انظر كيف يصعرون خدودهم ! ١٠

ساندس : لقد اختلفت طريقة مشيهم كأنهم اتخذوا سيقانًا جديدة !
بل سيقانًا عرجاء ! ويخيل لمن لم يشاهدهم من قبل
أن ورم مفصل الركبة قد تفشى بينهم إلى جانب العرج !

كبير الامناء : قسمًا بالموت يا سيدى اللورد !
إن أزياءهم توحى بملابس الوثنية
بل لتتناقض مع جميع ملابس بلدان المسيحية . ١٥
كيف حالك يا سير توماس لافل !

[يدخل توماس لافل]

ما وراءك من أنباء ؟

لافل : لا شيء حقا سوى المنشور الجديد المعلق على باب القصر !

كبير الامناء : بأى شأن ؟

لافل عن إصلاح أحوال أبطالنا العائدين من فرنسا .
: والذين ملأوا القصر بالمنازعات والضجيج والخياطين ! ٢٠

كبير الامناء : يسعدنى أن أسمع ذلك ! ليت هؤلاء السادة يعلمون

(*) Pepin و Clotharius كانا من ملوك فرنســا فى القرنين السادس والثامن والميـلاديين – وقد تحولا فى كتب التاريخ إلى أساطير ترتبط بالصفات المذكورة .

أن رجال البلاط الإنجليزى لايحتاجون إلى زيارة قصر اللوفر
حتى يتحلوا بالحكمة !

لافل : يقول المنشور إن عليهم أن يتخلوا عن
ملابس التهريج وريش القبعات الذى أتوا به من فرنسا ، ٢٥
وأساليب التمييز بين درجات الشرف
التى تفصح عن الجهل ، مثل المبارزات وإطلاق الصواريخ ،
والإساءة إلى من هم أفضل منهم
كعادة الفرنسيين ، وأن يقلعوا تمامًا
عن إيمانهم برياضة التنس (*) والجوارب الطويلة ، ٣٠
والسراويل القصيرة المزركشة ، وسائر ملابس السياح ،
وأن يعودوا إلى رشدهم مثل الشرفاء ،
هذا وإلا فإن عليهم أن يرجعوا إلى رفقاء لهوهم
فى فرنسا ! وأتصور أنهم يستطيعون هنا ،
بإذن خاص من الملك(**) ، أن يتمادوا ما شاء الله لهم أن يتمادوا
فى فجورهم ، فيضحك الناس منهم ! ٣٥

ساندز : آن أوان إعطائهم الدواء ، فإن أمراضهم أصبحت مُعْدية !

كبيرالامناء : ما أفدح خسارة نسائنا عندما يقلعون
عن هذه المظاهر الجوفاء !

(*) كانت تلك الرياضة شائعة فى فرنسا ومقصورة على الطبقة الراقية فى إنجلترا .

(**) العبارة اللاتينية cum privilegio تعنى حرفيًا « مع التمتع بالحصانة » ولكن الأصل هو التعبير القانونى الخاص باحتكار طبع كتاب من الكتب ، مثل الكتاب المقدس ، وهو cum privilegio ad imprimendum solum ومن ثم فالإشارة هنا إلى معنى الإذن الخاص على نحو ما جاء فى الترجمة .

لافل : لاشك فى هذا ! سيسود الحزن يا سيدى بالتأكيد !
فهؤلاء الأنذال الماكرون يستطيعون أن يقضوا وطرهم ٤٠
بحيل ناجعة - ولايمكنك أن تنافس
أغنية فرنسية ومعزوفة على الكمان !

سانْدز : فليعزف الشيطان بهم ! سيسعدنى أن يغادروا البلاد
فلا شك أنه من المحال إصلاح حالهم !
فإذا ذهبوا استطاع سيد ريفى بسيط مثلى
حُرم العزفَ ردحًا طويلاً من الزمن
أن يعود إلى أغانيه الساذجة ٤٥
فيشنف بها الآذان ساعة أو بعض ساعة
بل قد تعتبر من الموسيقى الحديثة أيضًا !

كبير الأمناء : نعم ما قلت يا لورد سانز ! لم تسقط أسنان شبابك بعد !
أصبت يا سيدى اللورد ! بل ولن تسقط

سانْدز : طالما ظللت أَدِبُّ على الأرض !

كبير الأمناء : [**إلى لافل**] ولكنك لم تقل لى أين كنت ذاهبًا
يا سيد توماس ؟
إلى قصر الكاردينال ، حيث دُعيتَ أنت أيضًا ! ٥٠

لافل : كدت أنسى ! إنه يقيم الليلة حفلة عشاء عظيمة

كبير الأمناء : دعا إليها كثيرًا من الأعيان رجالاً ونساءً
وستحضرها بالتأكيد أجمل جميلات المملكة

لافل : إن لذلك الكاهن نفسًا فياضة ٥٥
ويدًا مثمرة كالأرض التى نأكل من خيرها
وأنداؤه تسَّاقط على الجميع .

كبير الأمناء : لاشك فى نبله ، ولايقول بغير ذلك إلا أسود اللسان !

ساندز : قد حُقَّ له ذلك يا سيدى اللورد ! فلديه كل ما يؤهله لذلك ،
فإن أمسك يده كانت خطيئة أقبح من فساد العقيدة ٦٠
وعلى الرجال من أمثاله أن تسخو أيديهم
كل السخاء ، فهم قدوة تحتذى !

كبير الأمناء : وهم لاشك قدوة ! ولكن ما أقل الذين يظهرون مثل
ذلك الكرم العظيم ! إن سفينتى فى انتظارى (*)
لاتتخلف يا سيدى اللورد . هيا بنا يا سير توماس الكريم
وإلاّ تأخرنا عن موعدنا ، وذلك ما لا أرضاه ، ٦٥
إذ إننى قد تلقيت التكليف بأن أتولى مع السير هنرى
جيلفورد إدارة حفل الليلة .

ساندز : أنا طوع أمرك .

[يخرجون]

(*) كان للوجهاء سفن تقلهم من مكان إلى مكان فى نهر التيمز .

المشهد الرابع

قاعة فى قصر يورك ـ تعزف المزامير

منضدة صغيرة أمام مقعد مرتفع للكاردينال ، ومنضدة أكبر

للضيوف ، ثم تدخل آن بولين وشتى الآنسات والسيدات والسادة

من الضيوف من باب ، ويدخل السير هنرى جيلفورد من باب آخر

جيلفورد : أيتها الآنسات والسيدات ! إن صاحب الغبطة يرحب بكن جميعا
فأهلاً وسهلاً بكن ! لقد وهب هذه السهرة للحُسْن والمرح !
وهو يرجو أن تكون كل واحدة
فى هذه الزمرة من النبيلات
قد طرحت كل ما يشغل بالها خارج هذه القاعة !
وهو يود أن يسود الفرح والسرور ٥
بقدر ما تبعث عليه الصحبة الطيبة والنبيذ الحسن
والترحاب الحار بين أخيار الناس !

[يدخل كبير الأمناء واللورد ساندز والسير توماس لافل]

أهلا بك سيدى اللورد ! كيف تأخرت ؟!
إن تفكيرى فى هذه الطاقة من الفاتنات
جعلنى أطير بجناحىّ إلى المكان !

كبير الأمناء : أنت شاب يا سير هنرى جيلفورد !

ساندز : سيدى سير توماس لافل ! لو كان الكاردينال ١٠
يتمتع بنصف أفكارى الدنيوية

لقدم لهؤلاء الحسان بعض المرطبات قبل أن يجلسن !
فهذا من شأنه أن يسرّهن حقا ! قسمًا بحياتى
ما أرق هذه الزمرة من الجميلات !

لافل : أتمنى لو كنت أنت صاحب اعتراف واحدة أو اثنتين ! ١٥

ساندز : ليتنى كنت كذلك ! إذن لجعلت التكفير عن الخطيئة
سهلاً ميسرًا !

لافل : سهلاً إلى أى حد ؟

ساندز : بالسهولة التى يوفرها الفراش الناعم !

كبير الأمناء : أيتها الجميلات ! أرجوكن الجلوس ! أرجو أن تتولى
يا سير هارى إرشاد الواقفات فى هذا الجانب إلى مقاعدهن ٢٠
وسأتولى أنا الجانب الآخر ! لقد دخل صاحب الغبطة .
لا لا ! لاينبغى هذا الجمود ! ولايصح أن تجلس
اثنتان متجاورتين وإلا بردت حرارة الجو !
سيدى اللورد ساندز ! أنت الذى سيضمن اليقظة
فى أجفانهن ! اجلسْ بين هذه الآنسات !

ساندز : أقسم إنى أود ذلك وأشكر معاليكم ! ٢٥
أرجو الصفح يا آنساتى الرقيقات إذا أفلتت منى عبارة رعناء
اغفرن لى فقد ورثت ذاك من والدى !

آن بولين : هل كان مجنونًا يا سيدى ؟

ساندز : بل مجنون حقا ! فاض به الجنون وبَرَّحَ به العشق !

لكنه لم يكن يعض أحدًا (*) ، بل
يقبل الفتاة عشرين قبلة فى نَفَسٍ واحد !
مثلما أفعل الآن ! [**يقبلها**]

كبير الأمناء : أحسنت يا سيدى اللورد ! وهكذا جلس الجميع ! ٣٠
أيها السادة ! ستجب عليكم الكفّارة إذا قضت هذه الجميلات
وعلى وجوههن العبوس !

ساندز : أبرشيتى صغيرة ! وكذا كفارتى !(**) دعونى وحدى !

[موسيقى المزامير ، يدخل الكاردينال وولزى ويجلس فى مكانه]

الكاردينال : مرحبًا بكم يا ضيوفنا الكرام ! أرجو من الجميع ،
آنساتٍ وسيدات وسادة ، أن يطلقوا العنان للمرح ٣٥
وإلا كانوا يخاصموننى ! فلنشرب نخب صحتكم جميعًا
تأكيدًا لترحابى !

ساندز : إنكم يا صاحب الغبطة نبيل
وأريد قدحًا كبيرة أودعها آيات شكرى
فتتولى عنى التعبير عنه !

الكاردينال : سيدى اللورد ساندز ! أنا ممتن لك ! ٤٠
وعليك أن تدخل البهجة على من تجلس إلى جوارهن !

(*) كان المعتقد أن المجنون يعض الناس ، وقد وردت عبارة مماثلة فى مسرحية **أنطونيو وكليوباترة** (شيكسبير) فى الفصل الثانى، المشهد الخامس، السطر ٨٠ : « ادع العبد أن يرجع / فأنا على ما بى من جنون لن أعضه ! » .

(**) فى الأصل cure تعنى علاج الخطيئة أو التكفير عنها وهو واجب قسيس الأبرشية والترجمة تورد المعنى المزدوج المضغوط فى التورية ، فى كلمتين منفصلتين .

أين المرح أيتها الآنسات والسيدات ؟
من المسؤول عن ذلك أيها الرجال ؟

ساندز : لابد أن يصعد النبيذ الأحمر أولاً إلى خدودهن الجميلة
وعندها ستنطلق ألسنتهن يا سيدى اللورد
حتى ما نجد فرصة للحديث !

آن بولين : سيدى اللورد ساندز ! إنك تحب اللهو واللعب ٤٥

ساندز : خصوصًا إذا ربحت
فلأشرب نخبك يا آنستى ، فهو نخب نجاحى !

آن بولين : لن تستطيع ربح شىء !

[صوت الطبل والنفير وطلقات نارية]

ساندز : قلت لمعاليكم إنهن لن يلبثن حتى يثرثرن !

الكاردينال : ماذا كان ذلك ؟

كبير الامناء : فلينظر بعضكم ماذا حدث .

الكاردينال : ما هذه الأصوات الحربية وما غايتها ؟ ٥٠
لاتخشين شيئًا آنساتى سيداتى
فجميع قوانين الحرب تمنحكن امتيازات خاصة .

[يدخل خادم]

كبير الامناء : ماذا حدث ؟ ماذا كان ذلك الصوت ؟

الخادم : جماعة من الأجانب ، يبدو أنهم من النبلاء ،
رست سفينتهم عند مرسانا وهم فى طريقهم إلينا
سفراء نابهين لأمراء من الأجانب ٥٥

الكاردينال : يا كبير الأمناء الكريم
اذهب فقابلهم بالترحاب اللائق
فأنت تتحدث الفرنسية وأرجوك أن تحتفى بهم
وتأتى بهم إلى حضرتنا حيث تسطع شمس هذا الجمال عليهم
بسناها وسنائها . فليرافقه بعضكم . ٦٠

[ينهض الجميع وتُرفع الموائد]

معذرة أيها الضيوف لقطع حبل المأدبة
لكننا سوف نصل ما انقطع ! تفضلوا كلوا هنيئًا مريئًا
ولينهمر ترحيبى بكم من جديد . أهلاً وسهلاً بكم .

[موسيقى المزامير يدخل الملك(*) مع آخرين يلبسون الأقنعة ، ويرتدون ثياب الرعاة ، يتقدمهم كبير الأمناء ، فيمرون على الفور أمام الكاردينال ويقدمون له التحية الرسمية]

تلك زمرة من الأشراف لاشك ماذا يبتغون ؟

كبير الأمناء : إنهم لايعرفون الإنجليزية ولذلك طلبوا منى أن أقول لكم ٦٥
يا صاحب الغبطة إن خبر هذه الحفلة الرائعة
التى تجمع بين كرم المحتد وسحر الجمال
قد تناهى إلى أسماعهم فصمموا على الحضور هذا المساء !

(*) وجود الملك فى هذه الحفلة من ابتداع شيكسبير ، فالملك لم يحضر الحفلة ولم يقابل آن بولين فيها !

لم يستطيعوا بسبب ما يكنونه للجمال من تقدير
إلا أن يتركوا قطعانهم(*) ويلتمسوا من سعادتكم ٧٠
السماح لهم برؤية هذه الآنسات وقضاء ساعة
سرور وطرب معهن .

الكاردينال : قل لهم يا كبير الأمناء إنهم قد شرفوا منزلى المتواضع
وأنا أقدم لهم ألف شكر على ذلك
وأرجوهم أن يشاركونا السرور والطرب .

[الضيوف يختارون من يرقص معهم ،
ويختار الملك آن بولين]

الملك : أجمل يد لامستها فى حياتى ! أيها الجمال ! أنا لم أعرفك ٧٥
قبل الآن

[تستمر الموسيقى ويستمر الرقص]

الكاردينال : سيدى .

كبير الأمناء : صاحب الغبطة .

الكاردينال : أرجو أن تخبرهم على لسانى
أن من بينهم شخصًا أجدر بهذا المكان منى
وأننى لو عرفته فسوف أتنحى له عن مكانى
بدافع الحب والواجب جميعًا . ٨٠

كبير الأمناء : سأخبرهم يا مولاى .

[يتهامس مع المقنعيّن]

(*) باعتبارهم من الرعاة ، حسبما ورد فى الإرشادات المسرحية .

الكاردينال : ماذا يقولون ؟

كبير الأمناء : يقولون إن مثل هذا الشخص موجود فعلاً
ويطلبون من غبطتكم أن تتعرفوا عليه
ولا مانع لديه فى أن يأخذ مكانكم .
فلأنظر فيمن حولى ! أرجو عفوكم يا سادتى الأفاضل !

الكاردينال : هذا هو ! لابد أن يكون ذلك هو الملك . ٨٥
[**طارحًا قناعه**] لقد تعرفتَ عليه حقا أيها الكاردينال !

الملك : ويا لها من حفلة رائعة ! أحسنت أيها اللورد !
لو لم تكن كاهنًا أيها الكاردينال لساء ظنى بك !
يسعدنى أن جلالتكم مسرور !

الكاردينال : يا كبير الأمناء ! أرجوك اقترب قليلاً ! ٩٠

الملك : من هذه الغادة الفاتنة ؟

كبير الأمناء : ابنة السير توماس بولين ! وهو ڤايكاونت روتشفورد !
وقد يسر جلالتكم أن تعرف أنها إحدى وصيفات الملكة !(*)

الملك : قسمًا بالسماء إنها رقيقة وممتعة !
حبيبة الفؤاد كيف أطلب الرقص معك ولا أقبلك ؟ ٩٥
فلنشرب نخبًا فى صحتكم جميعًا يا سادة !

(*) بوب يغير ترتيب العبارات فى هذه الإجابة على النحو التالى :
« إذا سمح لى جلالة مولاى ، إنها ابنة السير توماس بولين ڤايكاونت روتشفورد ، وإحدى وصيفات الملكة » .
أما فى طبعة الفوليو (التى تتبعها طبعة البنجوين) فالسطران ثلاثة أسطر وفقًا لما هو وارد فى الترجمة ، وقد فضلت اتباع ما جاء فى الطبعة القديمة والالتزام به .

الكاردينال : هل أعددت المائدة يا سير توماس لافل
في القاعة الداخلية الخاصة ؟

لافل : نعم يا سيدى .

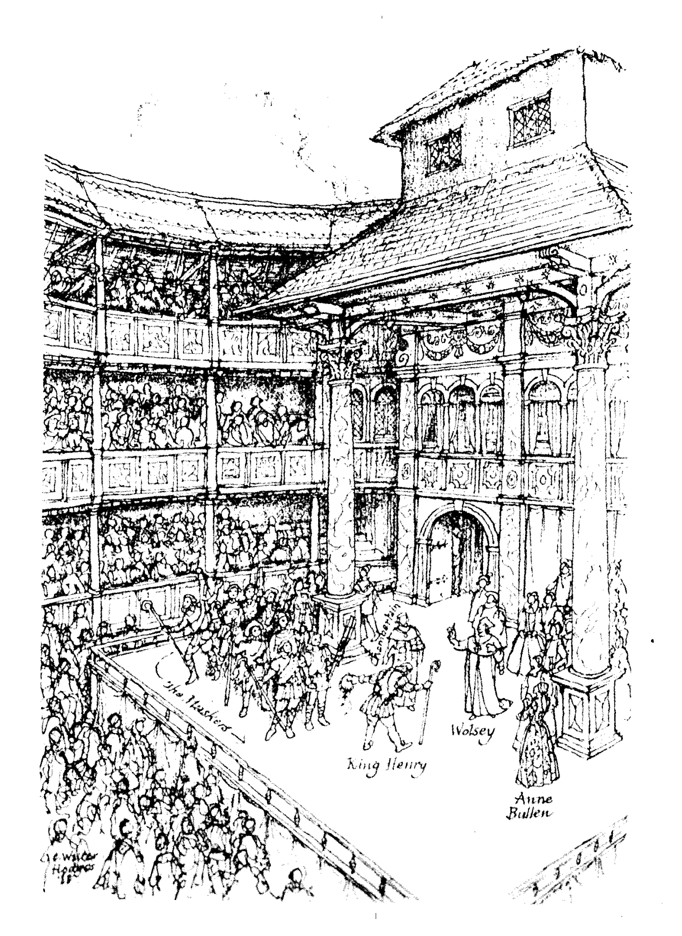
الكاردينال : أخشى يا مولاى أن يكون الرقص قد أجهدكم بعض الشىء !

الملك : بل أجهدنى كثيرًا ! ١٠٠

الكاردينال : الهواء نقى منعش يا مولاى فى القاعة المجاورة .

الملك : ننتقل إليها إذن ! فليتقدم كل رجل وزميلته فى الرقص !
لن أستطيع يا زميلتى الرقيقة أن أتخلى عنك : هيا معى
فهذا واجبى ، ولنفرحْ ونمرحْ ! يا أيها الكاردينال الكريم
سنشرب ست كؤوس فى صحة هذه الفاتنات ،
وتعزف الموسيقى كى نرقص رقصة أخرى ١٠٥
ثم نحلم بالفوز بالمركز الأول ! فلتعزف الموسيقى !

[يخرجون على أنغام الأبواق]



الفصل الاول ـ المشهد الرابع ـ لوحة تمثل الحفلة فى منزل الكاردينال وولزى فى مسرح الجلوب يوم ٢٩ يونيو ١٦١٣، رسمها الرسام ك . والتر هودجز، وتظهر فى اعلى الصورة اولى سحائب الدخان الناجم عن الحريق الذى اتى على المسرح.

الفصل الثانى

المشهد الأول

وستمنستر - شارع - يدخل سيدان من بابين متقابلين

ويلتقيان

السيد الأول : إلى أين وفيم العجلة ؟

السيد الثانى : وقاك الله ! إلى قاعة المحكمة الكبرى

لأعرف مصير دوق بكنجهام العظيم !

الأول : سأوفر عليك التعب ، فقد انتهت المحاكمة ٥

ولم يبق إلا إجراءات العودة بالسجين .

الثانى : هل شهدت المحاكمة ؟

الأول : شهدتها كلها !

الثانى : أرجوك قل ما حدث !

الأول : كما توقعتَ تماماً !

الثانى : ثبتت عليه التهمة ؟

الأول : نعم وحكم عليه بالاعدام .

الثانى : كم يؤسفنى ذلك .

الأول : ويؤسف كثيرين غيرك !

الثانى : وكيف كان ذلك ؟ ١٠

الأول : لن أطيل عليك . أتى الدوق العظيم إلى المحكمة

وأنكر التهمة الموجهة إليه ، وأدلى ببراهين قوية

ليفلت من قبضة القانون ، ولكن النائب العام　　١٥

برع فى استجوابه ، وأدلى بأدلته ،

واستند إلى اعترافات مختلف الشهود الذين طلب الدوق احضارهم !

وهكذا مثل من شهود الإثبات وكيل الدوق ،

ثم أمين خزانته السير جلبرت پيرك ،　　٢٠

ثم صاحب اعترافه جون كار ،

ثم ذلك الراهب الشيطان هوبكنز

الذى تسبب فى تلك الكارثة !

الثانى : أهو الذى سقاه من كأس نبوءاته ؟

الأول : هو نفسه ! وكانت الأدلة التى ساقوها ضده دامغة !

ورغم محاولاته دحض تلك الأدلة فقد باء بالفشل !　　٢٥

وهكذا حكم أقرانه من النبلاء بإدانته بتهمة الخيانة العظمى .

لقد تكلم طويلاً ، وأظهر التبحر فى العلم عند محاولته

انقاذ حياته ، ولكن أقواله لم تفلح

إلا فى إثارة الشفقة عليه ، بينما تجاهلها القضاة !

الثانى : وماذا كانت حاله بعد ذاك كله ؟　　٣٠

الأول : عندما عاد الحراس به إلى المحكمة ليسمع ناقوس نعيه ،

أى الحكم الصادر عليه ، بدت عليه آثار الألم المبرّح

حتى لقد تصبب منه العرق ،

وتفوه بألفاظ تنم على الغضب والمرض والتعجل ،

لكنه سرعان ما استعاد رباطة جأشه ، ورقة حاشيته ، ٣٥
وأظهر بعد ذلك أبلغ آيات الصبر الجميل !

الثانى : لا أظنه يخشى الموت !

الأول : إنه حقا لا يخشاه ، ولم يكن يوماً ما جباناً* إلى هذه الدرجة !
ولكن سبب الحكم باعدامه هو الذى يؤلمه بعض الشئ .

الثانى : لا شك أن الكاردينال هو الذى دبر كل ذلك . ٤٠

الأول : محتمل ! بل هو ما ترجحه الشواهد جميعاً ! فهو الذى فصل
لورد كيلدير نائب الملك فى حكم أيرلندا وصادر أملاكه
وما أن تخلص منه حتى أرسل مكانه اللورد سَرِى ،
وعلى وجه السرعة أيضاً حتى تفوته فرصة مساعدة صهره !

الثانى : تلك أحبولة عميقة الجذور من أحابيل السياسة ،
ودافعها الحسد !

الأول : لكن اللورد سرى سوف يثأر لصهره عندما يرجع ولاشك ! ٤٥
لقد لاحظ الجميع أنه ما من شخص يحظى بحب الملك ،
حتى يجد الكاردينال عملاً آخر له ، وبعيداً عن البلاط أيضاً !

الثانى : إن العامة جميعاً يكرهون الكاردينال
بل يبغضونه بغضاً شديداً . وأشعر فى قرارة نفسى ٥٠
أنهم يودون لو كان يرقد على عمق عشر قامات فى الأرض !
لكنهم يحبون الدوق ويكنون له كل احترام !

(*) فى الأصل womanish أى مثل المرأة ، وهى كلمة غريبة على شيكسبير ، والشراح يظنون أنها مدسوسة عليه .

وكنيته لديهم هى ذو الكرم والنِّعَمْ ،
مرآة الذوق الرفيع واللباقة !

[يدخل بكنجهام من باب المحكمة ، وأمامه الكتبة وحد بلطة الجلاد موجه إلى عنقه ، وحاملو الرماح على الجانبين ، معه السير توماس لافل والسير نيكولاس فوكس ، والسير والتر ساندز ، وبعض العامة] .

السيد الأول : انتظر هنا سيدى حتى ترى النبيل الذى أخنى عليه الدهر !

السيد الثانى : فلنقترب منه حتى نراه

بكنجهام : يا أيها الكرام جميعاً ! يا من قطعتم هذه المسافة　　٥٥
كى تظهروا العطف والثقة بى
استمعوا إلى ما أقول ثم عودوا إلى بيوتكم
واحتسبونى بين الموتى . لقد صدر علىّ اليوم حكم بالخيانة
وسوف أموت مدانًا بهذه التهمة . لكننى أشهد السماء
على أننى مخلص ! وإذا كان عندى ضمير
فليته يقذف بى فى وهدة العدم　　٦٠
من قبل أن يمسنى نصل الجلاد . أنا لا أناصب القانون العداء
فقد أخذت العدالة مجراها بافتراض صحة الأدلة
ولكننى كنت أود ممن سعوا فى هلاكى أن يكونوا
أقرب إلى خصال المسيحية . ومع ذلك ، ومهما يكونوا ،

فإننى أصفح عنهم من أعماق قلبى . ٦٥
ألم يكن الأولى بهم أن يحققوا أمجادهم
بغير الأذى والإساءة ؟
وألا يبنوا شرورهم على قبور العظماء ؟
إذ إن دمى البرئ لابد أن يصرخ مطالباً بالثأر !
لقد انقطع أملى فى أن أعيش أكثر مما عشته
فى هذه الدنيا ، ولن أتضرع لطلب المزيد ،
رغم أن الملك قادر على أن يعفو ٧٠
على مالا أجسر عليه من الخطايا .
لكننى يشق علىّ فراقكم يامن أحببتم بكنجهام ،
على قلتكم ، ومن جرؤتم على رثائه .
لا مرارة فى الموت إلا مرارة هذا الفراق !
سيرُوا معى إذن مثل ملائكة الخير إلى حيث ألقى مصيرى ٧٥
وعندما يهوى النصل الفولاذى الفاصل على رقبتى
قدموا صلواتكم قرباناً شافعاً يرفع روحى إلى السماء
فلتصحبونى باسم الله !

لافل : أتضرع إلى سعادتكم أن تحسنوا إلىّ
وإذا كنتم تضمرون ذرة من الحقد فى قلبكم علىّ ٨٠
فأرجو أن تعلنوا صفحكم صراحة !

بكنجهام : يا سير توماس لافل ! إنى لأصفح عنكم مخلصاً ،

صفحاً أرجوه لنفسى ، بل إنى أصفح عن الجميع .
فلم يصبنى من الإساءات ما لا يحصى
حتى أعجز عن الصفح عنها
ولن يُبنى قبرى من الحسد الأسود . ٨٥
اذكرنى عند صاحب الغبطة ، فإذا سألك عن بكنجهام
فأرجو أن تقول له إنك لقيته وإحدى قدميه فى السماء
ومازلت حافظاً لعهودى ودعواتى للملك
وسأظل أبتهل لله أن يباركه
حتى تصعد روحى إلى بارئها . فليمد الله فى عمره ٩٠
سنوات لا أقوى على عدها .
وليستمر فى الحكم عاهلاً محباً ومحبوباً
وعندما يقضى الدهر التليد بالنهاية المحتومة
فليدفن مع الخير معاً فى ضريح واحد .

لافل : مهمتى أن أصحبكم حتى شاطئ النهر ٩٥
ثم أعهد بالمهمة إلى السير نيكولاس ڤوكس ،
فهو الذى سيمضى معكم إلى حيث تنتهون .

ڤوكس : استعدوا أيها الرجال فالدوق قادم
احرصوا على إعداد السفينة
وتزويدها بالأثاث الذى يليق بجلال قدره .

بكنجهام : لايا سير نيكولاس ! بل اتركوها كما هى ! ١٠٠

إن حالى الآن يسخر منى ويضحك !
عندما قدمت إلى هنا كنت دوق بكنجهام ورئيس جهاز الشرطة
أما الآن فأنا إدوارد بوون – فرد لا حول له ولا طول !
ومع ذلك فأنا أغنى نفساً من الحقراء الذين رمونى بالتهم
والذين لم يدركوا يومًا معنى الصدق . ١٠٥
إننى أضع خاتم الدم عليه ، وسوف أجعلهم بهذا الدم
يصرخون ذات يوم ألمًا وندما !
كان والدى النبيل هو هنرى دوق بكنجهام
الذى كان أول من عارض ريتشارد المغتصب
ولما أحدق به الخطر طلب الغوث من خادمه بانيستر
ولكن ذلك الوغد خانه ووشى به ، ١١٠
فكان مصيره الإعدام دون محاكمة ! عليه رحمة الله !
ولذلك فلما تولى هنرى السابع حكم المملكة
أحزنه مصير أبى وفعل ما يفعله كل أمير شريف
إذ رد لى شرفى ومنزلتى
ومن بين الأطلال أعاد بناء اسمى النبيل الشامخ . ١١٥
وها هو ابنه هنرى الثامن يجردنى بضربة واحدة
من الحياة والشرف والألقاب وسعادة الدنيا كلها !
ولكننى قد مثلت للمحاكمة على أى حال
وهى محاكمة قانونية لاشك جعلتنى أسعد حالاً

من أبى المسكين ، وإن كان كلانا قد لقى نفس المصير .		١٢٠
إذ إن كلا منا قد راح ضحية خدمه ،
وضحية للرجال الذين أحببناهم حباً جماً ،
فيالها من خدمة خئون تنافى الطبيعة .
لكن للسماء حكمة فى ذلك !
ولذلك فإننى أقول لكم قولاً ثابتاً
يا من تستمعون إلىّ الآن وأنا على شفا الموت		١٢٥
حذار ممن تحبونهم كل الحب وتسروّن إليهم بأسراركم
لا تسرفوا فى الحب وتقبلوا عليهم دون رويّة
فالذين تتخذونهم أصدقاء وتقدمون لهم أفئدتكم
سوف يخذلونكم عندما يدبر الحظ عنكم
ويفلتون كالماء لا تنضم عليه الأصابع !		١٣٠
ولن يعودوا إليكم إلا حين يريدون القضاء عليكم .
أرجو من جميع الأخيار أن يرفعوا الدعوات لى
فلقد آن أوان رحيلى ، وحانت الساعة الأخيرة
فى هذه الحياة المريرة الطويلة ! وداعاً !
وإذا أردتم يوما ما أن تذكروا ما يثير الأشجان
فاذكروا هذه النهاية التى انتهيت إليها !
لقد انتهيت حقا وليشملْنى الله بعفوه ومغفرته .		١٣٥

[يخرج الدوق والحاشية] .

السيد الاول : ما أشد ما يبعث ذلك على الأسى !

وما أكثر اللعنات التى سيمطرها على رؤوس من كانوا السبب !

السيد الثانى : إذا كان الدوق بريئاً

فما أعظم الويل والثبور !

ومع ذلك فسوف ألمح لك عن كارثة مقبلة ١٤٠

لو وقعت فسوف تفوق هذه المأساة حقا !

السيد الاول : فلتحفظنا ملائكة الخير من شرها ! ما عساها تكون ؟

أفصح لى عنها ! هل تشك فى إخلاصى ؟

السيد الثانى : إنه سر كبير يتطلب إرادة جبارة فى كتمانه !

السيد الاول : أفصح عنها فأنا قليل الكلام .

السيد الثانى : أنا واثق من ذلك ، وسأبوح لك بالسر . ١٤٥

ألم تسمع فى الأيام الأخيرة همهمات عن الفراق الوشيك

بين الملك وكاثرين ؟

السيد الاول : سمعت الهمهمة التى لم تلبث أن سكتت

وعندما سمعها الملك غضب وأرسل إلى العمدة ١٥٠

أمرًا بنفى الشائعة ، وإسكات ألسنة الذين تجرأوا

على نشرها

السيد الثانى : ولكن تلك الشائعة المغرضة ياسيدى

قد أصبحت اليوم حقيقة ! إذ عادت إلى الانتشار بقوة

وبات من المؤكد أن الملك سوف يترك زوجته . ١٥٥

وسواء كان المدبر هو الكاردينال أم غيره من المقربين للملك
فلقد دفع الحقد على الملكة الكريمة بعضهم
إلى الإيحاء إلى الملك بأن زواجه منها باطل
ولابد له أن يفارقها .
وتأكيداً لذلك وصل الكاردينال كامبيوس أخيراً إلى القصر ١٦٠
ويعتقد الجميع أنه جاء لهذا السبب نفسه .

السيد الأول : إنه من تدبير الكاردينال .
وهدفه هو الانتقام من امبراطور اسبانيا قريب الملكة
لأنه رفض منحه أسقفية طليطلة .
لقد تعمد ذلك دون شك .

السيد الثانى : لقد أصبت كبد الحقيقة فيما أرى !
ولكن أليس من الظلم أن تعاقَب الملكة على ذلك ؟ ١٦٥
لسوف ينفذ الكاردينال إرادته ، وسوف يقضى على الملكة !

السيد الأول : هذا موضوع مؤلم. إننا نتكلم فى الطريق العام وقد يسمعنا أحدهم !
فلنستكمل حوارنا فى مكان خاص .

[يخرجان] .

المشهد الثانى

غرفة استقبال فى القصر - يدخل كبير الأمناء وهو يقرأ خطاباً

كبير الأمناء : **[يقرأ] .**
« سيدى اللورد ! إن الخيول التى أرسلتم فى طلبها قد تم اختيارها بكل عناية ، كما تم تدريبها وتجهيزها . وهى فى فورة الشباب

وجميلة المظهر ، ومن أفضل سلالات بلدان الشمال . وعندما كنت
على أهبة الرحيل بها إلى لندن ، تعرض لى رجل من أتباع مولاى
الكاردينال ، وأخذها منى بالقوة قائلاً إن مولاه لابد أن يتمتع
بالأولوية على الجميع ، إن لم يكن على الملك نفسه . وإذ ذاك لم
نستطع الرد عليه »
أظن أن الكاردينال سوف يستولى عليها حقا ! فليكن ! وظنى أنه
لن يترك شيئاً حتى يستولى عليه . ١٠

[يدخل دوق نورفوك وسافوك] .

نورفوك : مرحبا بكبير الأمناء

كبير الأمناء : طاب يومكما يا صاحبى السعادة !

سافوك : ما الذى يشغل الملك ؟

كبير الأمناء : تركته وحيداً ، مهموماً يعصره القلق .

نورفوك : وما السبب يا ترى ؟

كبير الأمناء : أمر زواجه من أرملة أخيه ! ١٥
يبدو أنه تسلل إلى قلب من ضميره !

سافوك : [جانبًا] بل قل إن ضميره تسلل إلى قلب فتاة أخرى !

نورفوك : هذا صحيح ! وهو من تدبير الكاردينال .
هذا الكاردينال المتوّج ، هذا القس الأعمى ،
كأنه الابن الأكبر لربّة الحظ ! إنه يدير عجلة الحظوظ

سافوك : فى الوجهة التى يريدها . وسوف ينكشف أمره للملك يوماً ما ! ٢٠
أسأل الله ذلك ، وإلا فلن يعرف الملك حقيقة ذاته نفسها !

نورفوك : إن الكاردينال يتفانى فى كل ما يعمل
كأنه يتفانى فى عبادة الله ! لقد نجح فى فصم عرى التحالف
بيننا وبين امبراطور اسبانيا ، ابن شقيقة الملكة ![*] ٢٥
كما نجح فى النفاذ إلى أعماق قلب الملك ،
وبث فيه التشكك من صحة زواجه وغرس فيه بذور الأخطار ،
وآلام الضمير ، وآيات اليأس !
وهو ينصحه بالطلاق حتى يطهّر روحه ٣٠
أى بأن يرمى تلك الجوهرة التى زانت صدره
عشرين سنة ، كأنها قلادة ثمينة ،
لم تفقد فيها بريقها لحظة واحدة .
تلك التى أخلصت فى حبه إخلاص الملائكة
فى حب الأخيار ، والتى لن تتوقف عن مباركة الملك ٣٥
حتى حين تصيبها طعنة القدر الساحقة !

كبير الأمناء : أفلا يدل سلوك الكاردينال على التقوى والورع ؟
فلتحفظنى السماء من مثل هذه النصيحة !
لقد انتشرت الأخبار فى كل مكان ، وهى على كل لسان ،
وتبكى القلوب المخلصة لذكرها . أما من يجرؤ على النظر فى الأمر
فسيرى غاية واحدة وهى أخت ملك فرنسا [**]. ٤٠

(*) كان شارل الخامس ابنا لأخت كاترين ، واسمها جوانا ، وفقًا لما جاء فى طبعة كلارندون .
(**) وهى دوقة ألينسون ، التى كان الكاردينال يسعى لزواجها من الملك - انظر الفصل الثالث ، المشهد الثانى ، السطر ٨٥ .

ليت السماء تفتح عين الملك يوماً ما ،
بعد أن ظلت ردحاً طويلاً غافلة عن ذلك الخبيث الجسور !

سافوك : وليتها تنقذنا من عبوديته !

نورفوك : علينا أن نبتهل إلى الله من قلوبنا حتى يخلّصنا منه ٤٥
وإلا هبط بنا هذا الجبار من مراتب الأمراء
إلى مراتب الخدم ! فإن شرف الناس فى يديه
مثل الصلصال يشكله فى الشكل الذى يريده .

سافوك : أما أنا يا صَاحِبَىْ السعادة فلا أحبه ولا أخافه
وهذه عقيدتى الراسخة ، فأنا لست مديناً له بشئ ٥٠
وساظل فى موقعى ما دام الملك يريد ذلك .
وأما لعنات هذا الرجل وبركاته فلا أثر لها فى نفسى
إذ إنها كلمات لا أومن بها ! لقد عرفته فى الماضى
وأعرفه اليـوم حقاً . ولذلك فأنا أتركه للـرجل الذى نفث فيه هذه
الكبرياء والجبروت - أى البابا ! ٥٥

نورفوك : فلندخل على الملك ، ونطرح عليه بعض المسائل التى
تمحو أثر تلك الأفكار المحزنة التى تعكر صفوه وتشغل باله .
هل تصحبنا يا سيدى اللورد ؟

كبير الأمناء : عفواً ! لقد كلفنى الملك بمهمة فى مكان آخر
والواقع أن هذا الوقت غير مناسب إطلاقاً لإقلاق الملك ٦٠
أرجو لكم موفور الصحة !

نورفولك : شكراً لك يا كبير الأمناء الأكرم !

[يخرج كبير الأمناء - يقوم الملك برفع الستار ويجلس وهو يقرأ غارقاً فى أفكاره] .

سافولك : مـا أشـد الحزن الذى يكسـو وجـهه ! لابـد أنه فى غـاية الهم والكرب .

الملك : من هناك ؟ من أنت ؟

نورفولك : أدعو الله ألا يكون غاضباً !

الملك : من هناك أقول ؟ كيف تجسران على اقتحام خلوتى
وتعكير صفو تأملاتى ؟ هل تعرفان من أكون ؟ ٦٥

نورفولك : ملك رحيم ، يغفر كل ذنب غير مقصود !
إننا ما جرؤنا على انتهاك الواجب بهذا الشكل
إلا لأمر هام من أمور الدولة
نريد استطلاع رأى جلالتكم فيه !

الملك : بل هى جُرأة غير مقبولة ! تبّا لكما ! ٧٠
سوف أعلمكما مواعيد العمل المقررة لكما !
هل هذه ساعة إنجاز أعمال الدولة ؟

[يدخل وولزى وكامبيوس حاملاً أوراق اعتماده] .

من هناك ؟ إنه الكاردينال الكريم !
أقبل يا وولزى العزيز ! يا ترياق ضميرى المجروح !
إنك الدواء الشافى للملوك ! ومرحبا بك يا كامبيوس !
أيها الحبر العلامة فى مملكتنا ! ٧٥

فنحن وإياها فى خدمتك . عزيزى اللورد وولزى

أرجو أن تحتفى به حقا حتى لا يقال

إن كلامى ألفاظ جوفاء !

محال أن يقال ذلك ! أرجو من جلالتكم أن تسمحوا لنا

وولزى : بساعة للحديث على انفراد .

[إلى نورفوك وسافوك] إننا مشغولون الآن . تفضلا بالرحيل . ٨٠

الملك : **[جانباً إلى سافوك]** أما لدى هذا القس كبرياء !

نورفوك : **[جانباً]** بل ما لايذكر ! ولو أننى لا أحسده مطلقاً على

سافوك : منزلته ! ولكن هذا لن يستمر !

[جانباً] إذا استمر فسوف أضربه ضربة ماضية !

نورفوك : **[جانباً]** وأضربه أنا ضربة أخرى !

سافوك : **[يخرج سافوك ونورفوك]**

لقد قدّمتَ يا صاحب الجلالة مثالاً على الحكمة

وولزى : سبقت به جميع الأمراء !

لقد قمت طواعية بإحالة شكوكك إلى الكنيسة ٨٥

وهى المتحدث بصوت العالم المسيحى !

كيف يغضب أحد ؟ وأى حقد يمكن أن ينالك ؟

إن ملك اسبانيا الذى يرتبط بالملكة برابطة الدم ويعطف عليها

لابد أن يعترف الآن بأن قرار إجراء المحاكمة

قرار منصف وشريف فالأسبان من الأخيار . ٩٠

إذ إن رجال الدين ، وأعنى بهم الراسخين فى العلم
فى الممالك المسيحية ، سوف يدلون بأصواتهم بصراحة ،
أما روما ، مرضعة الحُكم السديد ،
فلقد لبَّتْ دعوتكم الشريفة ، وأرسلت
رجلاً ينوب عن الجميع إلينا . وهذا هو الرجل الصالح ،
القس المنصف العلامة ، الكاردينال كامبيوس ،　　٩٥
الذى أقدمه الآن من جديد إلى سموكم .

الملك : وأنا أرحب به من جديد وأفتح له ذراعىّ
وأشكر رجال المجمع المقدس
على ما أبدوه من حب بإرسال مثل هذا الرجل
الذى كنت أتطلع إلى قدومه

كامبيوس : إنكم يا صاحب الجلالة جديرون
بحب الأجانب جميعاً لشرف منزلتكم السامية .　　١٠٠
إننى أقدم أوراق اعتمادى إلى يدى سموكم
وقد قضت محكمة روما بأن تشاركنى (**إلى وولزى**)
ياسيدى كاردينال يورك ، فى إصدار الحكم المحايد
فى هذه القضية .　　١٠٥

الملك : إن منزلتكما عندى سواء . وسوف تحاط الملكة فوراً بسبب
زيارتكم . أين جاردنر ؟

وولزى : أعرف يا صاحب الجلالة أنك طالما أحببتها
وطالما أحللتها أعز مكان فى قلبك ، ومن ثم أرجو
ألا تحرمها من الحق الذى يوفره القانون للجميع ١١٠
حتى من هم أقل منزلة منها ، ألا وهو حق الدفاع
وليتولاه بعض العلماء بحرية وصراحة

الملك : بل سيتولاه أفضل العلماء ! وسيحظى برضاى من يخلص
فى الدفاع عنها ! حاشى لله أن يكون موقفى غير ذلك !
أرجوك يا كاردينال أن تدعو جاردنر للحضور
إنه أمين سرى الجديد ! وأعتقد يصلح لهذا العمل . ١١٥

[يخرج وولزى ويعود مع جاردنر فوراً]

وولزى : [**جانبًا إلى جاردنر**] هات يدك . أرجو لك السعادة والتوفيق .
فأنت الآن فى خدمة الملك .

جاردنر : [**جانبًا إلى وولزى**] لكننى طوع أمركم إلى الأبد
فإن يدك هى التى رفعتنى إلى هذه المنزلة !

الملك : تعال هنا يا جاردنر .

[يذهب إليه ويتهامس معه]

كامبيوس : يا سيدى كاردينال يورك ! ألم يسبق هذا الرجل فى منصبه ١٢٠
شخص يدعى الدكتور بيس ؟

وولزى : نعم .

كامبيوس : ألم يكن يقال آنذاك إنه عالم نحرير ؟

وولزى : بالتأكيد .

كامبيوس : صدقنى يا سيدى الكاردينال ، لقد انتشرت الظنون السيئة
آنذاك ، حتى بكم يا مولاى !

وولزى : عجبًا ؟ كيف يساء الظن بى ؟ ١٢٥

كامبيوس : لم يتردد الناس فى القول بأنك كنت تحسده
وأنك خشيت أن يرقى إلى الدرجات العلا
بسبب فضائله العليا
فنقلته إلى مكان بعيد ، مما سبب له حزنًا شديدًا
دفعه إلى الجنون ثم قضى عليه(*) .

وولزى : عليه رحمة السماء ! وهذا ما يجب على كل مسيحى صادق
أن يقوله ! أما مروجو الإشاعات بيننا فلابد من عقابهم ! ١٣٠
لقد كان يتسم بالبلاهة إذ قصر حياته على التنسك !
ولكن أمين السر الجديد رجل صالح
يصغى إلىّ ويأتمر بأمرى
وإلا ما كنت قربته منى . واعلم يا أخى
أننا لا نسمح بأن يتحكم البُغَضَاءُ فينا . ١٣٥

الملك : [**إلى جاردنر**] سلّم هذا بكل أدب واحترام إلى الملكة .

[يخرج جاردنر]

(*) يقول المؤرخون إن حبس الدكتور بيس Pace أثناء عمله سفيرًا للكاردينال فى الخارج عدة مرات تسبب فى اختلال عقله ، ولكنه لم يمت إلا فى عام ١٥٣٦ أى بعد وفاة الكاردينال وولزى بست سنوات .

إن أفضل مكان يصلح فى رأيى لمثل هذه المناظرة العلمية
هو دير بلاك فرايرز (*) . فليكن مكان لقائكم
لبحث تلك القضية الهامة . أنت مكلف يا عزيزى وولزى
بإعداده الإعداد اللائق . ياللّه !
كم يحزن الرجل القوى أن يفارق تلك الزوجة الرقيقة ! ١٤٠
ولكن آه من وخز الضمير ! الضمير الضمير !
إنه حساس رقيق ، ولا مناص لى من فراقها !

[يخرجون]

المشهد الثالث

غرفة داخلية فى قصر الملكة

(تدخل آن بولين مع سيدة عجوز)

آن : ولا لهذا السبب أيضًا ! أما مصدر الألم الذى يخزنى وخزًا
فهو أن جلالته قد عاش معها ردحًا طويلاً من الزمن
وهى سيدة كريمة فاضلة ، لايمكن للسان أن يمسها
بما يخدش شرفها ، وأقسم بحياتى أنها لم تعرف الإساءة
يومًا ما ! انظرى كم مرة دارت الشمس فى فلكها منذ تتويجها ٥
وكيف تزداد بهاء كل يوم وعظمة !
إن مرارة تخلّيها عن مكانتها تزيد ألف مرة
عن فرحتها بوصولها إليها أول مرة !

(*) انظر المقدمة التى تلقى الضوء على معنى ' بلاك فرايرز ' أى الوعاظ الذين يرتدون اللون الأسود ، أو طائفة الدومينيكان .

وكيف يستطيع بعد هذه الحياة المشتركة أن ينبذها ؟

إن الأسى عليها يثير قلوب الوحوش ! ١٠

العجوز : إن أغلظ القلوب وأشدها تحجرًا لتذوب حسرة وكمدًا عليها .

آن : بل هذه إرادة الله ! ليتها ما عرفت الأبهة والمجد ،

ولو كانا ينتميان للدنيا الفانية !

ومع ذلك فإذا عبست ربة الحظ المشاكسة

وجردت الإنسان منهما ، كان الألم مبرّحًا ١٥

كفراق الروح للجسد .

العجوز : وا أسفا أيتها المسكينة

لقد أضحت غريبة من جديد !

آن : وهو ما يبعث على المزيد من الأسى والرثاء !

أقسم إنه لأهون على الإنسان

أن يولد فى أسرة متواضعة

ويعيش مع الفقراء القانعين ٢٠

من أن يلبس أفخر الثياب وهو حزين

ويزدان بالذهب وهو كاسف البال .

العجوز : القناعة أثمن كنز للإنسان .

آن : أقسم بشرفى وعفافى إنى لا أتمنى أن أصبح ملكة .

العجوز : وأنا أقسم إنى أتمنى ذلك ولو ضحيت بعفافى ٢٥

وكذلك أنت يا فتاتى ، رغم نفاقك وتظاهرك بغير ذلك !

إنك تجمعين بين جمال المرأة الفائق وقلب المرأة
وهو ما اجتذب إليك قلوب الوجهاء والأغنياء والملوك !
وهو فى الحق نعمة أنعمها الله عليك ٣٠
بل تلك هى هبات يستطيع ضميرك الحساس أن يتقبلها
فليس ضيقًا إلى الحد الذى يوحى به تزمتك
وتستطيعين « توسيع ذمتك » قليلاً -

آن : **[مقاطعة]** أبدًا ! كلا قسمًا بالله !

العجوز : بل هو الحق كل الحق ! أفلا تريدين أن تصبحى ملكة ؟

آن : كلاّ ! ولو أعطيت جميع الثروات تحت قبة السماء ! ٣٥

العجوز : هذا غريب ! إنى أقبل رغم سنى الكبيرة أن أصبح ملكة من أجل قطعة نقود بثلاثة بنسات
ولو كانت القطعة معوجة ! لكن أرجوك أجيبى :
ما رأيك فى لقب الدوقة ؟ هل تستطيع أطرافك أن تحمل ثقل ذلك اللقب ؟

آن : كلا حقا !

العجوز : إذن فأنت ذات جسد ضعيف ! فلننزل عن هذه الدرجة
قليلاً ! ما رأيك فى لورد شاب ؟ هل تتمنعين هنا أيضًا ؟ ٤٠
إذا كان كاهلك سينوء بهذا العبء أيضًا
فهو أضعف من أن يحمل طفلاً !

آن : ما أغرب كلامك ! أقسم من جديد

إننى لا أريد أن أصبح ملكة
ولو أعطيت الدنيا وما فيها !　　٤٥

العجوز : بل قد تقبلين خدش عفافك من أجل تاج إنجلترا
أما أنا فأقدم عفافى كله من أجل أفقر مقاطعة
وهى كارنافون شاير ! حتى ولم يبق
فى المملكة سواها ! انظرى من القادم !

[يدخل كبير الأمناء]

كبير الأمناء : عمتما صباحًا ! هل لى أن أعرف موضوع حديثكما ؟　　٥٠

آن : بل لايستحق يا سيدى الكريم طلبك ولا سؤالك عنه :
كنا نرثى لحال مولاتنا الملكة !

كبير الأمناء : موضوع نبيل ويليق بذوات الأخلاق الفاضلة
ما زلنا نأمل فى إصلاح الحال .　　٥٥

آن : أدعو الله مخلصة آمين !

كبير الأمناء : إن لك نفسًا كريمة ، وبركات السماء
تتنزل على أمثال هؤلاء . وحتى تعرفى
يا آنستى الجميلة مدى صدقى ، ومدى إدراك العظماء
لفضائلك الجمة ، أقول لك إن جلالة الملك　　٦٠
قد كلفنى بأن أنقل إليك تقديره البالغ
واعتزامه إسباغ شرف كبير عليك
وهو لقب مركيزة بمبروك ، ومنحك إلى جانب ذلك
دخلاً سنويًا قدره ألف جنيه ، إعالة لك .

آن : لا أعرف كيف أعبر عن امتنانى وطاعتى ٦٥
وماذا أقدم لجلالته ؟ إن قلت كل شىء وأكثر
لم يكن شيئًا يذكر ، وإن قلت دعواتى وابتهالاتى
فلن تكون ألفاظًا كستها القداسة حقًا
وإن قلت تمنياتى الطيبة ،
فلن تكون سوى كلمات جوفاء ، ومع ذلك فإن دعواتى
وتمنياتى هى كل ما أستطيع أن أقدمه . أرجوك يا سيدى اللورد
أن تعرب له عن شكرى ، وعن طاعتى ، ٧٠
باعتبارى خادمة غلبها الحياء ،
وأبلغ سموه أننى أدعو له بالصحة ودوام الملك .

كبير الأمناء : آنستى ! لن أتوانى عن إقرار حسن ظن الملك بك .
[جانبًا] لقد فحصتها فحصًا دقيقًا !
إن الجمال والعفاف يمتزجان فيها امتزاجًا كاملاً ٧٥
حتى سلبت لب الملك ! ومن يدرى ؟
فقد تنجب هذه الفتاة درة يسطع ضوؤها
على أرجاء هذه الجزيرة .
[إلى آن] سأذهب إلى الملك وأخبره بأنى حادثتك !

[يخرج كبير الأمناء]

آن : الوداع سيدى الجليل . ٨٠

العجوز : وهكذا حدث ما حدث ! فانظرى وتعجبى !
لقد قضيت ستة عشر عامًا فى البلاط أستجدى الفضل

وما زلت على حالى من الفقر ! كنت أسرف فى البكور
أو أسرف فى التأخر فلا أنال جنيهات معدودة !　　**٨٥**
أما أنت فما أعظم حظك ! سمكة خرجت من الماء لتوها !
تبًا تبًا لهذه الأقدار التى أتتك بالحظ رغمًا عنك !
لقد ملأت فمك بالطعام من قبل أن تفتحيه !

آن : ما أشد ما يدهشنى ذلك !

العجوز : ما طعم الحظ الآن ؟ أبه مرارة ؟
أراهنك بأربعين بنسًا أنه ليس مريرًا !
هل تذكرين القصة القديمة ، عن سيدة أبت أن تصبح ملكة ،　　**٩٠**
ورفضت الملك ولو أعطيت كل طمى مصر الخصبة ؟
هل سمعتيها ؟

آن : إن حديثك ممتع !

العجوز : إذا تحدثت عنك استطعت التحليق عاليًا
وتفوقت على القبرة ! ماركيزة بمبروك ؟
وألف جنيه فى السنة تقديرًا لك ودون التزام من جانبك ؟　　**٩٥**
أقسم بحياتى إن هذا لينبئ عن آلاف أخرى مقبلة !
فذيول رداء الشرف أطول من طرفه الأمامى !
والآن أرى أن ظهرك يستطيع حمل لقب الدوقة !
تكلمى ! ألست الآن أقوى مما كنت عليه ؟

آن : سيدتى الكريمة ! أرجوك أن تجدِى موضوعًا آخر للهزل ١٠٠
حسبما يميل خيالك ! وأخرجينى من هذا الموضوع !
قسمًا بحياتى إن ذلك لم يثر مشاعرى على الإطلاق !
بل يكاد أن يغمى علىّ إذا تأملت عواقبه !
إن الملكة يعتصرها القلق وقد غبنا عنها طويلاً
وتناسينا قلقها ! أرجو ألا تذكرى أمامها شيئًا ١٠٥
مما سمعتيه هنا .

العجوز : من تظنيننى أكون ؟

[تخرجان]

المشهد الرابع

غرفة فى دير « بلاك فرايرز »

أصوات نفير وأبواق ومزامير

[يدخل حاجبـان يحملان صولجانين من الفضـة ، يتبعهما كـاتبان فى ثياب العلمـاء ، ثم أسـقف كانتـربرى وحـده ، وبعـده أساقـفـة لِنْكُنْ، وإيلى، وروتشسـتر، وسانت أسـاف . ويتبعـهم بمسافـة قصيـرة سيد يحـمل خزانة النقود، وخاتم الدولة، وقبعة الكاردينـال . وبعد ذلك يدخل قسيسان يمسك كل منهما بصليب من فضة ثم منادٍ من السـادة عارى الرأس، يصحبه ضابط يحمل السلاح ومعه صولجان فضى. وبعـده سيدان يمسك كل منهما بقضيب فضى كبير ، ثم يدخل الكاردينالان جنبا إلى جنب ، وشريفان مع كل منهما

سيفه وصولجانه. ويجلس الملك فى الكرسى تحت شعار المملكة ، وعلى منصة أقل ارتفاعًا يجلس الكاردينالان فى أماكن القضاة. وتأخذ الملكة مكانها على مسافة من الملك ، وتجلس الأساقفة على الجانبين على النحو المتبع فى مجمع الإكليروس، وفى مقدمة المسرح يجلس الكتبة، بينما يجلس اللوردات إلى جوار الأساقفة، ويقف الأتباع فى الأماكن المناسبة فى أرجاء المسرح]

وولزى : فليصمت الجميع أثناء قراءة التوكيل الذى تلقيناه من روما بفحص القضية .

الملك : وما جدوى ذلك ؟ لقد سبقت قراءته علنًا
وأعلن الطرفان التزامهما به . لاتضع الوقت فى القراءة .

وولزى : فليكن [**إلى الكاتب**] ابدأ عملك . ٥

الكاتب : نادوا هنرى الثامن ملك انجلترا

المنادى : هنرى الثامن ملك انجلترا . .

الملك : حاضر .

الكاتب : نادوا كاثرين ملكة انجلترا .

المنادى : كاثرين ملكة انجلترا . ١٠

[لاترد الملكة بل تقوم من كرسيها وتجتاز ساحة المحكمة ثم تصل إلى الملك فتركع أمامه وتتكلم]

الملكة : سيدى ! أنشد منكم العدل والانصاف
وأن تشملنى بشفقتك وعطفك ،

فأنا امرأة مهيضة الجناح ، غريبة عن هذه الديار
رأيت النور خارج المملكة ،
وليس لى قاض محايد ينظر أمرى
أو أى ضمان بالانصاف فى إجراءات المحاكمة ١٥
أو العطف على حالى . وا أسفا يا سيدى !
قل لى فيم أسأت إليك ؟ ما الذى أغضبك منى
ومن سلوكى حتى اعتزمت أن تطرحنى
وتحرمنى عطفك ورضاك ؟ فلتشهد السماء
أننى كنت وما أزال الزوجة المخلصة الوديعة ٢٠
الخاضعة لإرادتك دائمًا وفى جميع الأحوال .
وكنت دائمًا أخشى أن أثير سخطك
بل كنت تابعة لأهوائك فى الأفراح والأتراح
حسبما أشاهد فى محياك ! قل لى متى خالفت مشيئتك ؟ ٢٥
أو لم أجعل مشيئتك مشيئتى ؟ قل لى مَن مِن أصدقائك
لم أصادقه ، حتى ولو كان لى عدوًا ؟ ومَن مِن أصدقائى
غضبت يا مولاى عليه فلم أقطع صداقتى به ؟ ٣٠
بل إننى كنت أعلن أنه مغضوب عليه طريد !
أرجوك يا سيدى أن تذكر أننى كنت وما أزال زوجتك
مطيعة لك مخلصة ، لما يربو على عشرين عامًا ،
كما رزقت منك بأطفال كثيرين . فإذا استطعت أن تذكر ٣٥

وأن تثبت أننى ارتكبت أى شىء يمس شرفى
على امتداد هذه الفترة الطويلة ، أو يمس رباط زواجى بك
أو حبى وواجبى إزاء شخصكم المقدس ،
فلك باسم الله أن تنبذنى ، وأن تلقى بى ٤٠
فى محبس العار والاحتقار ، حتى تلتهمنى أحدُّ أسنان العدالة .
أرجوك يا مولاى أن تذكر والدك الملك العظيم
وما اشتهر به ، أميرًا حكيمًا بالغ الحصافة ،
ذا ذكاء وقاد ، وقدرة على الحكم الصائب لا تجارى ! ٤٥
واذكر والدى الملك فرديناند ، ملك إسبانيا ،
الذى كان أحكم من تولى الحكم من الأمراء ،
قبل سنوات عديدة . ولا مراء فى أنهما جمعا مجلسًا
من الحكماء من كل إقليم ، وناقشوا هذه المسألة ٥٠
وأقروا بشرعية زواجك منى . ومن ثم فإننى أرجو
بكل تواضع منكم ، وأتوسل إليكم أن تمهلنى
حتى أطلب المشورة من أصدقائى فى إسبانيا
وإذا لم يجبنى مولاى إلى طلبى
فإننى سأنصاع باسم الله إلى إرادته . ٥٥

وولزى : لديك يا مولاتى هنا هؤلاء العلماء الأفاضل
من القساوسة الذين وقع اختيارك عليهم ،
وهم صفوة أحبار الأرض الذين اجتمعوا

للدفاع عن قضيتك . ولذلك فلا طائل من تأجيل الجلسة ٦٠
بل إن الانتهاء من نظر القضية مهم لبث الطمأنينة فى قلبك
ولتبديد القلق الذى يساور الملك .

كامبيوس : لقد تحدث صاحب الغبطة فأحسن الحديث ولازم العدل
ومن ثم فأرجو يا سيدتى الاستمرار فى إجراءات هذه الجلسة
وطرح حجج العلماء وأدلتهم والاستماع إليها . ٦٥

الملكة : إننى أوجه الخطاب إليه يا مولاى الكاردينال .

وولزى : أنا طوع أمرك يا سيدتى .

الملكة : كنت يا سيدى على شفا البكاء . ولكننى ذكرت أننى ملكة
أو قل ذاك ما توهمته سنينًا طويلة ،
وذكرت أننى قطعًا ابنة ملك ،
وهكذا فإن عبراتى السائلة سوف أحيلها ٧٠
إلى شرر متطاير !

وولزى : بل اصبرى يا مولاتى !

الملكة : سأعرف الصبر عندما تعرف التواضع !
ولن أظهر الصبر قبل ذلك وإلا فليعاقبنى الله !
لدى اعتقاد راسخ ، يستند إلى براهين قاطعة ،
بأنك عدوى ، ومن ثم فإننى أطعن فى صلاحيتك ٧٥
للحكم فى قضيتى . إنك أنت الذى أوقد لهيب هذه الجمرة
التى اشتعلت بينى وبين مولاى ،

وأدعو الله أن يحيلها بردًا وسلامًا !
ولذلك فإننى أكرر أننى أمقتك مقتًا شديدًا
وأرفض أن تكون القاضى فى هذه المسألة . ٨٠
بل إننى أعتبرك ألد وأخبث أعدائى
ولا أراك مطلقًا ممن يصادقون الصدق !

وولزى : لابد أن أقر بأن ألفاظك لاتنم عن طبعك الحق !
فلقد اتّسَمْتِ دائمًا بالميل إلى الإحسان والخير
وكان حديثك يشى برقة الشمائل ، والحكمة ، ٨٥
والتعقل الذى تبزين فيه بنات جنسك . سيدتى !
لقد ظلمتِنى ، فلست حاقدًا عليك ، ولا أنتوى بك ظلمًا ،
بل ولا ظلمًا بأى أحد ! ولم يكن ما فعلتُه حتى الآن ،
ولن يكون ما أفعله بعد ذلك ، إلا بموجب السلطة التى
خولها لى مجمع الاكليروس ، والمجمع المقدس فى روما . ٩٠
إنك تتهميننى بأننى قد ألهبت نار الجمرة ، وأنا أنكر اتهامك .
وها هو الملك بيننا ! فإذا رأى أننى أنكر حقيقة وقعت
فما أقدره وأجدره بأن يجرح كذبى ٩٥
مثلما جرحتِ يا مولاتى صدق أقوالى !
فإذا كان واثقًا من براءتى مما ذكرتِه عنى
فهو واثق أننى لم أُسِيءْ إليك ، وهو قادر
على علاج الأمر ! أما العلاج فهو إقصاء هذه الأفكار

عن ذهنك . وأرجو قبل أن يتكلم مولاى فى الموضوع ١٠٠
بل أتوسل إليك يا سيدتى الكريمة
أن تعيدى النظر فى أقوالك ، وألا تكررى هذا الاتهام .

الملكة : سيدى يا سيدى ! إننى امرأة ساذجة
أضعف بكثير من أن تتصدى لمكرك وتحايلك !
إنك تكسو ألفاظك بالرقة والتواضع ١٠٥
وتتظاهر بهاتين الصفتين، اللتين هما من خصائص منزلتك ومهنتك،
ولكن قلبك مفعم بالغطرسة والحقد والكِبْر !
لقد ساعدك الحظ ، وحب مولاى صاحب الجلالة ،
على أن تتخطى درجاتك الدنيا بحذق وحنكة
فصعدت إلى ذروة ترعاك فيها الصولة والسطوة ، ١١٠
وأصبحت الألفاظ خدمًا مطيعة لك ،
تأتمر بأمرك ، وتفعل ما تود منها أن تفعل !
لابد لى أن أصارحك أنك تخدم أمجادك الشخصية
أكثر مما تنهض بوظائف الكهنوت الروحية ! ١١٥
وهذا يدفعنى أيضًا إلى رفض قضائك فى أمرى
وأعلن أمام الجميع أننى أناشد البابا
إحالة القضية برمتها إلى قداسته
وأن يتولى هو إصدار الحكم فيها

[تنحنى احترامًا للملك وتتجه إلى باب الخروج]

كامبيوس : إن الملكة عنيدة ، فهى ترفض إجراء العدالة ، ١٢٠
بل توجه التهم إليها ، وتأنف المحاكمة فى ساحة العدالة .
وذلك ما لاينبغى أن يكون . إنها ستغادر القاعة .

الملك : نادها من جديد .

المنادى : كاترين ملكة انجلترا ، تمثل أمام المحكمة !

الحاجب : سيدتى ! لقد نادوا عليك يطلبون عودتك ! ١٢٥

الملكة : لا تأبه لهم ! أرجو أن تواصل عملك وإذا دعوك
فعد إليهم ! رحماك ربى رحماك !
لا أستطيع الصبر على مضايقاتهم ! أرجوكم استمروا !
لن أنتظر أكثر من ذلك ! بل ولن أمثل فى أى من محاكمهم
بشأن هذه المسألة بعد الآن ! ١٣٠

[تخرج الملكة مع حاشيتها]

الملك : افعلى ما بدا لك يا كيت !
ولو زعم رجل ما فى هذا العالم
أن له زوجة أفضل منها فحذار أن تثقوا
بأى شىء يقوله لكذبه فى هذه المسألة !
إنك امرأة فريدة ! نادرة الصفات ،
رقتك ذات حلاوة وطلاوة ، متواضعة كالقديسات ، ١٣٥
وحكمك السديد حكم زوجة صالحة ،
مطيعة حتى حين تصدرى الأوامر ، فنفسك حرة أبية

ذات تقوى وورع ! فإذا كان لهذه الشمائل
أن تتحدث عنها لقالت إنها ملكة ملكات الأرض ،
فهى كريمة المحتد حقا ، وقد أخلصت لكرم محتدها الأصيل ١٤٠
فى سلوكها معى .

وولزى : سيدى الأكرم والأعظم !
إننى أطلب من سموكم بأقصى آيات التواضع
أن تعلنوا رأيكم على مسمع من هؤلاء الحضور جميعًا !
فما دمت قد تعرضت للسرقة وشد الوثاق
فلابد أن تطلق جلالتكم سراحى ، وإن لم يكن ذلك فورًا ، ١٤٥
ابتغاء رد اعتبارى ! أقول أرجوكم أن تقولوا
إذا ما كنت أنا الذى فتح باب هذا الموضوع
أمام سموكم ، أو أثرت لديكم أى شكوك
قد تكون السبب فى تساؤلكم عن حقيقة الأمر !
وإذا ما كنت قد تفوهت فى أسماعكم
بغير الشكر لله على هذه الملكة ، ١٥٠
أو نطقت بأدنى كلمة تنال من فضائلها
أو تمس شخصها الكريم .

الملك : سيدى الكاردينال ! إننى أعلن براءتك المؤكدة ،
وقسمًا بشرفى لا ذنب لك فى هذه المسألة !
لاتحتاج إلى من يذكّرك بأن لك أعداء كثيرين ١٥٥

لايعرفون لماذا يناصبونك العداء ،
لكنهم ينبحونك مثل الكلاب فى القرية
عندما تسمع نباح غيرها ! وبعض هؤلاء قد أغضب الملكة !
إنك برئ ! فإذا طلبت المزيد من الانصاف ١٦٠
سأذكر أنك دائمًا ما طلبت إخماد هذه المسألة
ولم تطلب يومًا الخوض فيها ،
بل كثيرًا ما أغلقت السبل المؤدية إليها !
وقسمًا بشرفى إننى أصدقكم القول بشأن الكاردينال الكريم
وأبرئ ساحته من المشاركة فى إثارة القضية !
أما الباعث الحقيقى على إثارتها ١٦٥
فاسمحوا لى أن أطلب المزيد من وقتكم وإصغائكم :
وأرجو أن تنصتوا إلى ما دفعنى إلى ذلك ،
وتنتبهوا إلى منشأ القضية : لقد بدأت أول ما بدأت
بخفق رقيق فى ضميرى ، كأنه الشك المثبط ،
أو الوخز الموجع ، عندما سمعت بعض الخطب التى ألقاها
أسقف « بايون » ، الذى كان سفيرًا لفرنسا لدينا ، ١٧٠
والذى كان قد بُعث به إلينا للتفاوض على الزواج
بين دوق « أورليان » وابنتنا مارى .
وأثناء السير فى الإجراءات ،
وقبل اتخاذ قرار نهائى ، طلب الأسقف مهلة ١٧٥

يستطلع فيها رأى مولاه الملك عما إذا كانت ابنتنا هذه
تعتبر ابنة شرعية أم لا ،
وذلك لأننى أنجبتها من زوجةٍ هى أرملة أخى !
وقد زلزلت هذه المهلة أعماق ضميرى ١٨٠
واقتَحَمتْ نفسى بقوة جبارة فغدوت أرتعد
حتى قَضْقَضَتْ ضلوع صدرى ، وكان من عنف اقتحامها
أن أثارت أمشاجًا مختلطة من التساؤلات ،
تزاحمت فى فؤادى ورانت عليه بثقلٍ عظيم من الريبة !
فقلت فى نفسى أولاً إننى أغضبت السماء ، فأمرت الطبيعة ١٨٥
أن تجعل رحم زوجتى قبرًا يئد الحياة ولايهبها
لأى مولود ذكر تحمله منى ! فكل جنين ذكر كان يموت
فى رحمها ، أو يلقى الموت حالما ينشق هواء الدنيا !
ومن ثم تبادر إلى ذهنى أن ذلك حكمٌ قضت به السماء ١٩٠
وأن مملكتى الجديرة بأفضل وريث فى العالم
قد كتب عليها أن تحرم من الفرحة بسليل من صلبى !
وتلا ذلك أنى قَدَّرْتُ الأخطار التى تتعرض لها المملكة ١٩٥
لعدم وجود وريث ، فكان ذلك يطرحنى أرضًا صارخًا من الألم
المرة تلو المرة ، ويدفع بسفينتى وقد طويت قلوعها
فى لجج بحر الضمير المتلاطمة ، ومن ثم يممت وجهى
شطر هذا العلاج ، وهو ما اجتمعنا الآن من أجله ، ٢٠٠

أى إننى أردت إرضاء ضميرى ، وشفاءه من الألم
الذى أحسست به فى مرضه الشديد ، بل وما زلت أحس
أنه مريض ، بأن أجمع كل آباء الكنيسة الأحبار
وعلماء الأرض معًا . وقد بدأت على انفراد بالحديث
مع لورد لِنْكُنْ ، ولعلك تذكر كم كنت أتصبب عرقًا ٢٠٥
بسبب ما كنت أنوء بحمله من أثقال ، عندما حادثتك أولاً
فى هذا الأمر ؟

لنكن : بل أذكر ذلك جيدًا يا سيدى !

الملك : لقد أطلت الحديث فأرجوك أن تتفضل بتبيان ما فعلته
لمساعدتى .

لنكن : سمعًا وطاعة يا صاحب السمو .
لقد أذهلنى الأمر أولاً وحيرنى ٢١٠
بسبب أهميته البالغة وعواقبه التى يرتعد لها القلب
حتى أسديت لكم المشورة الجسورة بعقد المجلس الحالى
وإن كنت غير واثق منها كل الثقة ،
ورجوت من سموكم سلوك السبيل الذى تسلكونه الآن .

الملك : وبعد ذلك استشرتك أنت أيضًا يا لورد كانتربرى ٢١٥
فأذنت لى بعقد الاجتماع الحالى ، حتى دون أن أطلب منك
ذلك !
ولم أترك أحدًا من السادة الأفاضل فى هذه المحكمة

إلا استشرته وحظيت بموافقته شخصيًا، بخط يده وخاتمه الشخصى.

واذن فلتشرعوا فى المحاكمة ، إذ لايحفزنى إلى هذا العمل ٢٢٠

أى كراهية مهما تكن ضئيلة للملكة ، بل الأشواك الحادة

التى تخز ضميرى، كما سبق لى أن بينت عند طرح أسباب المحاكمة.

وقسمًا بحياتى وكرامتى الملكية إنكم لو أثبتُّمْ

أن شرعية زواجنا لا غبار عليها ، ٢٢٥

فسوف أقضى معها بقية عمرى حتى الموت

ولن أوثر على كاثرين مليكتنا أفضل مخلوق على ظهر الأرض !

كامبيوس : أرجو أن يأذن مولاى فيسمح بتأجيل المحاكمة

بسبب غياب الملكة ، فهذا ما تقضى به الإجراءات ، ٢٣٠

كما أرجو أن نسعى جادين لإقناع الملكة

بالرجوع عما اعتزمته من التقدم بطلب

إلى قداسة البابا .

الملك : [**جانبًا**] يبدو أن هؤلاء الكرادلة يعبثون بى !

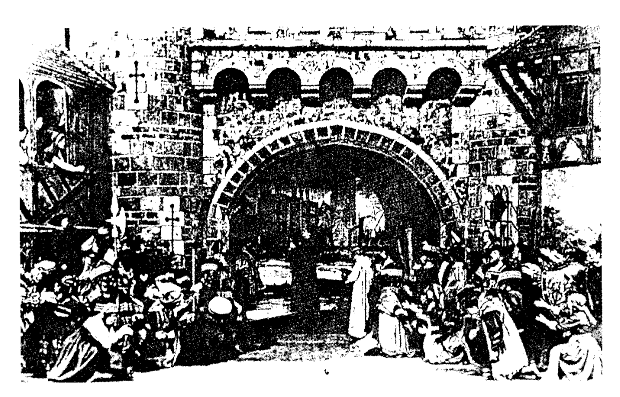
انى أكره هذا التباطؤ والتسويف وغيره من ألاعيب روما ! ٢٣٥

[**إلى كرانمر**] اسمع يا كرانمر ! أرجوك أيها العالم الفاضل

المخلص فى خدمتنا أن تعود ! فإننى أجد راحتى فى القرب منك !

ولتنفض المحكمة ، ولنرجع جميعًا إلى القصر .

[يخرجون بنفس الترتيب السابق]



الفصل الثانى - المشهد الأول حيث يوجه دوق بكنجهام خطبة الوداع من السفينة التى اعدت لنقله إلى مكان تنفيذ حكم الإعدام.

وهذا العرض الذى اخرجه هيربرت بيربوم ترى Beerbohm Tree عام ١٩١٠ فى مسرح هيز ماجتسى His Majesty's Theatre يحتفظ بمشاهد الإبهار وعناصر الثراء البصرى الحافلة التى اتسم بها تقديم المسرحية فى القرن التاسع عشر.

الفصل الثالث

المشهد الأول

لندن – جناح الملكة فى القصر

[تدخل الملكة ووصيفاتها منهمكات فى العمل]

الملكة : اعزفى العود يا ابنتى ! فالهموم ترين على نفسى
وتكسوها الأحزان ! شتتى الأحزان بغنائك إن استطعت . . هيا !

الوصيفة : [تغنى]

أنغام عــود أورفيــوس
كم انحنت لها الرؤوس
انظر تر الأشجار قد مالت غصونها من الطرب ٥
كما هوت ذرا الجبال بالثلوج نحوه من العجب
وإن شــدت ألحانه على المزمــار
هبت من الأرض الزهور والثمار
وانداح نور الشمس والغيث الندىّ
حتى كأنـا فــى ربيــع سرمـــدىّ
كل الخلائق حين تسمع عزفه تصغى وتنشد
بل إن موج البحر يرفع رأسه طرباً ويرقــد ١٠
فعذوبة الأنغام قادرة على قتل الهموم بفنها
حتى ينام الحزن فى القلب الكليم أو يموت بشدوها ورنينها !

[يدخل أحد السادة]

الملكة : ماذا وراءك ؟ ١٥

السيد : إذا سمحت جلالتك ! إن الكاردينالين العظيمين ينتظران فى غرفة الاستقبال

الملكة : هل يريدان الحديث معى ؟

السيد : لقد طلبا منى إبلاغك بذلك يا مولاتى !

الملكة : اطلب من صاحبى السعادة أن يتفضلا بالدخول .

[يخرج السيد]

ماذا يريدان منى الآن ، وقد أصبحت امرأة ضعيفة مسكينة ٢٠
محرومة من الرضا والعطف ؟ أنا غير مستبشرة بهذه الزيارة !
لكننى إذا تأملت الموقف زال الخوف ! فهما من رجال الدين الأفاضل
ولابد أن يسعيا فى الخير !
ولكن ما كل من لبس القلنسوة راهب !(*)

[يدخل الكاردينالان وولزى وكامبيوس]

وولزى : السلام على جلالتكم !

الملكة : يا صاحبى الغبطة ! إنكما تريان أننى أصبحت نصف ربة منزل
وأتمنى أن أصبح ربة منزل كاملة قبل أن يحل بى أسوأ ٢٥
ما أتوقع ! ماذا تريدان أيها الكاهنان ؟

وولزى : إذا سمحت يا سيدتى الكريمة أن نختلى بك فى غرفتك الخاصة
فسوف نطلعك على ما جئنا من أجله .

(*) مثل شائع ، وشيكسبير يورده فى صورته اللاتينية فى مسرحية **الليلة الثانية عشرة** (١/٥/٦٢) و**دقة بدقة** (٥/١/٢٦٣) وهى : cucullus non facit monachum

الملكة : بل تحدثا هنا ، فأنا لم أفعل حتى الآن ٣٠
ما لا يرضاه ضميرى ويتطلب الحديث سراً أو الكتمان !
وليت النساء جميعاً يستطعن أن يقلن ما أقول الآن
وبالصراحة نفسها ! يا أيها اللوردان !
إننى أسعد حالاً من الكثيرين لأننى لا أكترث
إذا كانت ألسنة الناس قد حكمت على أفعالى ٣٥
وشاهدتها كل عين ، أو حتى إذا هاجمها الحساد
وأشاعوا سوء الظن بها ، ما دمت واثقة من طهارتى ونقائى .
فإذا كان ما جئتما من أجله يتعلق بأخلاقى وشرفى
فأفصحا عنه دون خوف . فالحقيقة تحب الصراحة .

وولزى : [**باللاتينية**] أيتها الملكة الفاضلة السامية
إن عقولنا لا أثر فيها إطلاقاً لخبث أو حقد(*) ٤٠

الملكة : أرجوك لا تتحدث باللاتينية يا أيها اللورد الكريم
فلم أهمل فى تعلم اللغة التى عشت فى كنفها
منذ أتيت إلى إنجلترا ، فاستعمال لغة غريبة
يزيد من غموض قضيتى ويضفى عليها الشك والريبة
أرجوك أن تتحدث بالانجليزية . والوصيفات من حولى ٤٥

(*) النص اللاتينى هو :

Tanta est erga te mentis integritas Regina serenissima.

ولايذكر المؤرخون أن وولزى ذكر هذه الكلمات نفسها بل يشير هولنشد مثلاً إلى أن وولزى شرع فى الحديث باللاتينية معها ، والترجمة العربية تستند إلى شتى الترجمات الإنجليزية للعبارة .

سيظهرن امتنانهن إذا قلت الحقيقة عن سيدتهن
إكراماً وإقراراً لحقها المهضوم ! وصدقنى إذا قلت لك
إننى تعرضْتُ لظلم شديد . أيها اللورد الكاردينال !
مهما يكن الذنب الذى يتهموننى بإقترافه عامدة
فإننى قادرة على إثبات براءتى بالإنجليزية .

وولزى : سيدتى الشريفة ! يؤسفنى أن أرى أن نزاهتى ٥٠
والتفانى الذى أظهرته فى خدمة صاحب الجلالة
وفى خدمتكم ، يؤديان إلى مثل هذه الريبة العميقة
بينما لا أُكِنُّ لكما إلا أصدق النوايا !
لم نأت إلى هنا لتوجيه اتهام أو لتلويث شرفكم
الذى يباركه كل لسان شريف ، ولا لنفتح أمامكم ٥٥
سبيلاً من سبل الأحزان ، فلديك منها ما يزيد عن الطوق !
لكننا أتينا لنعرف رأيك فى الخلاف بينك وبين
صاحب الجلالة ، فهو خلاف له عواقبه الوخيمة ،
ولنقدم لك باعتبارنا أحراراً شرفاء
آراءنا المنصفة لك وللقضية التى نسعى فيها . ٦٠

كمبيوس : مولاتى ذات الشرف السامى !
إن اللورد يورك (*) ، بما طبع عليه من النبل والحمية والطاعة
التى ما يزال يكنها لجلالتكم ، قد تناسى شأن الكرماء

(*) أى الكاردينال وولزى نفسه .

إهانتك الأخيرة له ، وطَعْنكِ فى صدقه وفى شخصه
طعناً فاق كل حدود ، وأتى معى لتقديم خدماته ٦٥
ومشورته ، آية على صفاء النفوس !

الملكة : [**جانباً**] يريدان إيقاعى والوشاية بى !
[**إليهما**] شكراً لكما على صدق النية يا أيها السيدان !
فحديثكما حديث شرفاء ، وأدعو الله أن تؤكداً صدق ذلك !
لكننى لا أعرف كيف أجيبكما على هذه المسألة التى قدمتماها
بهذه الفجاءة إلىّ ، وهى مسألة تمس شرفى بل وتمس حياتى ٧٠
أيضاً ، فأنا لا أتمتع بذكاء خارق ! وكيف أقدر على ذلك
وأنتما رجلان يتمتعان بمنزلة سامية وعلم فياض ؟
الحق أننى عاجزة عن الإجابة ! خصوصاً لأننى كنت منهمكة
فى أعمالى المنزلية مع وصيفاتى ، ويعلم الله أننى لم أكن
أتوقع وصولكما ولا أفكر فى هذا الموضوع . ٧٥
ولذا أرجوكما ، إكراماً لمنزلتى السابقة ، أن تمهلانى !
إننى أشعر أن عظمة مكانتى فى النزع الأخير
وأرجو أن تمهلانى حتى أنظر فى أمرى وأطلب المشورة
فقد انصرف عنى الأصدقاء وانقطع حبل الأمل !

وولزى : مولاتى ! إنك تظلمين حب الملك لك بهذه المخاوف ! ٨٠
فآمالك وأصدقاؤك لا حد لهم ولا نهاية !

الملكة : ما أقل جدوى الأصدقاء لى فى انجلترا !
هل تظنان أن انجليزياً كائنا من كان
يجرؤ على تقديم المشورة لى ؟
وهل تظنان أن أى صديق مهما بلغت جرأته ، **٨٥**
ومهما تجاسر على قول الحق والتزام الأمانة ،
يستطيع أن يقدم مشورة مخالفة لرأى جلالة الملك
ثم يظل فى قيد الحياة بين الرعية ؟ لا يا أيها الصديقان !
إن الذين يقدرون آلامى وعذابى ، والذين أثق بهم حقاً ،
لا يعيشون بيننا ! بل إنهم (مع كل عزاء وسلوى لى) **٩٠**
بعيدون عنا ! إنهم فى وطنى الأصلى أيها السيدان !

كامبيوس : ليتك يا صاحبة الجلالة تطرحين عنك الهموم
وليتك تتقبلين مشورتى !

الملكة : وما هى يا سيدى ؟

كامبيوس : أن تضعى صلب قضيتك فى أيدى الملك الرحيمة
فقلبه يفيض بالحب وهو كريم بالغ الكرم .
وهذا أفضل كثيراً لشرفك ولقضيتك **٩٥**
ويعفيك من العار الذى قد يلحق بك
إذا أجريت المحاكمة ولم يحكم القضاة لصالحك

وولزى : لقد أصاب !

الملكة : إنكما تشيران علىّ بما ترغبان فيه وهو هلاكى !

أهذه هى المشورة التى تقضى بها المسيحية ؟

عار عليكما ! ما تزال السماء فوق الجميع　　١٠٠

وبها قاض لا يستطيع ملك أن يؤثر فى حكمه !

كامبيوس : إنك تخطئين الحكم علينا بهذا الغضب !

الملكة : بل المزيد من العار عليكما ! كنت أحسب أنكما من رجال الدين

وأنكما تتحليان بأعظم الفضائل ، لكننى أقسم بحياتى

إنكما أقرب إلى التحلى بالكبائر

والقلب فى جوفكما أجوف !

فليعالج كل منكما قلبه أولاً !　　١٠٥

أهذه هى السلوى التى تحملانها لى ؟

أهذا هو الدواء الذى أتيتما به لامرأة تعسة ؟

لامرأة ضاعت بينكم ، وضحكتم منها واحتقرتموها ؟

أنا أكثر رحمة منكم ، فلن أدعو عليكما

بنصف ما أنا فيه من الشقاء ! ولكننى قد حذرتكما !

فانتبها واحذرا كيلا تنقض على رؤوسكما　　١١٠

أثقال أحزانى .

وولزى : مولاتى ! أنت مشتتة النفس وحسب

تحيلين الخير الذى نقدمه لك إلى شر الحسد !

الملكة : بل إنكما تحيلانى إلى عدم ! الويل لكما

والويل لكل الأدعياء الكاذبين !　　١١٥

فإذا كنتما حقاً تتحليان بالإنصاف والشفقة
وكنتما من رجال الدين حقاً لا مجرد أردية كنسية
لما أشرتما عليّ بأن أسلم زمام قضيتى العليلة
لمن يكرهنى ! لقد هجرنى فى المضجع مثلما هجرنى حبه
منذ أمدٍ بعيد ! لقد تقدم بى العمر أيها السيدان ! ١٢٠
وكل ما يربطنى به الآن هو الطاعة !
فما الذى يمكن أن يصيبنى الآن
أكثر من هذا الشقاء ؟ إنكم مهما فكرتم وتدبرتم
فلن تزيدوا شقائى عما هو عليه !

كامبيوس : الواقع أهون مما تصوره مخاوفك

الملكة : فلأدافع عن نفسى ما دامت الفضيلة قد عدمت كل صديق ! ١٢٥
ألم أكن طول حياتى زوجة مخلصة ؟
وأقول بلا فخر إننى ما مستنى الشكوك يوماً ما !
ألم أبادل الملك حبه بكل جوارحى ؟ ألم أضعه فى حبى
فى منزلة تلى السماء ؟ ألم أكن مطيعة له ؟ ١٣٠
ألم أعامله بحب يقترب من التقديس ؟
بل كدت أنسى صلواتى مرضاة له ؟
أيكون ذلك جزائى بعد كل ما فعلت ؟
هذا عين الخطأ يا أيها السيدان !
إذا وجدتما مثلى زوجة مخلصة لزوجها ،

زوجة لم تحلم يوماً بفرحة تجاوز فرحة إرضائه ، ١٣٥
فسوف أضيف إلى قصارى جهودها شرفاً آخر
وهو الصبر الجميل !

وولزى : إنك لا تدركين الخير الذى نرجوه لك .

الملكة : سيدى ! كيف أجرؤ على وصم نفسى بالذنب
أو التنازل راضية عن اللقب السامى الذى اكتسبته ١٤٠
عندما تزوجنى مولاك ؟ لن يحرمنى من كرامتى وشرفى إلا الموت !

وولزى : أرجو أن تنصتى إلى ما أقول !

الملكة : ليتنى ما وطئت أبداً أرض انجلترا
ولا شعرت بالملق الذى ينمو على سطحها !
إن وجوهكم مثل وجوه الملائكة ،
أما قلوبكم فلا يعلم ما فيها إلا الله ! ١٤٥
ترى ما سيكون من أمرى الآن ؟ أنا التعسة !
إنى أشقى امرأة تعيش على سطح الأرض !
وا أسفا عليكن أيتها المسكينات !
أين اختفت بسمات الحظ لكُنّ ؟
لقد تحطمت سفينتى على صخرة هذه المملكة
حيث انعدمت الشفقة ، واختفى الأصدقاء ،
وضاع الأمل ، ولم يعد لى قريب يبكى حظى ! ١٥٠
بل ولا أكاد أجد قبراً يضم رفاتى !

كنت مثل زهرة تزهو فى الحقل ، سيدة للزهور ،
والآن أحنى مثلها رأسى فأذوى وأموت !

وولزى : لو عرفت يا صاحبة الجلالة مدى صدق ما نبغيه لك من خير
لرضيت واسترحت . ما الذى يدعونا يا سيدتى الفاضلة ١٥٥
إلى أن نظلمك فى هذه القضية ؟ إن منزلتنا الدينية
وعملنا بالدين لا يسمح لنا بذلك ، فمهمتنا أن نشفى الآلام
لا أن نبذر بذورها ! أرجوك أن تتأملى ما أنت بصدده
وكيف يمكن أن تسيئى إلى نفسك !
إنك بذلك سوف تجعلين الملك ينفر منك تماماً ! ١٦٠
فقلوب الأمراء تعشق الطاعة وتحتضنها وتقبّلها !
ولكنها تقابل العناد بالغضب والثورة
وبفورة كأنها فورات العواصف !
أنا أعلم أن طبعك رقيق نبيل ١٦٥
ونفسك هادئة مطمئنة ، فأرجو أن تثقى فينا
وفى عملنا باعتبارنا دعاة سلام وصلح ،
فنحن أصدقاء وخدم !

كامبيوس : لسوف يثبت لك ذلك يا مولاتى .
إنك تظلمين فضائلك بمخاوف المرأة الواهنة !
والنفس السامية التى منَّ الله عليك بها ١٧٠
لابد أن تطرح عنها هذه الشكوك

وأن تنبذها نبذ العملات المزيفة .
إن الملك يحبك فحذار أن يضيع ذلك الحب من يدك .
أما نحن ، فإذا شئت أن توليتا ثقتك فى هذه القضية ،
فسوف نبذل قصارى جهدنا لخدمتكم .

الملكة : افعلا ما تريدان أيها السيدان ! وأرجو منكما العفو ١٧٥
إذا كنت قد أسأت إليكما !
تعرفان أننى امرأة تفتقر إلى الحكمة اللازمة
للإجابة اللائقة على أمثال معاليكما !
أرجوكما أن تعبرا عن شعورى إلى جلالته
فما يزال يملك ناصية فؤادى ١٨٠
وسأظل أدعو له بالخير مادمت فى قيد الحياة
تفضلا أيها الأبوان المحترمان وقدما مشورتكما لى !
إنها الآن امرأة تتوسل وتسأل الفضل !
وما كان يجول بخاطرها عندما وطئت قدماها هذا البلد
أن تشترى كرامتها بذلك الثمن الباهظ !

[يخرجون]



الملك هنرى الثامن والكاردينالان فى العرض المسرحى الذى اخرجه تريفور نَنْ Trevor Nunn عام ١٩٦٩ لفرقة شيكسبير الملكية عام ١٩٦٩، قام بدور الملك دونالد سندن Sinden ، وبدور الكاردينال وولزى الفنان بروستر ميسون وبدور الكاردينال كامبيوس الفنان انتونى بيدلى Pedley.



الفصل الثانى - المشهد الرابع - صورة للعرض المسرحى الذى اخرجه ج . ب . كيمبيل Kemble فى مسرح كوفنت جاردن Covent Garden عام ١٨١٦ رسمها الرسام ج . هـ . هارلو G . H . Harlow قامت الممثلة سارة سيدونز بدور الملكة كاثرين، ولعب المخرج نفسه دور الكاردينال وولزى (ويبدو فى اقصى اليسار جالساً) ولعب تشارلز كيمبل دور كروموبل (فى وسط الصورة)

المشهد الثانى

[غرفة فى القصر]

يدخل دوق نورفوك ودوق سافوك

ولورد سَرِى ، وكبير الأمناء

نورفوك : إذا توحدت كلمتكم وجمعتم شكاياتكم معاً
وثابرتم فى تقديمها وإقامة الحجة عليها
فلن يقوى الكاردينال على الصمود إزاءها .
أما إذا أضعتم هذه الفرصة السانحة
فأؤكد لكم أنكم سوف تتعرضون للمزيد من المهانة والعار ٥
إلى جانب ما سبق أن لحقكم !

سَرِى : يسعدنى أن أجد أدنى فرصة
أتمكن فيها من الثأر لما أصاب صهرى الدوق !

سافوك : هل سلم أحد النبلاء من إهانته له
أو على الأقل من إهماله الشديد له ؟ ١٠
ومتى كان يعمل حساباً لأى نبل سوى نبل ذاته هو ؟

كبير الأمناء : أيها اللوردات ! إنكم تقولون ما تريدون !
أما أنا فأعلم تمامًا ما يستحق أن يناله منكم ومنى !
لكننى أخشى كثيرًا ألا نستطيع أن ننال منه الآن
مع وجود الفرصة السانحة ! فإذا لم تستطيعوا ١٥
أن توصدوا سبيل وصوله إلى الملك

فلا تحاولوا أن تنالوا منه مطلقًا

فإن له لسانًا يسحر به لب الملك !

نورفوك : لا تخش منه بعد اليوم ! لقد بطل مفعول ذلك السحر !

إذ إن الملك قد اكتشف أشياء تدينه ٢٠

ومن شأنها أن تفسد طعم العسل الذى كان يقطر من لسانه

وتكسوه بالمرارة إلى الأبد ! لقد اكتسب سخط الملك

الذى لن يزول !

سرّى : سيدى ! ما أحلى أن أسمع هذه الأنباء فى كل ساعة !

نورفوك : صدقنى ! إنها الحقيقة ! ٢٥

ففيما يتعلق بالطلاق ، تكشفت كل تدابيره المعادية

فظهر بمظهر لا أرجوه لغير عدوى !

سرّى : كيف تكشفت أحابيله ؟

سافوك : بطريقة بالغة الغرابة !

سرّى : وكيف كان ذلك ؟

سافوك : تصادف أن ضلت رسائله إلى البابا طريقها ٣٠

ووصلت إلى الملك واطلع عليها !

وعلم منها أن الكاردينال توسل إلى قداسة البابا

أن يؤجل إصدار حكمه فى قضية الطلاق

قائلاً إن الطلاق لو حدث فلن يكون لائقاً

لأن الملك ، على حد تعبير الكاردينال ، قد وقع فى حب فتاة ٣٥

من وصيفات الملكة ، وهى الآنسة آن بولين .

سرِى : وهل عرف الملك ذلك ؟

سافوك : صدقنى !

سرِى : وهل سيفضى ذلك إلى أى نتيجة ؟

كبير الأمناء : لقد تمكن الملك من إدراك سبل الكاردينال

في التسلل والتخفّى لخدمة أغراضه الخاصة !

ولكن حيل الكاردينال لم تفلح فى هذه المسألة ٤٠

لأنه أتى بالدواء بعد وفاة المريض !

إذ إن الملك قد تزوج الحسناء بالفعل !

سرِى : ليته يتزوجها حقاً !

سافوك : بل تزوجها فعلاً ! ولقد تحققت أمنيتك واسعد بها ![*]

سرِى : ما أسعدنى حقاً بهذا الزواج !

سافوك : آمين آمين !

نورفوك : وآمين من الجميع ! ٤٥

سافوك : لقد أصدر الأمر بعقد حفل التتويج ،

ولكن الأمر ما يزال حديث العهد

ويجب ألا يصل إلى أسماع بعض الناس .

ولكنها أيها السادة فتاة رائعة كاملة العقل والجمال

(*) يقول هولنشد (المؤرخ الذى استند إليه شيكسبير) إن الملك تزوج آن بولين يوم ١٤ نوفمبر ١٥٣٢ ولكن « الزواج ظل طى الكتمان ولم يعرف به إلا أقل القليل حتى عيد الفصح فى العام التالى » . أما فى المسرحية فالزواج يسبق سقوط وولزى الذى « جلله العار » ، على حد تعبير فوكس Foakes فى عام ١٥٢٩ وتوفى فى عام ١٥٣٠ .

وأنا واثق أن البركة سوف تحل على البلد منها ٥٠

وأن ذكرها سوف يخلد !

سترى : ترى هل يتغاضى الملك عن رسالة الكاردينال ؟

لا قدر الله !

نورفوك : آمين آمين !

سافوك : لا يمكنه أن يتغاضى عنه ! فكثير من الزنابير تطنّ فى أنف الملك

ولن يتأخر موعد اللسعة ! ٥٦

لقد انسل الكاردينال كامبيوس عائداً إلى روما دون إذن ،

وترك قضية الملك معلقة دون حسم !

بل إنه ذهب مندوباً عن الكاردينال

ليساعد فى تنفيذ المؤامرة ! وأؤكد لكم ٦٠

أن الملك عندما سمع بذلك ثار غضبه !

كبير الأمناء : أدعو الله أن يزيد غضبه ويثور ثورة أكبر !

نورفوك : ولكن قل لى يا سيدى اللورد

متى يعود كرانمر ؟

سافوك : لقد سبقته إلى انجلترا آراؤه والآراء التى جمعها من الخارج(*) ،

والتى تبرر طلاق الملك ، استناداً إلى فتاوى العلماء(**) ٦٥

(*) هولنشد يقول إن الملك أرسل إدموند بونر (أسقف لندن) إلى الخارج ، ويبدو أن شيكسبير استند فى هذه الفقرة على ما أورده فوكس Foxe خطأ من أن الملك « أرسل كرانمر إلى فرنسا ومعه أسقف لندن » (طبعة ١٥٦٣) ورغم التعديلات فى رواية فوكس فى الطبعات التالية خصوصًا طبعة ١٥٩٧ ، فإن فوكس لاينفى إرسال كرانمر .

(**) فى الأصل 'الكليات' والمقصود هو أساتذتها أى العلماء .

فى كل البلدان المسيحية تقريبًا ! وأعتقد أننا سنسمع قريباً
الإعلان عن زواجه الثانى وعن حفل تتويج الملكة الجديدة !
أما كاترين فلن يطلق عليها لقب الملكة بعد الآن !
سوف تسمى الأميرة الأرملة ، أرملة الأمير آرثر ! ٧٠

نورفوك : إن كرانمر هذا رجل قدير
وقد تجشم متاعب عديدة فى قضية الملك الحالية !

سافوك : هذا صحيح ! وسوف يكافأ على ذلك بتعيينه
رئيساً للأساقفة ![*]

نوفوك : هذا ما سمعته !

سافوك : بل هو الحق !

[يدخل وولزى وكرومويل]

ها هو الكاردينال !

نورفوك : انظروا انظروا إنه حزين مهموم ! ٧٥

وولزى : الرسائل يا كرومويل ! هل سلمتها للملك ؟

كرومويل : إلى يده شخصياً وهو فى غرفة نومه .

وولزى : وهل اطلع على ما جاء فى الرسائل ؟

كرومويل : فضّها على الفور ، وقرأ أول رسالة
وقد ارتسمت على وجه سمات الجد والاهتمام ٨٠

(*) يقول هولنشد إن كرانمر عُيّن رئيسًا للأساقفة فى عام ١٥٣٣ خلفًا لرئيس الأساقفة وارام الذى توفى فى صيف عام ١٥٣٢ .

ثم أصدر الأمر إليك بالمثول بين يديه هذا الصباح

وولزى : هل استعد للخروج من مخدعه ؟

كرومويل : أظنه الآن قد استعد للخروج

[يخرج كرومويل]

وولزى : اتركنى قليلاً الآن .

[جانباً] لابد أن يتزوج دوقة ألانسون ٨٥

أخت ملك فرنسا ! لابد أن يتزوجها !

آن بولين ؟ لا لا ! أنا لا أحبذ زواجه من أمثالها !

الزواج يقتضى ما هو أكثر من الحسن والجمال ! بولين ؟

لا لا ! لن نصاهر آل بولين ! أتوقع أن تصلنى رسالة

على وجه السرعة من روما ! مركيزة بمبروك ؟ معقول ؟ ٩٠

نورفوك : إنه مستاء ساخط !

سافوك : ربما سمع أن الملك يشحذ سكين غضبه عليه !

سرّى : أسأل الله أن يزيد من حدة سنها القاطع

إحقاقاً للحق والإنصاف

وولزى : **[جانباً]** إحدى وصيفات الملكة السابقة ؟

هل تصبح بنت أحد الفرسان سيدة لسيدتها ؟

ملكة على ملكتها ؟ إن هذه الشمعة لا تبعث ضوءاً وهاجاً ٩٥

لابد أن أنظفها من السناج وبعدها ستنطفئ ![*]

(*) 'التنظيف من السناج' to snuff الهدف منه زيادة ضوء الشمعة ، والمقصود بالشمعة مسألة الزواج التى يكتنفها الغموض ، والمعنى إذن هو أن وولزى يريد أن يجلو حقيقة الأمر ثم يضع حدًا لغرام=

ماذا يهم لو علمت أنها فاضلة كريمة الخصال ! ؟
فالواقع الذى نعلمه أيضاً هو أنها لوثرية حقود
وليس من صالح قضيتنا أن تحتل مكانها
فى قلب ملكنا وهو صعب المراس ! ١٠٠
وإلى جانب ذلك يبرز لى مارقٌ بل مارقٌ أكبر
هو كرانمر ! لقد تسلل حتى فـاز بالحظوة لدى الملك وأصبح موضع
ثقته العمياء !

نورفوك : إن شيئاً ما يقلقه قلقاً شديداً !

[يدخل الملك وهو يقرأ فى قائمة بصحبة لافل]

سرّى : أرجو أن يكون أمراً يقرض ويقطع نياط قلبه ! ١٠٥

سافوك : الملك ! الملك !

الملك : ما هذه الأكوام من الثروة التى جمعها لنفسه ! ؟
وما هذه المبالغ الباهظة التى ينفقها كل ساعة ؟!
كيف استطاع ، مهما يكن دخله ، أن يجمع هذه الأموال ؟
أيها اللوردات ! ألم تشاهدوا الكاردينال ؟ ١١٠

نورفوك : مولاى ! كنا واقفين هنا فلاحظنا أن ذهنه
يموج بقلق واضطراب غريب ! كان يعض شفته
وكان ينتفض ويسير ثم يقف بغتة

الملك بآن بولين . هذا ما ذهب إليه الشراح ، أما معجم أكسفورد الكبير فيورد فى أحـد معانى snuff أن التنظيف مـن السناج على عمق كبـير (من الفتيل) قد يطفئ الشمعة ، ويورد قـولاً للشاعر توماس هاى وود Thomas Heywood (١٦٣٧) شاهدًا على ذلك . وقد يكون ذلك مقصد شيكسبير .

ويحملق فى الأرض ، ثم يضع أصبعه على فَوْدِه
ثم ينطلق بخطوات سريعة ، ويقف من جديد
ثم يضرب صدره بشدة ، ويصوّب بصره إلى القمر !
لقد شاهدناه فى أوضاع بالغة الغرابة !

الملك : محتمل ! بل متوقع ! فإن فى عقله ثورة ! ١٢٠
فقد أرسل هذا الصباح إلىّ بعض أوراق الدولة لأطلع عليها
بناءً على طلبى ، فهل تعرفون ما وجدت ؟
لقد وضع بينها سهواً ولا شك قائمة بممتلكاته !
آنية فضية ، وأموالاً طائلة ، ومتاعاً باهظ الثمن ، ١٢٥
ورياشاً منزلياً غالياً ، تفوق قيمته ما يجوز أن يتوافر
لأحد من رعيتى !

نورفوك : إنها إرادة الله ! إن ملاكاً وضع تلك القائمة
بين الرسائل حتى تُمْتِعَ عينك بمرآها !

الملك : لو كنا نظن أن تأملاته تتجاوز حطام الدنيا الزائلة ١٣٠
وتتركز فى الأمور الروحانية ، لتركناه غارقاً فى تأملاته !
ولكن أفكاره للأسف تنحصر فى كل ما ينتمى للأرض
وما هو غير جدير بأى تأملات جادة !

[يأخذ الملك مكانه ويتهامس مع لافل الذى يذهب إلى الكاردينال]

وولزى : فلتغفر السماء لى وليبارك الله مولاى إلى الأبد ! ١٣٥

الملك : يا سيدى الكريم ! لقد حظيت بالكثير من نعم السماء
وذهنك حافل بقائمة طويلة من الشمائل الكريمة !
ولا شك أنك كنت تتأملها الآن وتمعن الفكر فيها !
ولا تكاد تتوافر لك لحظة قصيرة تختلسها من وقت العبادة ١٤٠
كيما تقضيها في مراجعة حساباتك الأرضية !
ولا شك أنك إذن مهمل فى شؤون الاقتصاد
ويسعدنى أنك تشاركنى هذه الصفة

وولزى : سيدى ! إنى أخصص للواجبات الدينية ما يلزمها من الوقت ١٤٥
وأخصص جانباً آخر من وقتى للمهام التى كُلِّفْتُ بها فى الدولة
كما تقتضى الطبيعة منى وقتاً أقضى به حق البدن ،
ولما كنت ابناً واهناً للطبيعة ، أنتمى لإخوتى الفانين ،
فلا مناص لى من تخصيص وقت لذلك !

الملك : أحسنت القول !

وولزى : وأتمنى أن يربط مولاى أقوالى الحسنة ١٥٠
بأفعالى الحسنة ، على نحو ما سأثبت له !

الملك : أحسنت القول ثانياً !
والقول الحسن لون من الفعل الحسن
ولو أن الأقوال ليست أفعالاً !
كان والدى يحبك ، وكان يقول إنه يحبك ، ١٥٥
وأثبت صدق أقواله بأفعاله !



الفصل الثالث ـ المشهد الثانى : الملك هنرى الثامن يقدم وثيقة إدانة الكاردينال وولزى إليه. من طبعة الأعمال الكاملة لشيكسبير التى حررها رو Rowe عام ١٧١٤، ويظهر رجال البلاط فى الخلفية فى ازياء رجال بلاط القرن الثامن عشر.

وكنت منذ جلوسى على العرش
أنزلك منزلة الحب فى قلبى
ولم أكتف بتوليتك منصباً تجنى منه الأرباح الطائلة
بل كنت أقتطع من ممتلكاتى لإسباغ النِّعَمِ عليك !

وولزى : **[جانباً]** ترى ماذا يعنى ذلك ؟ ١٦٠

سرّى : **[جانباً]** ألهبْ يارب هذه القضية !

الملك : ألم أجْعَلْك الرجل الأول فى المملكة ؟
وأرجو أن تقول لى إذا كنت صادقاً فيما أقول :
فإذا اعترفت بصدقى فقل لى إذا ما كنتَ مديناً لى
أم لا ؟ ماذا تقول ؟ ١٦٥

وولزى : إنى أعترف يا مليكى أن نعَمَك وأفضالك الملكية
التى ما فتئت تمطرنى بها وتغدقها علىّ فى كل يوم
كانت أكثر مما يمكن أن أحققه بجهودى مهما تكن ،
وأكثر مما أستحق ! كانت جهودى دائماً تقصر عن تحقيق غاياتى
وإن كنت أبذل حقاً كل ما استطيع ! ١٧٠
وإذا كانت جهودى قد عادت علىّ ببعض الخير
فإن غاياتى كانت دائماً ترمى إلى ما فيه الخير لشخصكم المقدس
ورفاهية الدولة وثرائها !
وليس فى وسعى أن أقدم جزاءً على هذه النِّعم العظيمة
التى تغدقونها علىّ ، أنا الضعيف الذى لا أستحقها ، ١٧٥

إلا آيات الشكر العامرة بالولاء .
والدعوات التى أرفعها إلى السماء من أجلكم
والإخلاص الذى ما برح ينمو ، وسيظل ينمو ،
حتى يذوى ويموت فى برودة شتاء الموت !

الملك : إجابة حسنة !
وهى تصور أحد الرعايا الذين يدينون لنا ١٨٠
بالولاء والطاعة ، والذى يجد فى شرف ما يفعل
خير جزاء على فعله ، مثلما يجد الوضيع فى سوء سمعته
عقاباً كافياً على فعله ! وأتصور أننى
إذا كنت قد أغدقت النعم عليك بهذه اليد المعطاء
وأسبغ قلبى الحب عليك ، وأمَطَرتْ سلطتى عليك مراتب السمو
والشرف ، أكثر مما أنعمت به على غيرك ، ١٨٦
فكان ينبغى ليدك وقلبك وعقلك ،
وكل طاقة لديك ، أن تناصرنى وتقف إلى جوارى ،
فهذا ما يقضى به الواجب أولاً ويمليه الحب ثانياً !

وولزى : أعترف أننى كنت دائماً أسعى لخير جلالتكم ١٩٠
أكثر من السعى لخدمة نفسى . كان هذا شأنى وسيظل كذلك
وحتى لو أهمل العالم كله واجبه نحوكم .
وطرحها وراءه ظهريا ، وحتى لو تكاثرت الأخطار
ففاقت كل ما يتصوره العقل ويرسمه الفكر ١٩٥

من صور بشعة مفزعة منكرة
فإن واجبى سوف يظل ثابتاً كالصخرة الصامدة
يلاطم الموج الثائر ! وإذا ثار البحر وفار
ظل واجبه لكم سداً منيعًا لا يتزعزع !

الملك : ما أنبل أقوالك ! لاحظوا أيها اللوردات ٢٠٠
أن له صدراً يعمره الإخلاص ، فقد شاهدتموه
وهو يفضى بمكنون هذا الصدر لكم !
اقرأ إذن هذه الورقة ، فإذا لم تتأثر شهيتك
بعد قراءتها ، فتفضل وتناول إفطارك !

[يعطى الملك ورقة للكاردينال ثم يعبس فى وجهه ، ثم يخرج ، بينما يتجمع النبلاء حوله يتهامسون باسمين]

وولزى : ما معنى ذلك ؟ ما هذا الغضب المفاجئ ؟
ماذا فعلت حتى أستحق ذلك ؟ لقد تركنى ٢٠٥
والعبوس فى وجهه كأن الهلاك يتواثب من عينيه !
هكذا ينظر الأسد الغاضب إلى الصياد الجسور
الذى أصابه بجرح قبل أن يفترسه ويمحقه !
لابد أن أقرأ هذه الورقة :
أخشى أنها ستحكى قصة غضبه !
هذا صحيح ! لقد أهلكتنى هذه الورقة ! ٢١٠

إنها قائمة بحساب الثروة الطائلة التى جمعتها
تحقيقاً لأغراضى الخاصة ، ومنها الوصول إلى كرسى البابوية ،
ورشوة أصدقائى فى روما ! يا للإهمال الشديد !
إنه لا يتأتى إلا من أحمق مأفون !
أى شيطان رجيم جعلنى أضع هذه الورقة ٢١٥
التى تحمل سرِّى الأكبر فى رزمة الأوراق التى أرسلتها للملك ؟
ألا توجد وسيلة لعلاج الأمر ؟
ألا توجد حيلة جديدة استبعد بها هذا الموضوع من ذهنه ؟
أعرف أنها سوف تثير ثائرته ، ولكن أمامى سبيلاً
إذا ولجته وأحكمت السير فيه ، رغم تجهم القدر ،
قد يعيدنى إلى سابق منزلتى ! ولكن ما هذا ؟ ٢٢٠
رسالة إلى البابا ؟ إنه الخطاب - قسماً بحياتى -
الذى يتضمن كل ما كتبته إلى قداسته !
الآن ضاع الأمل ! وداعاً أيها المجد !
لقد وصلت إلى أعلى ذروة من ذرا العظمة
وطرت حتى بلغت سمت سماء المجد
وها أنذا أهوى من حالق إلى أفق الأفول والغروب ! ٢٢٥
إننى سأهوى مثل النجم الثاقب حين يهوى فى المساء
ثم لن تبصرنى عين إنسان !

[يدخل دوق نورفوك ، وسافوك ،
وسَرى وكبير الأمناء]

نورفوك : اسمع أيها الكاردينال ما أمر به الملك !
إنه يأمرك بتسليم خاتم الدولة إلينا على الفور
وبتحديد إقامتك فى «أشر هاوس»(*) ، ٢٣٠
وهو منزل لورد ونشستر ، حتى يبعث إليك
بأوامر جديدة !

وولزى : مهلاً مهلاً : أين نص الأمر الملكى الذى تحملونه ؟
ليس للكلمات من سلطة فى مسألة بهذه الخطورة !

سافوك : من ذا الذى يجرؤ على مخالفتها
وهى التى تعبر عن إرادة ملكية نطق بها صراحة ؟ ٢٣٥

وولزى : بل أجرؤ على مخالفتها بل وإنكار صحتها
حتى أجد فى يدى ما هو أصدق من الإرادة
أو الكلمات التى تعبر عما هو أكثر ، وأعنى به الحقد
أيها اللوردات الذين يتدخلون فيما لايعنيهم !
أرى الآن بوضوح من أى معدن غليظ خلقتم —
من الحسد ! إنكم تحرصون على متابعة عيوبى ٢٤٠
كأنها تشبع نهمكم ! وما أشد ما تفرحون وتسعدون
بكل ما من شأنه القضاء على مكانتى !

(*) يقول هولنشد إن « أشر هاوس كان مقر إقامة أسقف ونشستر » ولما كان وولزى هو أسقف ونشستر فمعنى هذا هو وضعه تحت الإقامة الجبرية فى منزله ، ولكن شيكسبير يجرى تعديلاً هنا للإيحاء بأن منزل لورد ونشستر هو منزل جاردنر الذى يشار إليه بهذا اللقب فى الفصل الخامس ، المشهد الثانى ، السطور ٩٢ ، و ١٠٧ و ٢٠٤ ، وهو الذى خلف وولزى فى منصف أسقف ونشستر فيما بعد (١٠١/١/٤) .

سيروا إذن فى سبل الحقد والحسد يا رجال الخبث !
وقد وجدتم فى الدين ما يبرر سلوك هذا المسلك
ولا شك أنكم سوف تلقون الجزاء الوفاق آخر الأمر ! ٢٤٥
إن خاتم الدولة الذى تلحّون فى طلبه
كان الملك قد سلمنى إياه بيديه ، وهو سيدى وسيدكم ،
وأمرنى أن أتمتع بما يخولهِ لى من المكانة والشرف
طول حياتى ، وأكد هذا الأمر الكريم بمراسيم رسمية !
فمن ذا الذى يستطيع انتزاعه منى ؟ ٢٥٠

سرى : الملك الذى أعطاك إياه !

وولزى : يجب أن يأخذه بنفسه إذن !

سرى : إنك خائن متكبر أيها القس !

وولزى : بل أنت كاذب أيها اللورد المتكبر !
منذ أربعين ساعة لا أكثر
لم يكن سرِى يجرؤ على التفوه بهذا
ولو أحرق لسانه !

سرى : إن طمعك يا كتلة من الخطيئة القرمزية (*) ٢٥٥
قد حرم هذه البلد المنكوبة من دوق بكنجهام الشريف
وهو صهرى العظيم ! ولم تكن رؤوس إخوانك الكرادلة

(*) وولزى يرتدى أثواب الكاردينال القرمزيـة . والنص يتضمن صدى لما ورد فى سفر اشـعياء عن لون الخطيئة القرمزى الذى يتحول بعفو الله إلى اللون الأبيض (١ / ١٨) .

حتى إذا أضيفت إلى رأسك وخير ما فيك
تساوى شعرة واحدة من شعر رأسه !
لعن الله سياستك ! لقد أرسلتنى نائبًا للملك فى أيرلنده(*) ٢٦٠
فأبعدتنى حتى لا أتمكن من إنقاذه
أبعدتنى عن الملك ، وعن كل من كان بيده
أن يرحمه وينفى التهمة التى وجهتها إليه !
أما الخير العظيم فى فؤادك فقد تجلى فى شفقة ربانية
إذ محوتم خطيئته بسيف الجلاد !

وولزى : هذا محض افتراء وكذب صريح ! هذه هى إجابتى ٢٦٥
على اتهامات ذلك اللورد الثرثار لشرفى !
لقد نال الدوق ما يستحقه بحكم القانون
أما براءتى من الحقد عليه والتسبب فى موته
فيشهد عليها المحلفون الأشراف
وتشهد عليها جريمته الشنعاء !
أيها اللورد ! لو كنت ممن يثرثرون مثلك ٢٧٠
لقلت لك إن افتقارك إلى الصدق
لايعدله إلا افتقارك إلى الشرف !
وإننى على استعداد لإثبات إخلاصى وولائى للملك ،
وهو سيدى العظيم، فى مواجهة مع شخص أعقل وأحكم من سَرِى
وكل من يحبون حماقاته !

(*) هذه إشارة إلى ما ذكره هولنشد ، وقد سبق ورودها فى ٢/١/ ٤٠ .

سرى : قسمًا بروحى إن ثوبك الطويل أيها القس **٢٧٥**
هو الذى يحميك منى ! وإلا لشعرتَ بسيفى البتار
يريق دم حياتك ! أيها اللوردات !
هل تقدرون على احتمال هذه الغطرسة ؟
ومن فم هذا الشخص ؟ إننا لو التزمنا الوداعة
وتحملنا إهانة هذه الكتلة القرمزية **٢٨٠**
نكون قد ودعنا كرم المحتد إلى الأبد !
هيا ! ابهرنا بقبعتك القرمزية وأوقع بنا فى الفخ
مثلما نفعل عند اصطياد القبرة !(*)

وولزى : إن أحشاءك لاتقبل الخير كأنه سم زعاف !

سرى : تقصد الخير الذى يتجلى فى ابتزاز أموال الأرض كلها **٢٨٥**
وجمعها فى قبضة رجل واحد هى قبضتك أيها الكاردينال ؟
تقصد الخير الذى يتجلى فى الرسائل التى اطلع عليها الملك قبل
إرسالها إلى البابا ، والمناهضة لصاحب الجلالة ؟
إننى سأعلن على الملأ خبر هذا الخير ، ما دمت تستفزنى !
اسمع يا لورد نورفوك (**) ! بحق شرف محتدك
واحترامك للصالح العام ، وما أصاب الأشراف من إهانة ، **٢٩٠**
وبحق إعزازنا لأولادنا الذين لن يصبحوا من السادة أبدًا

(*) كان من عادة الصيادين التلويح بقطعة قرمزية من القماش لإغراء القبرة بالهبوط إلى الأرض ثم إلقاء الشبكة عليها واقتناصها .

(**) الواقع أن لورد نورفوك كان والد لورد سرى .

إذا استمر هذا الرجل فى قيد الحياة ! حلفتك بحق ذاك كله
أن تقوم بإعداد قائمة شاملة بخطاياه
وما ارتكبه من آثام فى حياته !
[**إلى وولزى**] لسوف أفزعك فزعًا يزيد عن رهبة
ناقوس القُدَّاس ، عندما أذيع على الملأ ما فعلتَ ٢٩٥
عندما كانت الغادة السمراء فى أحضانك
تلثمك وتلثمها أيها الكاردينال !

وولزى : ما أشد ما يدفعنى إلى كراهية هذا الرجل ،
ولكن التزامى بحب الخير يحول بينى وبينه !

نورفوك : إن قائمة الخطايا يا سيدى اللورد قد وقعت فى يد الملك
ولكننى أقول وحسب إنها جرائم شنيعة ! ٣٠٠

وولزى : ستظهر براءتى ناصعة لا تشوبها شائبة عندما يدرك الملك صدقى !

سرِى : لن ينجيك ذلك ! وأنا أحمد الله على ذاكرتى القوية
إذ ما أزال أذكر بعضها وسوف أذيعه على الملأ !
فإذا علت حمرة الخجل وجهك أيها الكاردينال
واعترفت بأنك مذنب ،
كنت تتمتع حقًا ببعض الصدق مع النفس ! ٣٠٥

وولزى : قل ما تشاء سيدى ! فأنا قادر على دحض أبشع اتهاماتك !
أما إذا علت حمرة الخجل وجهى ، فذاك لأننى أرى نبيلاً
يفتقر إلى آداب السلوك .

سرى : أن أفتقر إلى آداب السلوك أفضل عندى
من الافتقار إلى الرشد ! وهاك ما فعلتَه !
إنك أولاً سعيت دون موافقة الملك ودون علمه(*) ٣١٠
إلى أن تكون نائبًا للبابا، وبالسلطة التى اكتسبتها بفضل ذلك المنصب
قطعت أطراف السلطة القضائية المخولة للأساقفة جميعًا !

نورفوك : ثم إنك كنت توقع دائمًا رسائلك إلى روما وإلى
الأمراء الأجانب بإمضاء مهين للملك هو « أنا والملك »
وهو ما يوحى بأن الملك خادم لك ! ٣١٥

سافوك : ثم إنك عند نهوضك بمهمة السفير إلى الامبراطور
تجاسرت وحملت معك ، دون علم الملك أو المجلس ،
خاتم الدولة إلى منطقة فلاندرز !

سرى : كما أرسلت وفدًا كبيرًا إلى جريجورى دى كاسادو ٣٢٠
ليبرم معاهدة بين جلالته وبين فيرارا
دون أن يعرب الملك عن رغبته فى ذلك
ودون أن يأذن لك المجلس بها !

(*) فى السطور من ٣١٠ إلى ٣٣٢ يورد سرى ونورفوك الاتهامات رقم ١ و ٢ ، و ٤ ، و ٥ ، و ٧ ، و ٩ من بنود الاتهام التسعة الموجهة ضد وولزى ، والاتهامات الثلاثة المحذوفة تتعلق بمخالفات أو جنح طفيفة . وقد حذفها كاتب مسرحى آخر هو راولى فى مسرحية 'ستعرفنى عندما ترانى' ، When You See Me, You Know me (1605) ويقول فوكس Foakes إن ذلك لايعنى وجود علاقة ما بين المسرحيتين ، فمن الطبيعى أن يركز الكاتب على أهم التهم .

سافوك : وكذلك دفعك الطموح إلى أن تأمر بطبع صورة قبعتك الكهنوتية
على نقود الملك ! ٣٢٥

سرى : ثم إنك أرسلت إلى روما أموالاً لاتحصى
أترك لضميرك تأويل مصادرها
حتى تمهد سبل الحصول على ألقاب المجد والمراتب الرفيعة
مما جر الخراب على المملكة جمعاء .
وتوجد فى القائمة جرائم أخرى كثيرة ٣٣٠
ولكن ما دمت أنت الذى ارتكبتها
وما دامت بهذه الفظاعة والبشاعة
فلن أدنس فمى بذكرها !

كبير الأمناء : أرجو يا سيدى اللورد أن ترحم رجلاً
يهوى من قمة مجده ! فالرحمة فضيلة مؤكدة !
ولقد أحيلت جرائمه الآن إلى ساحة العدالة
فدع القانون يتولى إصلاحه بدلاً منك .
إن قلبى يبكى عندما أنظر إليه وقد تضاءل وانكمش ٣٣٥
بعد أن كان عملاقًا شامخًا !

سرى : إننى أعفو عنه .

سافوك : سيدى الكاردينال ! اسمع أيضًا ما قضى به الملك :
لما كانت كل أفعالك فى الفترة الأخيرة داخل هذه المملكة
تستند إلى سلطتك باعتبارك نائبًا للبابا ٣٤٠

فهى تدخل إذن فى نطاق التسلح بسلطة البابا
والتعدى على سلطة الملك ! ومن ثم فقد تقرر تطبيق القانون
فى هذه الحالة ، وهو يقضى بمصادرة جميع منقولاتك
وأراضيك وقصورك ورياشك ، وكل ما تمتلكه ،
وحرمانك من حماية الملك . وقد عهد الملك إلىّ بتنفيذ ذلك .

نورفوك : وهكذا نتركك لتتأمل حالك ٣٤٥
وتنظر كيف تعيش حياة أفضل !
أما عن العناد الذى أظهرته عندما رفضت إعادة
خاتم الدولة إلينا ، فسوف يعرف به الملك
وسوف يكون بلا شك شاكرًا لك !
وهكذا وداعًا لك يا كاردينال يا قليل الخير !

[يخرج الجميع ما عدا وولزى]

وولزى : وكذا وداعًا للخير القليل الذى تكنونه لى ! ٣٥٠
وداع ؟ بل وداع طويل لجميع أطراف العظمة !
هذا هو حال الإنسان ! ينشر فى يومه أوراق الأمل الغضة
على أغصان حياته ، ويشهد فى غده البراعم وهى تتفتح ،
وزهرات المجد وهى تزهو بألوان المجد الكثيفة من حوله ،
ولكن الصقيع القاتل ينقض عليها فى اليوم الثالث ! ٣٥٥
وعندما يقول واثقًا ، وهو يتقلب فى أعطاف النعيم ،
إن ثمار عظمته أوشكت على النضج ،

يرى الصقيع وقد نخر جذورها
والشجرة تهوى ساقطة مثلما أسقط الآن !
لقد نزلت البحر سابحًا مثل الصبية اللاهين
بعوامات من القرب المنفوخة
وظللت فى بحر المجد صيفًا من بعد صيف ٣٦٠
حتى ابتعدت عن شاطئ الأمان ووصلت لمنطقة أعمق من طاقتى !
وهنا انفجرت عوامة كبريائى المنتفخة ، وتركتنى خائر القوى ،
منهكًا من طول الخدمة، وتحت رحمة بحر هائج متلاطم ،
لابد أن يبتلعنى آخر الأمر إلى الأبد .
أيتها الأبهة الزائفة ! يا مجد الدنيا الخاوى ! ٣٦٥
لكم أبغضك الآن ! أشعر أن قلبى يتفتّح الآن من جديد !
ما أتعس حياة الإنسان المسكين الذى يعتمد على حظوة الأمراء !
وفيما بين الابتسامة التى نحاول أن نحظى
بها من الأمير ومخايل الرضا على محياه ،
وبين إسقاطنا وإهلاكنا ، ألوان من الألم والفزع
لا تعرفها الحروب ولا النساء ! وعندما يهوى الواحد منا ٣٧٠
فإنه يسقط سقوط إبليس ، إذ يفقد الأمل إلى الأبد !

[يدخل كرومويل ويقف مشدوها]

ماذا بك يا كرومويل ؟

كرومويل : لا أستطيع الكلام سيدى !

وولزى : هل أدهشتك مصائبى ؟ هل تعجب روحك من سقوط
رجل عظيم ؟ ما دمت تبكى فقد سقطتُ حقًا وصدقًا !

كرومويل : كيف حال غبطتكم ؟

وولزى : لا بأس يا كرومويل !
بل لم أشعر من قبل بمثل هذه السعادة الصادقة !
اسمع يا كرومويل الكريم ! إننى أعرف ذاتى الآن
وأشعر فى قرارة نفسى باطمئنان يفوق كل مراتب الرفعة الأرضية !
وضميرى هادئ مطمئن !
ولقد أتى علاجى على أيدى الملك ٣٨٠
ولذا أقدم شكرى بكل تواضع لجلالته !
لقد أشفق علىّ فرفع عن هذين الكاهلين ، هذين العمودين المتهالكين ،
عبئًا لو حملته سفن أسطول كامل لغرقت !
إنه عبء الشرف الثقيل ! إنه لعبء يا كرومويل !
وهو أثقل من أن يحمله إنسان يرجو رحمة السماء ![*] ٣٨٥

كرومويل : يسرنى أنكم قد انتفعتم بما حل بكم
على الوجه الأكمل !

وولزى : أرجو أن تكون على حق ! بل وأظن أننى الآن
أقدر على تحمل المزيد من المصائب

(*) المعنى الآخر هو : يرجو أن يدخل الجنة .

بما أحسه فى نفسى من طاقة وجلد !

بل على تحمل مصائب أكبر وأصلب مما يستطيع أعدائى الجبناء

أن يهيئوه لى ! ماذا لديك من الأنباء ؟ ٣٩٠

كرومويل : أثقلها وأسوأها هو سخط الملك عليك !

وولزى : فليباركه الله !

كرومويل : وبعدها يأتى خبر تعيين سير توماس مور خلفًا لك

وولزى : هذا مفاجئ إلى حد ما ، ولكن السير توماس عالم فاضل

أطال الله حظوته لدى الملك ، وجعله من الذين ٣٩٥

يقيمون العدل مراعاة للحق والضمير .

وأدعو الله أن يوارى عظامه عندما يوافيه الأجل

ويرقد فى سلام وبركات ، فى قبر سقته دموع اليتامى !

ألديك أنباء أخرى ؟

كرومويل : نعم ! أعاد الملك كرانمر إلى حظوته ٤٠٠

وعينه رئيسًا لأساقفة كنتربرى

وولزى : هذا هو الخبر الغريب حقًا !

كرومويل : وأخيرًا فإن السيدة آن بولين التى كان الملك

قد تزوجها سرًا منذ زمن بعيد ، شاهدها الجمهور اليوم

وهى ذاهبة إلى الكنيسة باعتبارها الملكة الجديدة ! ٤٠٥

ولاتتحدث الألسنة اليوم إلا عن موعد تتويجها !

وولزى : هذا هو الثقل الذى لم أستطع حمله فوقعت !

أواه يا كرومويل ! لقد نبذنى الملك !
ولقد ضاع كل مجدى إلى الأبد بسبب هذه السيدة !
لن تشرق الشمس من جديد على مظاهر عظمتى ٤١٠
ولن توشى بالذهب الأتباع من النبلاء الذين طالما
تلهفوا على ابتسامة من فمى ! انصرف الآن يا كرومويل !
اترك رجلاً مسكينًا سقط من قمة مجده
فلم أعد جديرًا الآن بأن أكون مولاك وسيدك .
عليك بالملك ، فهو الشمس التى أدعو الله ألا تغيب أبدًا !
لقد أبلغته بلون إخلاصك ومدى ولائك ٤١٥
وسوف يعلى مرتبتك . لسوف يتذكرنى إلى حد ما ،
فأنا أعرف نبل طبعه ، وسوف تدفعه الذكرى
إلى عدم إهمال خدماتك وإلى مكافأتك !
اسمع يا كرومويل الكريم ! لاتهمل خدمة الملك
واغتنم الفرصة السانحة الآن حتى تضمن سلامتك ٤٢٠
فى المستقبل !

كرومويل : يا سيدى ! ألا بد لى أن أتركك ؟
ألا بد أن أترك سيدًا يعمر قلبه الخير والنبل والإخلاص ؟
فليشهد كل من لديه قلب لم يُقَدَّ من حديد
على عمق الحزن الذى يكابده كرومويل وهو يترك سيده ! ٤٢٥
خدماتى ستكون للملك ، ولكن دعواتى ستكون لك
إلى الأبد ، وإلى أبد الآبدين !

وولزى : الحق يا كرومويل إننى ما جال بخاطرى أن أذرف دمعة واحدة
رغم هذه المصائب كلها ! لكنك أرغمتنى بصدق إخلاصك
على أن أذرف عبرات المرأة ! كفكف دموعك ودموعى ! ٤٣٠
أنصت إلى ما سوف أقوله يا كرومويل :
غدًا سيطوينى النسيان ، وأرقد فى ضريح من الرخام البارد الصَّلْد
ولن يتردد اسمى على لسان أحد ، بل ستُمنع الألسنةُ من ذكره !
وعندها اذكر أننى علمتك درسًا مفيدًا ! قل إن وولزى علمنى !
ذاك الذى وطئت أقدامه سبل المجد ، وسبر جميع الأغوار ، ٤٣٥
ورأى حيتان الشرف سابحة قبل أن تتحطم سفينته !
قل إنه رسم لك طريقًا تبلغ به مراتب العلا
طريقًا مؤكدًا، آمنًا ! وإن كان معلمك نفسه
لم يفلح فى انتهاجه ! ما عليك إلا أن تتأمل سقوطى
والأسباب التى هوت بى من حالق !
إنى آمرك يا كرومويل أن تطرح الطموح والطمع ! ٤٤٠
فهذه هى الخطيئة التى أحالت بعض الملائكة إلى شياطين !
فكيف يستطيع الإنسان ، الذى خُلِقَ فى صورة بارئه ،
أن يرجو الفلاح بفضلها ؟ ضع حب نفسك
فى المرتبة الأخيرة ، وأضمر الإعزاز للقلوب التى تكرهك !
ولايفوز الخبيث بأكثر مما يفوز به الطيب .
واحمل فى يدك اليمنى دومًا غصن الزيتون الرقيق

فهو قادر على إخراس ألسنة الحساد .
كن منصفًا ولاتخش أحدًا ! ولتكن جميع الغايات التى
ترمى إليها هى صالح بلادك وذكر ربك وإحقاق الحق .
فإذا هويت يا كروموبل هويت كما يهوى الشهداء الأبرار !(*)
أخلص الخدمة للملك ، وأرجو أن تصحبنى　　٤٥٠
إلى حيث أسلمك قائمة بجميع ما أملك حتى آخر بنس ،
فقد أصبحت من حق الملك . لم يعد لى غير ثوبى
وصفاء طويتى لله ! هذا كل ما أجرؤ على ادعاء ملكيتى له !
أواه يا كروموبل ! يا كروموبل العزيز !
لو أننى عبدت الله الذى خلقنى بنصف الإخلاص والحماس
الذى خدمت به الملك ، لما تخلى عنى فى شيخوختى　　٤٥٦
دون درع يحمينى من أعدائى .

كروموبل : عليك بالصبر الجميل يا سيدى الكريم

وولزى : أنا صابر يا كروموبل . وداعًا يا آمال القصر الملكى
ومرحى يا رجاء السموات العلا !

[يخرجان]

(*) الواقع أن كروموبل عين كبيرًا للأمناء بعد أن أصبح لورد إيسيكس Essex ، ولكنه فقد الحظوة لدى الملك وأعدم . وقد صورته مسرحية بعنوان **توماس لورد كروموبل** طبعت عام ١٦٠٢ وأعيد طبعها عام ١٦١٣ ويظهر فيها فى صورة الشهداء ، والمسرحية منسوبة إلى مؤلف يشار إليه فى الغلاف بالحرفين (و . ش .) فقط !



اللوحة الداخلية (فى الدائرة) تمثل دوق بكنجهام وهو يحدق فى وجه الكاردينال وولزى فى المشهد الأول من الفصل الأول. وكان يلعب دور الأول الممثل فوربز - روبرتسون والثانى هنرى إيرفنج (Irving) واللوحة الخارجية تمثل مشهد تتويج الملكة ان بولين التى قامت بدورها الممثلة ڤيوليت ڤانبره Vanbrugh- واخرج هذا العرض إيرفنج نفسه فى مسرح ليسيوم Lyceum عام ١٨٩٢ - ويلاحظ تعدد المستويات فى مشهد التتويج (الفصل الرابع - المشهد الأول).

الفصل الرابع

المشهد الأول

شارع فى وستمنستر ــ يدخل سيدان ويلتقيان

الأول : نعم اللقاء ثانيًا !

الثانى : نعم اللقاء بك !

الأول : هل أتيت هنا لتشهد السيدة آن عائدة من حفل تتوجيها ؟

الثانى : هذا ما أتيت من أجله . وعندما التقينا آخر مرة
شاهدنا دوق بكنجهام عائدًا من المحكمة ! ٥

الأول : هذا صحيح ! ولكن المشهد الأول جاء بالأحزان
وهذا المشهد يبعث على سرور الجميع !

الثانى : جميل ! لقد أظهر المواطنون بالتأكيد إخلاصهم للملك
الذى منحهم حقوقهم ! وها هم يشاركون فى الاحتفال اليوم
بالزينات والاستعراضات ومظاهر التكريم ! ١٠

الأول : أؤكد لك أننى ما رأيت أجمل ولا أفخم منها !

الثانى : هل لى أن أسألك عما كتب فى الورقة التى تمسكها ؟

الأول : بكل سرور ! إنها قائمة بأسماء الذين سيشتركون فى حفل التتويج
بحكم مناصبهم ! أولهم دوق سافوك ، وسيكون بمثابة ١٥
الأمين الأول ، ويتلوه دوق نورفوك
الذين سيكون بمثابة رئيس الحرس .. خذها
واقرأ باقى الأسماء !

الثانى : شكرًا لك يا سيدى ! إننى أعرف تقاليد التتويج ٢٠
وإلا كنت انتفعت بالقائمة ! ولكن قل لى أرجوك
ما الذى حدث للأميرة الأرملة كاثرين ؟
ماذا صار من أمرها ؟

الأول : أستطيع أن أخبرك بذلك أيضًا .
عقد رئيس أساقفة كانتربرى ، مع بعض العلماء ٢٥
والآباء الأجلاء ممن هم فى منزلته ، محكمة فى الآونة الأخيرة
فى منطقة « دانستابل » التى تبعد عن « أمتهيل »
حيث تقيم الأميرة بستة أميال ، وأعلنوها رسميا بالحضور عدة
مرات لكنها لم تحضر . وباختصار تسبب عدم حضورها ، ٣٠
والوساوس التى اقضت مضجع الملك ، إلى أن أجمع
هؤلاء العلماء الأفاضل على إصدار قرار بطلاقها
وباعتبار زواجها من الملك باطلاً وكأن لم يكن !
وانتقلت « كاثرين » بعد ذلك إلى "كيمولتون" (*)
حيث تقيم الآن ، وإن كانت ما تزال مريضة .

الثانى : وا أسفا على السيدة الكريمة . ٣٥

(*) وهى" كيمبولتون" الحديثة ، ، وقد صحح الهجاء بإضافة الباء فى طبعة الفوليو الثالثة ، واستند بعض ناشرى ومحققى النص إلى هذا الهجاء الذى يؤكده الهجاء الوارد فى هولنشد ، فصححوه فى النص ، ولكن طبعة الأردن ونيوكيمبريدج تحتفظان بالهجاء الأصلى ، ويقول محرر الطبعة الأخيرة إنه من المحتمل أن يكون هجاءً يتبع النطق القديم .

هل تسمع صوت الأبواق ؟ فلنقترب .

الملكة قادمة .

[أصوات المزامير]

نظام حفل التتويج

١ - الأبواق تعزف موسيقى مرحة .

٢ - يدخل اثنان من القضاة .

٣ - يدخل رئيس المجلس الخاص وأمامه شخص يحمل حقيبة نقود وصولجانًا .

٤ - بعض المرتلين ينشدون الأغانى

٥ - عمدة لندن يحمل صولجانه ، ثم كبير حجاب الملك يلبس درع النبالة وعلى رأسه تاج من النحاس الموشى بالذهب .

٦ - المركيز دورسيت ، يحمل صولجانًا من الذهب ، وعلى رأسه تاج نصفى من الذهب . ومعه لورد سَرى ، يحمل القضيب الفضى والحمامة ، وعلى رأسه تاج اللوردات . وحول رقاب الجميع ياقات الشهداء التى أمر بها الملك .

٧ - دوق سافوك ، فى ردائه الرسمى ، وعلى رأسه التاج ، ويمسك بعصا بيضاء طويلة ، باعتباره الأمين الأول ، ومعه دوق نورفوك يحمل عصا الماريشالية ، وعلى رأسه تاج . ياقات الشهداء .

٨ – مظلة يحملها أربعة من حراس الثغور الخمسة ، وتسير الملكة تحتها مرتدية ثوبها الملكى ، والتاج فوق رأسها الذى ترصعه اللآلئ الكثيرة ، وعلى جانبيها يسير أسقف لندن وأسقف ونشستر .

٩ – دوقة نورفوك العجوز وفوق رأسها تاج ذهبى منقوش بالزهور ، تحمل طرف ثوب الملكة .

١٠ – عدد من زوجات اللوردات أو الكونتيسات وحول رؤوسهن أطواق ذهبية غير منقوشة وغير محلاة بالزهور .

يمر الموكب فوق المسرح ويخرج ، بنظام وفى هيأة رسمية . ثم نسمع دويا جبارًا فى الأبواق

الثانى : يا له من موكب ملكى باهر ! أعرف الجميع
فيما عدا حامل الصولجان ـ فمن يكون ؟

الأول : إنه المركيز دورسيت .
وذلك هو اللورد سَرِى الذى يحمل القضيب

الثانى : سيد نبيل شجاع ! لابد أن يكون ذلك دوق سافوك ! ٤٠

الأول : إنه هو ! الأمين الأول !

الثانى : وذلك هو لورد نورفوك ؟

الأول : نعم .

الثانى : باركتك السماء أيها الملكة !
لم أر فى حياتى وجهًا أجمل منه !
قسمًا بحياتى إنها ملاك !

لقد احتضن مليكنا الآن ثروات جزر الهند جميعًا ![*] ٤٥

بل كنوزًا أكبر وأغنى حين يضمها بين ذراعيه !

محال أن ألوم ضميره الآن !

الأول : أما الذين يحملون مظلة الشرف فوقها فهم البارونات

حراس الثغور الخمسة .

الثانى : إنها سعداء ! وكل القريبين منها سعداء ! ٥٠

أظن أن تلك التى ترفع ذيل ثوبها هى النبيلة دوقة نورفوك !

الأول : هى بعينها والأخريات جميعًا كونتيسات !

الثانى : وهذا ما تدل عليها التيجان الصغيرة . إنهن نجوم وشهب !

الأول : ومثل الشهب يسقطن أحيانًا من السماء !

الثانى : لاتزد على ذلك . ٥٥

[يدخل سيد ثالث]

الأول : حماك الله سيدى ! أين كنت حتى بدا عليك هذا الإرهاق ؟

الثالث : مع أفراد الجمهور فى الكنيسة ! ولم يكن هناك موضع لقدم ![**]

كدت أختنق من الزحام ورائحة أفراحهم !

الثانى : شاهدت حفل التتويج ؟

الثالث : نعم !

الأول : وكيف كان ؟ ٦٠

(*) المقصود جزر الهند الشرقية (التى تضم الهند) وجزر الهند الغربية (التى تضم أمريكا) وهى تعتبر مصادر لثراء خرافى .

(**) حرفيًا : موضع لاصبع ! .

الثالث : يستحق المشاهدة !

الثانى : صف لنا ما حدث يا سيدى أرجوك !

الثالث : سأبذل كل جهد ممكن !

وصل الحشد الحاشد من اللوردات والسيدات

فأجلسوا الملكة فى المكان المخصص لها فى ساحة المنشدين ٦٥

ثم ابتعدوا عنها قليلاً . ومن ثم جلست تستريح على العرش الفاخر

نحو نصف ساعة ، وأنظار الجمهور تتطلع إلى جمالها !

صدقنى يا سيدى ! إنها أجمل امرأة يتزوجها رجل !

إذ عندما رآها الناس رأى العين

ندّت من أفواههم صيحات الإعجاب التى تصاعدت ٧٠

فى جلبة كأنها جلبة الأشرعة عندما تهب الريح العاصفة

على البحر ! كانت أصواتهم عالية ومن نغمات متفاوتة !

بل إنهم جعلوا يقذفون بقبعاتهم فى الهواء

بل وبعباءاتهم وصداراتهم أيضًا فيما أظن !

ولو استطاعوا أن يقذفوا وجوههم كذلك فى الهواء ٧٥

لقذفوها وضاعوا هباء ! لم أشاهد فى حياتى مثل هذا السرور !

وكانت الحبالى اللائى لم يبق على موعد ولادتهن أسبوع

يقتحمن الجموع ببطونهن ، مثل اقتحام المجانيق للأسوار

فى حروب العهود الغابرة ! كن يدفعن الحشد

فيتهاوى الرجال أمامهن ! لم يكن فى طوق رجل أيا كان
أن يتعرف على زوجته من بينهن ! إذ تشابك الجميع　　٨٠
فى نسيج واحد ملتحم !

الثانى : وماذا حدث بعد ذلك ؟

الثالث : وأخيرًا نهضت الملكة وتقدمت بخطوات وقورة
إلى الهيكل ، حيث ركعت ، وتطلعت إلى السماء
بعينيها الجميلتين ، مثل القديسات ، وأدت صلاتها فى خشوع .
ثم نهضت وانحنت لتحية الجمهور ،　　٨٥
وبعد ذلك قام رئيس أساقفة كانتربرى باتخاذ
جميع الإجراءات الرسمية الخاصة بالتتويج للملكة
ومسح رأسها بالزيت المقدس ، ووضع تاج ادوارد
على رأسها ، ووضع الصولجان فى يدها ، وحمامة السلام ،
ومثل هذه الرموز المعروفة . وقد جرت هذه المراسم
بروح الوقار والجلال ، وعندها أنشد المرتلون　　٩٠
أناشيد الشكر لله ، وهم نخبة من أعظم منشدى البلاد .
وبعد ذلك غادرت المكان بنفس الخطوات الوقورة
عائدة إلى قصر يورك حيث أقيمت وليمة الزفاف .

الأول : سيدى ! يجب ألا تطلق على ذلك المكان اسم قصر يورك　　٩٥
فقد تغير اسمه منذ سقوط الكاردينال
إذ عاد إلى يد الملك وأصبح اسمه « هوايت هول » .

الثالث : أعرف ذلك ! ولكن التغيير لم يحدث
إلا منذ عهد قريب ، وما زال الاسم القديم على لسانى !

الثانى : ومن كان الأسقفان اللذان سارا على جانبى الملكة ؟ ١٠٠

الثالث : ستوكسلى وجاردنر ، الأول أسقف ونشستر
الذى رقاه الملك أخيرًا وعينه فى هذا المنصب(*)
بعد أن كان الأمين الخاص له ، والثانى أسقف لندن .

الثانى : يقال إن أسقف ونشستر لايضمر حبا كبيرًا
لرئيس الأساقفة كرانمر ، ذلك الرجل الفاضل .

الثالث : يعرف الجميع ذلك . ولكن شقة الخلاف ليست كبيرة ! ١٠٥
فإذا اقتضت الضرورة سيجد كرانمر إلى جانبه صديقًا
لايخذله ولا يتأخر عن خدمته .

الثانى : ومن ذاك الصديق من فضلك ؟

الثالث : توماس كرومويل ! فهو رجل يقدره الملك كل التقدير
وصديق مخلص يُعتمد عليه . وقد عينه الملك مشرفًا ١١٠
على فضيّات القصر والجـواهر ، وهو عضو أيضًا فى مجلس الملك
الخاص .

الثانى : بل هو جدير بأكثر من ذلك

الثالث : وبلا أدنى شك . هيا معى أيها السيدان إلى القصر
وتكرما بالنزول فى ضيافتى حيث أستطيع الاحتفاء بكما ! ١١٥

(*) انظر ٢/٢/١١٥ .

وسوف أقص عليكما المزيد من الأنباء ونحن فى الطريق .

الاثنان معاً : نحن طوع أمرك يا سيدى .

[يخرجون]

المشهد الثانى

[كمبولتون]

تدخل كاثرين الأرملة ، وقد بدت عليها آثار المرض ،

وهى تستند إلى جريفيث المنادى الخاص بها ، وإلى بيشنس وصيفتها

جريفيث : كيف حال مولاتى ؟

كاثرين : فى مرض الموت يا جريفيث !

ساقاى قد انحنتا إلى الأرض

مثل الأغصان المحملة بالثمار الثقيلة

والتى توشك أن تضع أحمالها ! قرب ذلك المقعد منى !

[**تجلس**] أظن أننى أشعر ببعض الراحة الآن !

ألم تخبرنى يا جريفيث أثناء قدومنا ٥

أن ربيب الشرف العظيم ، الكاردينال وولزى ، مات ؟

جريفيث : نعم يا مولاتى ! ولو أننى ظننت أنك لم تسمعينى

بسبب الآلام التى كنت تعانين منها !

كاثرين : أرجو يا جريفيث الكريم أن تخبرنى كيف قضى نحبه !

فإذا كانت روحه قد فاضت بسلام ، فقد سبقنى لحسن الحظ(*) ١٠
إذ سأحذو حذوه الآن !

جريفيث : يقولون إن خاتمته كانت طيبة يا سيدتى !
فبعد أن قام لورد 'نورثمبرلاند' القوى
بإلقاء القبض عليه فى' يورك '، واستدعاه للمثول فى المحكمة
لاستجوابه بشأن التهم الخطيرة الموجهة إليه ،
أصابه المرض فجأة ، وبلغ من ضعفه وإعيائه ١٥
أن عجز عن ركوب بغلته !

كاثرين : وا أسفا على المسكين !

جريفيث : وبعد التمهل فى السير والركوب وصل إلى ليستر
وأقام فى الكنيسة ، حيث قابله رئيس الكنيسة والكهان جميعًا
بحفاوة وترحيب . ورد عليهم قائلاً : ٢٠
« يا أبى الكاهن الأعظم ! جاءكم اليوم شيخ مهدم
« حطمته عواصف الدولة والسياسة ، ليريح عظامه فى رقدة
« الأبد بينكم ! فلتجودوا بإحسانكم عليه بحفنة من التراب » .
وهكذا أوى إلى فراشه ، حيث لم يفارقه المرض
بل إنه تفاقم حتى وافته المنية بعد ثلاث ليال

(*) الكلمة الإنجليزية 'happily' محل خلاف كبير ، فبعض المحققين يصححونها إلى 'haply' بمعنى ربما بحيث يكون معنى البيت' فربما سبقنى وسأحذو حذوه' ، ولكن فوكس Foakes يقول إنه لايوجد ما يدعو إلى التعديل ، ولا إلى تفسيرها بمعنى 'haply' كما يفعل كابيل Capell ومن تبعه ، مثل محقق طبعة نيوكيمبريدج (جون مارجسون) مستندًا إلى ورودها بالمعنى المألوف فى المسرحية نفسها ٥/١/ ٨٥ (حالفنى التوفيق) وفى مسرحية **تاجر البندقية** (شيكسبير) فى الفصل الثانى ، المشهد الثانى البيت ١٩١ .

فى نحو الساعة الثامنة ، وهى الساعة التى تنبأ بأنها ستكون
ساعته الأخيرة ! كان الندم يعصره ،
منهمكًا فى التأملات ، يذرف العبرات ، نهبًا للأحزان !
وهكذا رد إلى الدنيا ما استعار من أمجادها
وصعدت الروح المباركة إلى السماء ، ورقد فى سلام . ٣٠

كاثرين : فليرحمه الله وليخفف من أثقال ذنوبه !
أرجو يا جريفيث أن تأذن لى بالحديث عنه
محسنة إليه لا مسيئة ! لقد كان رجلاً لاحدود لطموحه(*)
ينزل نفسه دائمًا منزلة الأمراء . واستطاع بالتحايل والمكر ٣٥
أن يستعبد المملكة كلها ! كان يعتبر التجارة فى أموال الكنيسة
حلالاً له ، وكان رأيه الشخصى هو القانون الذى يحكم به .
وكان يعمد إلى الكذب فى حضرة الملك ، ويضمر عكس ما يبديه
فى ألفاظه ومعانيه . لم يكن يعرف الرحمة
إلا إذا كان يريد بها الهلاك ! وكانت وعوده تحكى طبعه ٤٠
فى المغالاة والشطط ! وكانت أفعاله تحكى ما أصبح عليه الآن
هباءً منثورًا ! وكان فى قلبه مرض ،
فضرب لرجال الكهنوت أسوأ مثل يحتذى

(*) الكلمة الإنجليزية stomach قد تعنى الكبرياء pride أو الغطرسة arrogance (وفقا لما يقوله شميت Schmidt) ولكن فوكس Foakes يقول إنها الكلمة التى وردت فى هولنشد ، وإنها تعنى الطموح والطمع معًا هنا (ambition) والسياق يحتمل كلا من المعنيين ، ولذلك فإن جون مارجسون يفضل المعنى الذى أورده شميت . والترجمة هنا تلتزم برأى فوكس لأنه يتفق مع معنى الكلمة عند هولنشد والمعنى الوارد فى معجم أكسفورد الكبير (OED) .

جريفيث : سيدتى النبيلة ! إننا ننقش مساوئ الناس على النحاس
ولكننا ننقش فضائلهم على الماء ! هل تأذنين لى ٤٥
يا صاحبة السمو أن أذكر الآن حسناته ؟

كاثرين : طبعًا يا جريفيث الكريم
وإلا كنت خبيثة الطوية !

جريفيث : كان هذا الكاردينال ، رغم أصله المتواضع ،
ذا نفس عالية وهمة لاكتساب الشرف والمجد ! ٥٠
لقد كان منذ نعومة أظفاره حريصًا على العلم ،
فأصبح حبرًا علاّمةً فهّامة ! كان ثاقب الرأى ،
حسن الكلام ، مقنع الحجة ! وكان من لايحبونه
يرون فيه الكبر والصلف ! ولكنه كان عذبًا
عذوبة نسائم الصيف للذين يسعون إليه ويطلبون العون لديه !
وإذا كان يا مولاتى لايشبع له نهم فى اكتساب الثروة ، ٥٥
ولاشك أن تلك خطيئة ، فلقد كان فياض الكرم كالأمراء !
وسيظل يشهد له إلى الأبد توأما العلم اللذان أنشأهما
معهد إبسويتش ومعهد أكسفورد ، ولو أن الأول قد زال بزواله
كأنما رفض أن يزيد عمره عن رجل الخير الذى أنشأه . ٦٠
وأما الثانى فهو ، رغم عدم استكماله ، ذائع الصيت ،
ممتاز فى فنون العلم ، وما زال بنيانه يعلو ،
وستلهج ألسنة البلدان المسيحية إلى الأبد بفضله .

وقد أدى سقوطه إلى انهمار السعادة عليه
إذ لم يتيسر له أن يعرف نفسه إلا آنذاك ، وآنذاك فحسب ، ٦٥
فتبين نعمة الإحساس بضآلة الإنسان ،
فاكتسب شرفًا أعظم مما يستطيع أى إنسان أن يسبغه عليه ،
إذ مات وهو يخشى الله حق خشيته .

كاثرين : لا أريد أن ينعينى ناعٍ عندما أموت ،
ولا أن يتحدث عما فعلته فى حياتى ٧٠
فيصون شرفى من ألسنة السوء سوى المؤرخ الأمين
جريفيث ! لقد جعلتنى أنظر بعين التبجيل
إلى ذلك الرجل الذى كرهته كرها شديدًا فى حياته !
إننى أبجله الآن ، بما أفصحت عنه فى ورع من صدق ،
وما رويته عنه دون مبالغة ، بعد أن صار ترابا !
رحمة الله عليه ! ٧٥
اقتربى منى يا ' بيشنس' وأخفضى مقعدى
فلن يطول عمرى وارهاقى لك بالطلبات .
يا جريفيث الكريم ! اطلب من الموسيقيين أن يعزفوا لى
ذلك اللحن الحزين الذى أسميه ناقوس النعى ،
بينا أسرّح خاطرى فى تأمل آيات التناغم السماوى
التى سأرحل إليها ! ٨٠

[موسيقى حزينة ورزينة]

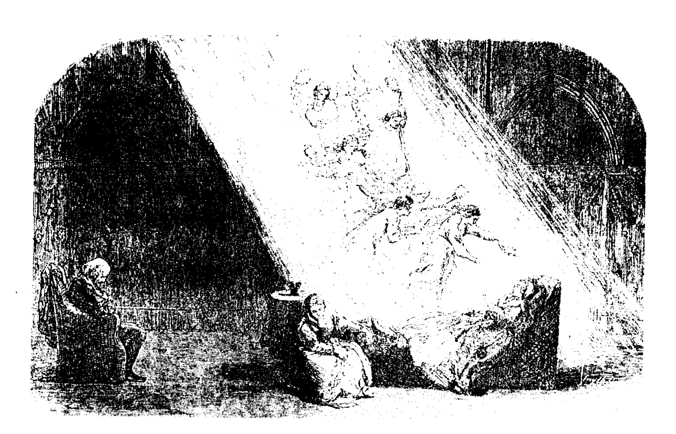
جريفيث : لقد نامت . اجلسى يا فتاتى الطيبة فى سكون حتى لانوقظها !
بهدوء يا 'بيشنس' الرقيقة !

الرؤيـــا

[يدخل ستة أشـخاص يسيرون بوقار خلف بعضـهم البعض ، يرتدون ثيابًا بيضاء ، ويضعون على رؤوسهم أكاليل الغار ، وعلى وجوهم أقنعة ذهبية ، وفى أيديهم غـصون الغـار أو سعف النخـيل . وبعد أن يؤدوا التـحيـة لها يرقصون ، وفى فواصل مـوسيقية معينة يضع الشـخصان الأولان إكليل غار على رأسهـا ، بينما ينحنى له الآخـرون بالتحـية . وبعد ذلـك يقوم الاثنان الأولان بتسليم الإكليل إلى الاثنين التاليين ، اللذين يلتزمان بنفس النظام فى فواصل الرقص والحـركة ، وعقـد الإكليل فوق رأس الملكة النائمـة . وبعد ذلك يسلمـان نفس الإكليل إلـى الاثنين الأخيـرين ، اللذين يلتزمـان بنفس الحركة والنظام . وإذ ذاك تبدو على وجههـا علامات الفرح والابتهاج، كأنما استلهمتـها من وحى بعيد وهى نائمة ، وترفع يديها إلى السـماء . وتختفى الأرواح بعد ذلك وهى مـا تزال ترقص ، حاملة أكاليل الغـار معهـا ، بينما تستمر الموسيقى .]

كاثرين : أين ذهبتم يا أرواح السلام ؟ هل مضيتم جميعًا ؟
كيف تتركوننى هنا وحدى فى هذه التعاسة ؟

جريفيث : ما نزال هنا يا سيدتى !



الفصل الرابع ـ المشهد الثانى ـ الرؤيا التى راتها الملكة كاثرين. كانت زوجة المخرج (تشارلز كين Kean) هى التى تقوم بدور الملكة فى هذا العرض الذى قدم عام ١٨٥٥. وعندما اعيد العرض عام ١٨٥٨ لعبت إلين تيرى (Ellen Terry) دور الملاك الأول الهابط من السلم الخلفى .

كاثرين : إننى لا أناديكم أنتم !
ألم تشاهدوا أحد يدخل الغرفة منذ أن غفوت ؟

جريفيث : لا أحد يا مولاتى !

كاثرين : حقا ؟ ألم تشاهدوا الآن لتوكم رهطًا ملائكيًا
يدعونى إلى وليمة ، وتفيض وجوههم المشرقة
بآلاف الأشعة علىّ مثل الشمس ؟
لقد وعدونى بالسعادة الأبدية ٩٠
وأحضروا لى يا جريفيث أكاليل غار
أشعر أننى لست جديرة بها حتى الآن
ولكننى لاشك سوف أتزين بها !

جريفيث : ما أشد فرحى يا مولاتى وسعادتى بهذه الأحلام الجميلة
التى ترتاد خيالك !

كاثرين : اطلب من العازفين أن يكفوا
فموسيقاهم حادة ثقيلة الوطء .

[تتوقف الموسيقى]

بيشنس : [جانبًا] هل تلاحظ كيف تغيرت مولاتى فجأة ؟
هل ترى كيف استطال وجهها وكيف علاها الشحوب
وما يشبه برد الموت ؟ هل تلاحظ عينيها ؟

جريفيث : إنها تُحتضر يا فتاتى . عليك بالدعاء لها .

بيشنس : اللهم هبها الراحة !

[يدخل رسول]

الرسول : لو سمحت مولاتى -

كاثرين : أنت وقح يا هذا ! ألم نعد جديرين بالتبجيل ؟ ١٠٠

جريفيث : لقد أخطأت يا هذا !

فأنت تعرف أنها لم تفقد ما اعتادته من التعظيم

حتى ترضى بهذا السلوك الوقح ! تبا لك ! اركع لها احترامًا !

الرسول : إننى أتوسل إلى سموكم بكل تواضع أن تصفحى عنى

فإننى فى عجلة أنستنى السلوك الصائب !

إن بالباب سيدًا أرسله الملك لمقابلتك . ١٠٥

كاثرين : اسمح له بالدخول يا جريفيث . ولكن لا تدع عينى تقع

على هذا الشخص بعد الآن !

[يخرج الرسول ويدخل لورد كابوشيوس]

إن لم تخنّى عيناى فأنت اللورد كابوشيوس

سفير الامبراطور ، ابن أختى ! ١١٠

كابوشيوس : إنه أنا يا سيدتى . خادمك المطيع .

كاثرين : يا سيدى اللورد ! لقد تبدل الزمان وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا

عما كنت عليه عندما عرفتنى أول مرة !

ولكن ترى ما سبب زيارتك لى ؟

كابوشيوس : سيدتى النبيلة ! جئت أولاً لأعرض خدماتى على معاليكم

وجئت ثانيًا بناءً على طلب الملك ١١٥
الذى يعتصره الحزن على ما أصابكم من الوهن
وقد حمّلنى إليك تحياته الخالصة
ويتوسل إليك أن تخلدى إلى الراحة والاستجمام .

كاثرين : يا أيها اللورد الكريم ! لقد فات موعد الراحة والجمام ! ١٢٠
كأنه قرار بالعفو بعد تنفيذ حكم الإعدام !
كان يمكن لذلك الدواء الجميل أن يشفينى لو قُدِّم لى
فى الوقت المناسب ، ولكننى تجاوزت كل أمل فى الراحة الآن
عدا الراحة التى أجدها فى الصلاة والدعاء !
كيف حال صاحب الجلالة ؟

كابوشيوس : فى صحة جيدة يا مولاتى .

كاثرين : أدامها الله عليه ، ووهبه طول العمر ، ١٢٥
حتى أقيم مع الديدان وينفى اسمى الحقير من المملكة !
تعالَىْ يا بيشنس ! هل أرْسَلْتِ الخطاب الذى كلفتك بكتابته ؟

بيشنس : لا يا سيدتى !

كاثرين : سيدى ! أرجوك أن تتكرم بتسليم هذا الخطاب إلى مولاى الملك !

كابوشيوس : بكل سرور يا مولاتى ! ١٣٠

كاثرين : إننى أوصيه فيه خيرًا بالمثل الأعلى لحبنا الطاهر
ألا وهو ابنته الصغرى ![*] أدعو الله أن تتساقط عليها

(*) مارى ، التى جلست على العرش فى عام ١٥٥٣ بعد وفاة الملك إدوارد السادس .

أنداء السماء الحافلة بالبركات ،
وأتوسل إليه فيه أن ينشئها نشأة صالحة
فهى صغيرة السن ، وذات نفس نبيلة متواضعة　　١٣٥
وأرجو أن تكون جديرة بما التمسته من مولاى ،
كما أرجو أن يحبها ، وإلى حد ما ، من أجل أمها
التى أحبته ويعلم الله بمدى إعزازها له .
أما مطلبى المتواضع التالى من جلالته
فهو أن يعطف بما أُثر عنه من نبل
على وصيفاتى البائسات اللائى وقفن إلى جانبى طويلاً　　١٤٠
فى السراء والضراء ، وبذلن لى كل الإخلاص .
إن كلا منهن ، (وما ينبغى لى أن أكذب الآن) (*)،
تتحلى بالفضيلة الحقة ، وجمال النفس الصادق ،
وبالشرف والاستقامة ، مما يجعلها جديرة بزوج كريم صالح　　١٤٥
وليته يكون من النبلاء ، وأنا واثقة أن من يحظى بزوجة منهن
سيحظى بالهناء والسعادة .
أما آخر مطلب لى فهو خاص بالرجال الذين فى خدمتى
فإنهم أفقر الرجال حقًا ، ولو أن فقرهم
لم يبعدهم يومًا عنى ! ولذلك ألتمس من جلالته　　١٥٠
ألا يقطع أجورهم بل وأن يزيدها قليلاً كيما يذكرونى !

(*) كان يفترض بصفة عامة أن الإنسان يقول الحق حين يشرف على الموت انظر الفصل الثانى ، المشهد الأول ، البيت ١٢٥ ، من هذه المسرحية .

فلو كانت السماء قد شاءت أن تهبنى عمرًا أطول

ومالاً أوفر لما فارقتهم على هذا النحو !

هذا هو كل ما فى الخطاب ، وأستحلفك يا سيدى اللورد الكريم

بكل ما هو عزيز عليك ، إن كنت تريد الله أن يرحم نفسًا مؤمنة ،

أن تقف إلى جانب هؤلاء الفقراء ، وأن تحث الملك

على أن يهبنى هذا الحق الأخير . ١٥٨

كابوشيوس : قسمًا بالسماء سأفعل ! وإلا فلن أكون رجلاً حقا !

كاثرين : أشكرك أيها اللورد الأمين ! اذكرنى عند مولاك بكل تواضع ، ١٦٠

وقل له إن من سببت له قلقًا طويلاً

ترحل الآن من هذه الدنيا !وقل له إننى باركته

وأنا على شفا الموت ، فهذا ما سأفعل ،

إن غشاوة تهبط على عينّى

فالوداع سيدى . الوداع يا جريفيث . ١٦٥

أما أنت يا بيشنس فلا تتركينى الآن .

يجب أن آوى إلى الفراش وعليك أن تأتى

بوصيفات أخريات . وعندما أموت أيتها الفتاة الكريمة

فاعملى على تكريمى فى الممات ، وانثرى فوق جسدى

زهورًا نضرة بيضاء حتى يعرف العالم كله

أننى كنت زوجة طاهرة حتى دخلت القبر ! ١٧٠

وبعد الحنوط أرجو أن يُسَجَّى جسدى

حتى بعد فقد المُلْك ، بما يدل على أننى كنت ملكة

وابنة ملك ، وبعدها أدفن فى قبرى .

لم أعد أقوى على قول المزيد .

[يخرج الجميع وهم يساندون كاثرين]

الفصل الخامس

المشهد الأول

[يدخل جاردنر أسقف ونشستر - ومعه خادم يتقدمه بشعلة ،

ويقابلان السير توماس لال]

جاردنر : إنها الواحدة صباحًا يا غلام !

الغلام : لقد دقت الساعة !

جاردنر : ينبغى أن يفرغ الإنسان فى هذه الساعة لما يلزمه من نوم
لا للّهو والمتعة ! إنه وقت إصلاح عطب الجسد
بالرقاد الشافى ، ولاينبغى لنا التفريط فى هذه الساعات !
[**يرى السير توماس لال**] طابت لك هذه الساعة من الليل ٥
يا سير توماس ! أين تمضى فى هذا الوقت المتأخر ؟

لال : هل أتيت من عند الملك يا سيدى ؟

جاردنر : نعم يا سير توماس ، وتركته يلعب الورق مع دوق سافوك .

لال : لابد أن أمضى إليه أنا أيضًا قبل أن آوى إلى الفراش
دعنى أودعك .

جاردنر : بل اصبر قليلاً يا سير توماس لال ! ماذا حدث ؟ ١٠
يبدو لى أنك فى عجلة ! وإذا لم يكن فى سؤالى
تطفل كبير ، فأرجو أن تلمح لى عما كنت تفعل !
فالأفعال التى تسير (مثل الأرواح كما يقال) بعد منتصف الليل
أغرب وأدعى للشطط مما يجرى بالنهار ! ١٥

لافل : سيدى إنى أحبك ولذلك أعهد بسر إلى أذنك
وهو سر أهم وأثمن من أى عمل .
لقد حانت ساعة وضع الملكة ، ويقولون إن وطأة المرض
قد اشتدت عليها ، بل يُخشى أن تموت أثناء الوضع !

جاردنر : أدعو الله من كل قلبى أن ينقذ الثمرة فى بطنها ٢٠
ويعينها على وضعها ويكتب لها السلامة !
أما جذع الشجرة يا سير توماس
فليته يجتث الآن !

لافل : يخيل لى أننى أستطيع أن أقول آمين !
ولكن ضميرى يقول إنها إنسانة كريمة ٢٥
وامرأة رقيقة جديرة بأمنياتنا الطيبة

جاردنر : مهلاً مهلاً يا سيدى ! اسمعنى يا سير توماس !
إنك سيدٌ يشاركنى آرائى الدينية
وأنا واثق من حكمتك ومن تقواك وورعك !
لن تنصلح الأحوال مطلقًا يا سير توماس لافل
أقول مطلقًا وصدقنى ٣٠
حتى ترقد فى قبرها هى وكرانمر وكرومويل
فهما بمثابة اليدين اللتين تعمل بهما !

لافل : سيدى إنك تتحدث الآن عن رجلين
من أبرز المرموقين فى المملكة ! أما كرومويل

فإلى جانب عمله فى الاشراف على الفضيات والجواهر
فقد عين قاضيًا فى محكمة الاستئناف
ومسؤولاً عن الوثائق والبراءات والمنح(*) ٣٥
وهو من أمناء الملك . وهو إلى جانب ذلك
ممن نتوقع لهم المزيد من المناصب العليا
التى سوف يمطرها الزمان عليه !
ورئيس الأساقفة هو اليد اليمنى للملك
وهو لسانه الذى ينطق به ، فمن ذا الذى يجرؤ
على المساس به ولو بحرف واحد ؟

جاردنر : بل هناك من يجرؤ يا سير توماس !
ولقد خاطرت أنا نفسى بالإعراب عن رأيى فيه ! ٤٠
بل إننى فعلت ذلك اليوم (وسوف أبوح لك)
إذ أظن أننى أغضبت(**) اللوردات من أعضاء المجلس
بقولى إنه كبير المارقين ، بل وباء تبتلى به البلاد
وتنتشر عدواه فيها ، فهذا ما أعلمه حق العلم ، ٤٥
وهذا ما يعلمونه أيضًا ! وقد استشاطوا غيظًا
فأبلغوا الأمر للملك الذى أصغى لشكوانا !

(*) يقول هولنشد فى تاريخه إن كروميل تولى هذه الوظائف على امتداد أعوام طويلة اعتبارًا من عام ١٥٣٠ ، وبعدها أصبح لورد إيسيكس Essex وكبير الأمناء - انظر الحاشية على السطر ٤٤٩ من المشهد الثانى بالفصل الثالث .

(**) يزعم بعض الشراح أن incensed يجب أن تصبح insensed بمعنى أخبرت أو أطلعت ولكن القراءة الأخيرة شاذة ولا وجود لها فى معجم شيكسبير

وقد تكرم وأولى الموضوع عنايته السامية
لما رآه من عواقب وخيمة ، وللأسباب التى عرضناها عليه ،
ومن ثم أصدر أمره بأن يمثل للمساءلة أمام المجلس ٥٠
فى صباح الغد ! إنه من الأعشاب الضارة السامة
يا سير توماس ، ولابد من اقتلاعها !
لقد عطلتك كثيرًا عن القيام بمهمتك . تصبح على خير
يا سير توماس !

[يخرج جاردنر مع خادمه]

لافل : تصبح على ألف خير يا سيدى ! وسأظل خادمك الوفىّ ! ٥٥

[يدخل الملك مع سافوك]

الملك : اسمع يا تشارلز ! لن أستمر فى اللعب الليلة !
لا أستطيع التركيز فى اللعب ، وأنت أمهر من أن يُغْلب !

سافوك : لم يسبق لى يا مولاى أن كسبت جولة واحدة معك !

الملك : لم تكسب إلا قليلا بل ولن تكسب أبدًا حين أريد اللعب حقا !
والآن يا لافل ! قل لى ما أخبار الملكة ؟ ٦١

لافل : لم أستطع تسليم رسالتك بنفسى كما أمرتنى
بل أرسلتها عن طريق وصيفتها ! والملكة تبلغك أسمى آيات الشكر
بأقصى التواضع ، وتطلب من سموكم أن تدعو لها من قلبك !

الملك : أدعو لها ؟ ماذا تقول ؟ أفصح ! ٦٦
أدعو من أجل أى شىء ؟ هل بدأت آلام الوضع ؟

لاڤل : هذا ما تقوله الوصيفات ! وتقول أيضًا إن كل صرخة ألم
كأنها الموت من شدة المعاناة !

الملك : مسكينة أيتها السيدة الكريمة ! ٧٠

سافوك : فليخلصها الله بسلام من حملها ، وليخفف عنها آلامها ،
وليفرح قلب سموكم بوريث للعرش !

الملك : لقد جاوزنا منتصف الليل يا تشارلز !
أرجو أن تمضى إلى فراشك ، وأن تدعو فى صلواتك
لهذه المرأة المسكينة ! اتركنى وحدى الآن ٧٥
فيجب ألا يرافقنى أحد فيما لابد أن أفكر فيه !

سافوك : أرجو لسموكم ليلة هادئة ، وسوف أدعو لسيدتى الكريمة
فى صلواتى !

الملك : تصبح على خير يا تشارلز !

[يخرج سافوك]

[يدخل السير أنطونى دينى]

ماذا وراءك يا سيد . . تكلم !

دينى : لقد أحضرت سيدى رئيس الأساقفة كما أمرتنى .

الملك : رئيس أساقفة كنتربرى ؟ ٨٠

دينى : نعم يا مولاى الكريم !

الملك : هذا صحيح ! وأين هو الآن يا دينى ؟

دينى : حاضر . ينتظر أمر سموكم .

الملك : فليمثل فى حضرتنا .

[يخرج دينى]

لافل : [**جانبًا**] هذا هو ما كان الأسقف يتحدث عنه
لقد حالفنى التوفيق إذ حضرت الآن ! ٨٥

[يدخل كرانمر ودينى]

الملك : لاتسلك طريق البهو .

[يتلكأ لافل ويبدو أنه يريد المكوث]

ألم تسمع ما قلت ؟ انصرف ! ماذا هناك ؟

[يخرج لافل ودينى]

كرانمر : [**جانبًا**] أوجس خيفة منه ! لماذا يعبس على هذا النحو ؟
هذا هو تعبيره عن الغضب . فى الأمر شر !

الملك : كيف حالك سيدى ؟ لا شك أنك تريد أن تعرف
سبب استدعائى لك !

كرانمر : [**راكعًا**] واجبى أن أطيع ما تقضى به يا مولاى ! ٩٠

الملك : انهض أرجوك يا لورد كانتربرى الطيب الصالح !
أقبل ! علينا أن نقوم بجولة فى البهو معًا
فلدىّ أنباء سأفضى بها إليك . أقبل أقبل أعطنى يدك
واها لك أيها اللورد الكريم! إنى ليحزننى أن أقول ما أقول ٩١
ويؤسفنى حقًا أن أكره على أسماعك .
لقد سمعت فى الآونة الأخيرة ، وليتنى ما سمعت ،

كثيرًا من الشكاوى الجادة ـ وأكررها يا سيدى ـ
الشكاوى الجادة المرفوعة ضدكم !
وبعد أن أنعمنا النظر فيها قررنا وقرر المجلس ١٠٠
استدعاءك للمثول بين أيدينا هذا الصباح .
ولما كنت أعرف أنك لن تستطيع تبرئة ساحتك بسهولة
فى هذا المجلس ، ولابد أن تنتظر حتى انعقاد محكمة أخرى
للنظر فى التهم الموجهة إليك ولابد لك من مواجهتها ،
فإننى أدعوك للتمسك بأهداب الصبر ، ١٠٥
وأن ترضى بالإقامة فى البرج التابع لنا !
ومع أنك من إخوتنا أعضاء المجلس
فقد رأينا أن هذا أفضل إجراء يمكن اتخاذه
وإلا لأحجم الشهود عن الإدلاء بشهادتهم ضدك .

كرانمر : [**راكعًا**] أشكر سموكم بكل تواضع
وما أسعدنى أن أغتنم هذه الفرصة السانحة
لإبراز الحقيقة الناصعة ، وفصل التبن عن القمح تمامًا ! ١١٠
إذ أدرك أنه ما من إنسان يتعرض لألسنة السوء والافتراءات
أكثر منى – أنا الضعيف المسكين !

الملك : انهض يا كانتربرى الصالح !
إن جذور صدقك ونقاء معدنك ثابتة وعميقة
فى نفس صديقك – فينا نحن الملك ! أعطنى يدك وانهض ١١٥

أرجوكَ سِرْ معى قليلاً !
قسمًا بالبتول لتقولنَّ لى أىُّ ضربٍ من الرجال أنت ؟
عجبًا يا سيدى ! كنت أتوقع أن تلتمس منى نظر حالتك ،
وأن أعمل على المواجهة بينك وبين من يتهمونك ، ١٢٠
وأن أستمع لوجهة نظرك فورًا دون الحاجة إلى حبسك فى البرج !

كرانمر : يا مولاى المهاب ! إن دعامة الخير التى أرتكن إليها
تقوم على صدقى وأمانتى ! فإذا انهار أساس هذا البنيان
كان مصيرى الهزيمة من أعدائى ومن نفسى
وإذا خلا شخصى من هاتين الفضيلتين فلن تكون له قيمة ١٢٥
فى نظرى ! ولا أخشى مطلقًا ما يمكن أن يقال فى حقى !

الملك : ألا تعرف حقيقة موقفك فى الدنيا وإزاء هذا العالم كله ؟
ما أكثر أعداءك وما أرفع مناصبهم ! وأحابيلهم
تتناسب مع عددهم ورفعتهم ! ولم يكتب يومًا ١٣٠
لعدالة القضية أو صدقها أن تنضر صاحبها بحكم لصالحه !
وما أيسر أن تجد العقول الخبيثة أوغادًا خبثاء
يشهدون ضدك ويقسمون على صدقهم !
لقد حدث مثل ذلك من قبل ! إن أعداءك أقوياء
وأحقادهم بمثل قوتهم ! هل تتخيل أنك ستكون أحسن حظًا ، ١٣٥
أقصد فيما يتعلق بشهود الزور ، من سيدك الذى كنت مساعدًا له ،
إبان حياته على ظهر هذه الأرض الأثيمة ؟

كلاّ كلاّ ! إنك تقف على شفا حفرة
ولاترى أنها مهلكة
بل تعمل على إهلاك نفسك فى الواقع !

كرانمر : الله قادر ، وأنتم يا صاحب الجلالة ، ١٤٠
على إظهار براءتى وإلا سقطت فى الشرك الذى أعدوه لى !

الملك : اطمئن ! فلن ترجح كفتهم عليك إلا بالقدر الذى
نسمح نحن به ! وليهدأ بالك واحرص على المثول
بين أيديهم هذا الصباح ! فإذا حدث واتهموك ١٤٥
بتهم معينة وحكموا بسجنك فى البرج ،
فتوسل بشتى الحجج حتى تدحض اتهاماتهم
وأظهر كل ما يستدعيه الموقف من ثقة وقوة !
فإذا عجز دفاعك عن تبرئة ساحتك
فأظهر لهم هذا الخاتم [**يعطيه خاتمه**] ١٥٠
وقل لهم إنك تريد اللجوء إلىّ للحكم فى القضية !
يا عجبًا ! الرجل الصالح يبكى ! إنه لأمين قسمًا بشرفى !
أقسم بالبتول المباركة إنه لمخلص
بل لاتوجد فى المملكة نفس أنقى وأطهر !
انصرف الآن وأفعل ما طلبته منك . ١٥٥

[يخرج كرانمر]

لقد خنقت العبرات ألفاظه !

[تدخل امرأة عجوز]

سيد : [من خارج المسرح] عودى هنا ! ما معنى هذا ؟

العجوز : بل لن أعود فالأنباء التى أحملها

تجعل من جرأتى أخلاقًا حميدة ! فلترفرفى الآن يا ملائكة الخير

حول رأس الملك ! ولتظلى رأسه بأجنحتك المباركة ! ١٦٠

الملك : أستطيع أن أحدس الرسالة من مظهرك !

هل وضعت الملكة ؟ قولى تكلمى ! هل أنجبت غلامًا ؟

العجوز : نعم نعم يا مولاى ! وهو غلام جميل !

فليباركها رب السماء الآن وإلى الأبد !

إنها وضعت أنثى تبشر بالغلمان فى قابل الزمن ! ١٦٥

سيدى ! الملكة ترجوك أن تزورها

وأن ترى هذه القادمة الغريبة فى هذه الدنيا !

إنها تشبهك تمامًا ، مثلما تشبه الكرزة كرزة أخرى !

الملك : لافل !

لافل : سيدى

الملك : أعطها مائة مارك (*) ! سأذهب إلى الملكة ! ١٧٠

[يخرج الملك]

العجوز : مائة مارك ؟ قسمًا بهذا النور لابد أن أنال المزيد !

لا يتناول هذا المبلغ إلا خادم عادى !

لابد أن أنال المزيد ، حتى لو نهرته حتى يعطينى ما أريد !

(*) لم يكن المارك عملة متداولة ، ولكنْ مقدار من النقود . وكان أصلاً وزن ثمانى أوقيات من الفضة ، تبلغ قيمتها ١٦٠ بنسًا ، أى ٢٠ بنسًا للأوقية . وهكذا كانت قيمة المارك تبلغ ثلثى قيمة الجنيه .

هل هذا ثمن قولى ' إنها تشبهك تمامًا ' ؟
لابد أن أنال المزيد وإلا رجعت عما قلته ! ١٧٥
وسوف أثير المسألة الآن قبل أن تبرد الأنباء !

[تخرج]

المشهد الثانى

[غرفة داخلية وغرفة المجلس]

[يدخل كرانمر رئيس أساقفة كانتربرى ، متبوعًا بالخدم ،
ولدى الباب خدم آخرون]

كرانمر : عسى ألا أكون قد تأخرت أكثر مما ينبغى
فالسيد الذى أرسله المجلس رجانى أن أسرع .
الأبواب مغلقة ؟ ما معنى هذا ؟ أنتم يا من هنا ؟
أين الحاجب ؟ [**يدخل الحاجب**] أنت تعرفنى بالتأكيد !

الحاجب : نعم يا مولاى ! لكننى لن أفتح الباب لك !

كرانمر : لماذا ؟

الحاجب : لابد أن تنتظر يا مولاى حتى ينادوا عليك ! ٥

[يدخل الدكتور بتْسْ]

كرانمر : فليكن !

بتس : [**جانبًا**] أحبولة خبيثة ! يسرنى أننى مررت من هنا
ولحسن الحظ . لسوف أبلغ الملك بها على الفور !

[يخرج بتْسْ]

كرانمر : [**جانبًا**] إنه بَتْس ، طبيب الملك ! ١٠
لقد رمقنى بنظرة اهتمام بالغة أثناء مروره
أدعو الله ألا يذيع أنباء هذا العار !
من المؤكد أنها إهانة متعمدة دبرها من يكرهوننى لثلم شرفى !
(اللهم انزع الغِلَّ من قلوبهم فما فعلت ما يستوجب أحقادهم)
عار عليهم أن يجعلونى أنتظر لدى الباب ، ١٥
وأنا زميل لهم فى المجلس ، هنا مع الخدم والحشم والأتباع !
لكننى لابد أن أنصاع لمشيئتهم ، وأن أصبر الصبر الجميل !

[يدخل الملك مع بَتْسْ ويطلان من نافذة على مستوى مرتفع]

بتس : سأجعلك يا مولاى ترى أغرب مشهد -
الملك : وما ذاك يا بَتْسْ ؟
بتس : أظنك يا مولاى قد شاهدت ذلك مرات كثيرة ! ٢٠
الملك : حلفتك أين تطلعنى عليه ! أين هو ؟
بتس : هناك يا مولاى ! الترقية الكبيرة التى نالها معالى أسقف كنتربرى
الذى أصبح يزهو بكرامته لدى الباب بين الخدم والحشم والأتباع !
الملك : حقا ؟ إنه هو ولا شك !
أهكذا يكرّم بعضهم بعضًا ؟ ٢٥
الحمد لله أن فوقهم من يفوقهم فى المكانة !
كنت أتصور أنهم يتقاسمون الشرف والأمانة فيما بينهم
أو آداب السلوك على الأقل ، بحيث لا يُقْدمون

على جعل رجل فى مثل مكانته ، ويتمتع بحظوة كبيرة لدينا ،
يتنظر ذليلاً أن يأذنوا له بالدخول ،   ٣٠
ولدى الباب أيضًا مثل ساعى البريد الذى يحمل الطرود !
قسمًا بالبتول المقدسة يا بَتْسْ إنها نذالة مقيتة !
اتركهم ولنختبئ خلف الستار هنا !
وسوف نسمع المزيد حالاً !

[يُدْخِل الخدم منضدة اجتماعات المجلس ، وبعض الكراسى الوثيرة ، والمقاعد الصغيرة ، ويضعونها تحت كرسى العرش . يدخل رئيس المجلس ويجلس على رأس المنضدة إلى الجانب الأيسر ، وبعده مقعد يظل خاليًا ، كأنما ليجلس فيه كانتربرى ، ويجلس دوق سافوك ، ودوق نورفوك ، وسَرِى ، وكبير الأمناء ، وجاردنر ، بنظام محكم على الجانبين . ويجلس كرومويل فى الطرف الآخر باعتباره أمين المجلس](*)

الرئيس : اعرض الموضوع أيها الأمين !   ٣٥
ما سبب اجتماع المجلس ؟

كرومويل : اسمحوا لى يا أصحاب السعادة
القضية الرئيسية تتعلق بصاحب المعالى أسقف كنتربرى

جاردنر : هل أحيط علمًا بها ؟

كرومويل : نعم .

(*) معظم الناشرين يغيرون الإرشادات المسرحية هنا ، وهى الموجودة فى طبعة الفوليو ، بحيث ينصّون على خروج الملك وبتس وكرانمر والأتباع ، وعلى بداية مشهد جديد . ولكن إرشادات الفوليو واضحة وهى تنص على وجود كرانمر على المسرح طول الوقت ، وعلى إدخال الأثاث من باب جانبى . وتقول الإرشادات المسرحية بعد السطر ٤١ إن كرانمر ' يقترب ' من منضدة المجلس . أما الأتباع فيخرجون أثناء إدخال الأثاث .

نورفوك : وهل هو حاضر هنا ؟

الحاجب : بل فى الخارج يا سادتى النبلاء .

جاردنر : فليكن . ٤٠

الحاجب : سيدى رئيس الأساقفة . لقد قضى نصف ساعة فى انتظار تعليماتكم

الرئيس : اطلب منه الدخول .

الحاجب : [**إلى كرانمر**] تفضل سعادتك بالدخول الآن .

[يقترب كرانمر من منضدة المجلس]

الرئيس : اسمعنى يا رئيس الأساقفة ، أيها اللورد الكريم !

يؤسفنى كل الأسف أن أجلس هنا وأرى فى هذه اللحظة

مقعدك خاليًا ! ولكننا جميعًا بشر

وفى طبائع البشر ضعف ، ونستسلم لنوازع الجسد ! ٤٥

ما أقل الملائكة بيننا ! وقد أدى هذا الضعف

والافتقار إلى الحكمة إلى ارتكابكم جرائم ليست هيّنة

وكان عليكم أن تكونوا أفضل المعلمين !

إنها جرائم فى حق الملك أولاً ، وضد قوانينه ثانيًا !

إذ أفشيت فى المملكة كلها دروسك ودروس القسس التابعين لك، ٥٠

(وفقًا لما بلغنا من أنباء) وهى التى تتضمن آراء جديدة

ومنحرفة(*) وخطرة ! وهى تعتبر بدعًا فى الدين وهرطقة

بل قد يكمن فيها الهلاك إذا تركناها دون إصلاح !

(*) هذا هو المعنى القديم لكلمة divers .

جاردنر : ويجب أن يكون الإصلاح مباغتًا وقويًا يا سادتى !
فالذين يروضون الخيول البرية لايجعلونها تسير الهُويْنى أمامهم ٥٥
حتى ترقَّ طباعها ، بل يضعون الشكيمة القوية فى فم الفرس
وينخسونه بالمهماز حتى يطيع أوامرهم .
فإذا احتملنا التعرض لهذا الوباء المُعْدى
بسبب تسامحنا وشفقتنا الصبيانية على شرف رجل ما
كنا نقول وداعًا للعلاج والدواء . وما الذى يعقب ذلك ؟
قلاقل واضطرابات وانتشار العدوى فى جسد الدولة كله
كما يشهد على ذلك ما حدث فى الآونة الأخيرة
عند جيراننا فى أواسط ألمانيا ، إذ دفعوا لها ثمنا غاليًا !
ولم ننس كيف أشفقنا عليهم ورثينا لحالهم . ٦٥

كرانمر : يا سادتى الأفاضل ! كان ديدنى وما يزال
فى جميع مراحل حياتى ومهام منصبى ،
أن أعمل بل وأبذل قصارى جهدى للوصول
بالدروس التى أعلمها ، والسلطة الكبيرة المخولة لى ،
إلى غاية واحدة آمنة ألا وهى فعل الخير ! ٧٠
ولايوجد رجل فى قيد الحياة يا سادتى -
وأقول ذلك بقلب مخلص طاهر -
رجل يفوقنى فى كراهية ومناهضة الذين يعكرون صفو السلام
فى الأمة ، سواء فى أعماق ضميره الشخصى

أو فـى مهام منصبه !　　75
وأدعو الله ألا يجد الملك أبدًا قلبًا
يقل ولاؤه عن ولائى ! إن الذين يتغذون على الحسد
وأحابيل الخبث الملتوية ، يجرؤون على نهش أفضل الفضلاء !
أتوسل إليكم يا سادتى مراعاة العدالة فى هذه القضية　　80
باستدعاء الذين رمونى بالتهم ، مهما يكونوا ،
وأن يقفوا أمامى وجهًا لوجه ، وأن يصارحونى
بالتهم الموجهة إلىّ .

سافوك : لا يا سيدى ! لايجوز هذا أبدًا
فأنت من أعضاء المجلس ، وبهذه الصفة لايجرؤ أحد
على توجيه الاتهام إليك .　　84

جاردنر : سيـدى! لما كانت لدينا أعـمال أهم، فسـوف نختصـر الإجراءات معك.
لقد قضت مشيئة صاحب الجلالة ، التى وافقناه عليها ،
أن تحبس منذ الآن فى البرج ، حتى تحاكم محاكمة أفضل ،
إذ تصبح من جديد فردًا عاديًا ، وبهذه الصفة
ستجد الكثيرين الذين يجرؤون على توجيه اتهاماتهم الجسورة إليك،
بل أخشى أن تجد منهم أكثر مما تستطيع أن تواجهه .　　91

كرانمر : يا لورد ونشستر الكريم ! شكرًا لك !
لقد كنت وما تزال صديقى الصدوق !

فإذا وافق المجلس على قرارك ، فسوف تكون سيادتكم
خصمًا وحكمًا معًا ! فما أوفر ما تتصف به من الرحمة ! ٩٥
إننى أرى ما ترمى إليه وهو هلاكى !
ما أخلق رجل الدين يا سيدى بأن يتصف بالحب والوداعة
بدلاً من الطموح ! تسلح بالاعتدال سيدى
حتى تكسب النفوس الضالة من جديد
ولا تنبذ أحدًا أبدًا . لسوف أبرئ ساحتى
وأتحمل بصبر كل الأثقال التى سوف تلقونها على كاهلى ١٠٠
ولايخامرنى الشك فى أنكم لاتواجهون أى وازع من ضمير
فى المظالم التى تقترفونها كل يوم . أستطيع أن أقول المزيد
ولكن احترامى لمهنتكم ورسالتكم يفرض علىّ التأدب .

جاردنر : سيدى أيها اللورد ! أنت صاحب دعوة دينية مارقة
وهذه هى الحقيقة الناصعة ! وبريقك الزائف ١٠٥
يكشف لمن يفهمك حق الفهم عن كلمات جوفاء وضعف متأصل !

كرومويل : سيدى لورد ونشستر ! اسمح لى أن أقول إن قسوتك
زادت عن الحد قليلاً ! فالذين ارتقوا ذرا الشرف ،
مهما يكن من أخطائهم ، جديرون بالاحترام لقاء ما كانوا عليه !
ومن القسوة أن نثقل كاهل رجل أناخ الدهر عليه ! ١١٠

جاردنر : سيدى أمين المجلس الفاضل ! أرجو عفو سموكم !
أنت آخر من يحق له أن يقول هذا
من الجالسين حول هذه المنضدة !

كرومويل : ولماذا يا سيدى ؟ ١١٥

جاردنر : لأننى أعلم أنك من أنصار هذه الدعوة الجديدة !
ولست صادق الإيمان !

كرومويل : لستُ صادقًا ؟

جاردنر : لستَ صادقًا أقول !

كرومويل : ليتك كنت تتحلى بنصف ما عندى من الصدق
ولو كنت كذلك لاكتسبت دعوات الناس لك
بدلاً من مخاوفهم !

جاردنر : لن أنسى هذه العبارات الجارحة !

كرومويل : بل اذكرها واذكر حياتك الجارحة أيضًا !

الرئيس : لقد تماديتم كثيرًا ! كفوا عن هذه المهاترات المشينة !

جاردنر : لن أزيد

كرومويل : وأنا كذلك ! ١٢٠

الرئيس : وهكذا فقد اتفق الجميع فيما يتعلق بقضيتك يا سيدى
وبالإجماع فيما أظن ، على حبسك فى البرج
وأن تظل فيه حتى نعرف مشيئة الملك فى أمرك .
هل توافقون جميعًا على ذلك يا سادتى ؟ ١٢٥

الجميع : موافقون .

كرانمر : ألا يوجد سبيل آخر للرحمة يا سادتى
ولابد أن يلقى بى فى البرج ؟

جاردنر : وما الذى تتوقعه سوى ذلك ؟
ما أشد مناكفتك وأغربها !
فليستعد عدد من الحراس هناك !

[يدخل الحراس]

كرانمر : هل جاءوا من أجلى ؟
هل أمضى إلى البرج بصفتى خائنًا ؟
جاردنر : اقبضوا عليه وأوصلوه سالمًا إلى البرج . ١٣٠
كرانمر : انتظروا يا سادتى الأفاضل ! لدى كلمات قليلة !
انظروا أيها السادة ! إننى بفضل هذا الخاتم
أنقذ قضيتى من مخالب قساة القلوب
وأحيلها إلى قاض ذى نبل وافر
هو مولاى الملك ! ١٣٥
الرئيس : إنه خاتم الملك !
سرّى : إنه ليس زائفًا !
سافوك : إنه الخاتم الصحيح قسمًا بالله ! لقد أخبرتكم جميعًا
أننا إذا بدأنا ندحرج هذه الصخرة الخطرة
فسوف تقع على رؤوسنا !
نورفوك : هل تظنون يا سادتى أن الملك يقبل إلحاق أى أذى
بهذا الرجل ولو بأصبعه الخنصر ؟ ١٤٠
الرئيس : لقد اتضح هذا الآن بما لايدع مجالاً للشك !

ترى كم يقدر الملك حياة هذا الرجل !؟
ليتنى لم أشارك فى هذه الجلسة !

كرومويل : كنت أوجس خيفة عندما بدأت تجميع الشائعات والشكاوى
ضد هذا الرجل ، وهو الذى لايحقد على أمانته وشرفه ١٤٥
إلا الشيطان ورهطه ،وأخشى أنكم سوف توقدون نارًا تحرقكم !
فاستعدوا الآن للثبور !

[يدخل الملك متجهما فى وجوههم ويجلس على العرش]

جاردنر : أيها الملك المهاب ! كم نحمد الله ونشكره كل يوم
على أن وهبنا مثل هذا الأمير ! إنه فاضل وحكيم
بل وأكثر الناس تقوى وصلاحًا ! ١٥٠
لقد دفعته طاعة الله إلى أن جعل الكنيسة
الغاية الأولى لإعلاء شرفه ، وإلى تدعيم الواجبات الدينية
احترامًا وإعزازًا لها ! وها قد أتى بذاته الملكية
ليصدر الحكم وينظر فى القضية القائمة بين الكنيسة
وذلك العاصى الأثيم ! ١٥٥

الملك : لطالما تميزتَ بالبراعة فى صوغ عبارات الثناء
دون إعداد سابق يا أسقف ونشستر ! ولكنْ فلتعلمْ
أننى لم أحضر الآن لأسمع عبارات المديح والملق !
فهى فى حضرتى هزيلة منحطة لاتقوى على إخفاء الآثام
ولن تستطيع النفاذ بها إلى نفسى ! إنك تلعب دور الكلب ١٦٠

وتظن أنك قادر على استمالتى إذا بصبصت بلسانك !
ولكن أيا كان ظنك بشخصى ، فأنا واثق
أنك ذو طبع قاسٍ ودموى !
[**إلى كرانمر**] أيها الصالح ! اجلس !
والآن دعونى أرى أشدكم كبرًا وصلفًا
وأكثركم جرأة وجسارة ، من يستطيع أن يحرك اصبعًا واحدًا
نحوك ! أقسم بكل المقدسات ١٦٥
سيكون الموت جزاء من يظن ولو للحظة
أنك لست أجدر بمكانته منه !

سرى : إذا كان جلالتكم يسمح -

الملك : لا يا سيدى لا أسمح !
كنت أظن أن لدىّ فى المجلس رجالاً يتمتعون بالقدرة على الفهم
وبالحكمة ، ولكننى لم أجد أحدًا بهذا الوصف ! ١٧٠
هل كان من اللائق أيها السادة أن تتركوا هذا الرجل -
هذا الرجل الصالح - وما أقل من يستحق منكم هذا الوصف -
بل هذا الرجل الصادق الأمين ، ينتظر مثل خادم حقير لدى باب المجلس ؟
إنه لايقل عنكم فى رفعة المكانة ! لماذا ؟
لماذا أنزلتم به هذه الإهانة ؟ هل طلبت منكم ١٧٥
فى الأمر الصادر إليكم أن تتمادوا حتى تنسوا أنفسكم ؟

لقد خولتكم سلطة محاكمته باعتباره عضواً فى المجلس
لا باعتباره خادمًا ! أرى أن بعضكم يريد ،
بدافع الحقد لا بدافع الشرف ، أن يحاكمه ويصدر الحكم بإعدامه
لو توافرت لكم الوسيلة ، لكننى لن أتيح لكم هذه الوسيلة أبدًا
طالما ظللت فى قيد الحياة ! ١٨١

الرئيس : أرجوك يا صاحب الجلالة المرهوب الجانب
أن تسمح للسانى بأن يبرر ما قصدنا إليه جميعًا !
أقسم بالإيمان الذى يعمر نفوس البشر ،
كان القصد من حبسه هو إعداده للمحاكمة ١٨٥
بهدف تبرئة ساحته ، عدلاً وإنصافًا ، أمام العالم كله !
لا أى حقد كامن فى نفسى !

الملك : فليكن فليكن ! عليكم إذن أيها السادة
إبداء الاحترام له ، وضمه إلى صفوفكم ، وإحسان معاملته
فهو جدير بذلك !
واسمحوا لى أن أقول كلمات لصالحه :
فإذا كان يمكن للأمير أن يشعر بالامتنان لأحد أبناء الرعية ١٩٠
قلت إننى ممتن لما غمرنى به من حب وما قدمه من خدمات !
لا أريد المزيد من الجلبة والضجيج ، لكنكم سوف
تحتضنونه جميعًا وتعودون إلى صداقتكم القديمة !

هيا أيها السادة ! أما أنت يا لورد كانتربرى
فإن لى مطلبًا أرجو أن تحققه لى
ألا وهو أن طفلة جميلة ما تزال فى حاجة إلى التعميد ١٩٥
ولابد أن تكون الأشبين والمسؤول عنها !

كرانمر : هذا شرف يعتز به أعظم ملك على ظهر الأرض
فكيف أستحقه وأنا فرد فقير مسكين من أبناء رعيتكم ؟

الملك : لا لا يا سيدى ! لن أطالبك بتقديم هدية من الملاعق الفضية !(*)
وسوف ترافقك اثنتان من النبيلات : دوقة نورفوك العجوز
وماركيزة دورسيت : هل يرضيك هذا ؟ ٢٠٢
إنى آمركم مرة أخرى يا لورد ونشستر بأن تحتضنوا هذا الرجل
وبأن تحبوه !

جاردنر : وأنا أفعل ذلك بقلب مخلص وحب أخوى ! ٢٠٥

كرانمر : ولتشهد السماء على اعتزازى البالغ بتأكيد الثقة فى شخصى .

الملك : أيها الرجل الصالح ! إن دموع الفرح التى تذرفها
تشهد على إخلاص قلبك . وهكذا اتفق الجميع فيما أرى
بل وتأكد رأيهم فيك ! وأصواتهم تقول مجتمعة ما يلى :

(*) إشارة إلى عادة تقديم طقم من الملاعق الفضية (١٢ ملعقة) تسمى ملاعق 'الرسل' بسبب نقش صورة رسول على المقبض ، وهى التى يقدمها الاشبين للطفل عند تعميده . والملك يقصد التفكه بالإشارة إلى أن تواضع كرانمر ينم فى الواقع على بخله .

« إذا أسأت إلى لورد كانتربرى أصبح صديقك إلى الأبد ! »
هيا أيها السادة ! إننا نضيع الوقت هنا !
إنى مشتاق إلى تعميد هذه الطفلة الصغيرة
فما دمت قد وحدت كلمتكم أيها السادة فاذكروا التى تنتظر !
فسوف أزداد بها قوة ، وتكسبون بها مزيدًا من الشرف ! ٢١٥

[يخرجون]

المشهد الثالث

[مدخل القصر الملكى]

[أصوات صخب وضجيج من خارج المسرح - يدخل البواب وخادمه](*)

البواب : كفوا عن الصخب فورًا أيها الأوغاد ! هل أصبح القصر الملكى حديقة باريش ؟ (**)
أيها الحقراء الوقحاء ! كفوا عن الصياح أقول !

صوت : **[يدخل من خارج المسرح]** سيدى البواب ! أنا من رجال مخزن الطعام !

البواب : فلتكن من رجال المشنقة ! ولْتُعَلَّقْ فيها أيها الوغد ! ٥
هل من اللائق أن تصرخ فى هذا المكان ؟

(*) يقول الشراح إن هذا المشهد يصور أبناء الشعب لأول مرة فى فرحهم بالأميرة الوليدة .
(**) Parish Garden أو Paris Garden كانت حلبة لمصارعة الثيران والدببة على شاطئ التيمز فى لندن ، وقريبة من مسرح الجلوب ، وكان يضرب بها المثل فى ضجيج الغوغاء .

[**إلى خادمه**] أحضر لى اثنتى عشرة عصًا صلبة قوية

حتى أُفَرِّقَهم بها !

أريدها من شجر التفاح القوى ، فما هذه إلا أغصان نحيلة !

تستحقون الضرب على رؤوسكم حقا !

ألا بد أن تشهدوا حفل التعميد ؟

هل تتوقعون شرب الجعة وأكل الفطائر أيها الأوغاد السفلة ؟ (*)

الخادم : أرجوك يا مولاى صبرًا ! من المحال تفريق هؤلاء ١١

أو إخلاء البوابة إلا إذا ضربناهم بالمدافع

فطارت أجسامهم فى الهواء !

وهل يستطيع أحد إجبارهم على أن يظلوا نائمين

فى صبيحة عيد الربيع (**) ؟ إنه محال أى محال !

لن نزحزحهم ولو زحزحنا كنيسة القديس بولس ! ١٥

البواب : كيف دخلوا قاتلك الله ؟

الخادم : لا أعرف ؟ كيف يدخل مد البحر ؟

لقد حاولت تفريقهم بقدر ما استطاعت هذه الهراوة !

كان طولها أربعة أقدام - وهذا ما بقى منها !

لم أترك أحدًا إلا ضربته

(*) كانت الجعة والفطائر هى ما يقدم عادة فى الاحتفالات العامة إلى أبناء الشعب . والجعة المقصودة هى شراب الشعير الذى لايحتوى على نسبة كبيرة من الكحول .

(**) عيد الربيع هو May Day وهو ساعة الفجر يوم أول مايو حيث ينهض الجميع قبل انبلاج الصبح لجمع الزهور وتزيين أبواب البيوت ومطارحة الغرام .

البواب : بل لم تفعل شيئًا على الإطلاق ! ٢٠

الخادم : أنا لست شمشون الجبار يا سيدى ! لا ولا الفارس جاى
ولا العملاق كولبراند ! (*) حتى أحصدهم حصدًا ! لكننى
أقسم إننى لم أترك أحدًا إلا ضربته على رأسه ! شابا كان أم
شيخًا ! ديوثًا كان أم فاسقة ! وإذا كنت قد أهملت واجبى
فأدعو الله ألا أحيا حتى أذوق اللحم مرة أخرى ! ٢٥
حاشى لله أن أكون مهملاً - فليحفظ الله الأميرة ! (**)

صوت : [**من خارج المسرح**] هل تسمعنى يا سيدى البواب ؟

البواب : سألتفت إليك بعد لحظة يا سيدى الكلب المحترم !
اسمع يا غلام ! حذار أن تفتح الباب لأحد !

الخادم : ماذا تريدنى أن أفعل ؟ ٣٠

البواب : أن تفعل؟ ما ينبغى لك أن تفعل! اقرعهم على رؤوسهم بالعشرات!
هل هذه حقول « مورفيلدز » حتى يحتشدوا للنزهة فيها ؟ هل وصل
إلينا بعض الهنود الحمر من أمريكا ، بحرابهم الكبيرة، حتى يحاصرنا
النساء ؟ (***) فليباركنى الله ! ما هذا التزاحم الإباحى لدى الباب ؟

(*) « جاى » هو لورد واريك، وتنسب إليه بطولات خارقة فى الأساطير ، أهمها قتل العملاق «كولبراند» ، على نحو ما ذكر الشاعر درايتون فى النشيد الثانى عشر من قصيدته الطويلة « بولى أولبيون » .

(**) العبارة الأصلية :

And that I would not for a cow, God save her !

غامضة ولم يقدم الشراح أى تفسير مقنع لها ، والترجمة هنا تورد المعنى العام وحسب .

(***) كان استعمار ولاية فيرجينيا الأمريكية من الأنباء الذائعة آنذاك ، إذ أنشئت مدينة « جيمز تاون » فى عام ١٦٠٨ ، وكان العائدون يحضرون كثيرًا من الهنود الذين كانوا يباعون بأثمان باهظة بسبب شهرتهم بأعمال السحر ، خصوصًا للنساء . وهناك إشارة مضمرة للقدرة الجنسية أيضًا .

لسوف نشهد نسلاً كثيرًا من هذا الجماع ! ٣٥
قسمًا بضميرى المسيحى إن حفل التعميد
سوف ينجب لنا ألف طفل وألف أب وألف إشبين معًا !

الخادم : ستكون ملاعق التعميد أكبر يا سيدى . إن بالباب رجلاً يدل وجهه ومظهره على أنه من النحّاسين ! أقسم إن لفحات عشرين يومًا من ٤٠ أيام الصيف تزفر فى أنفه ! وكل ما فيه ينطق بخط الاستواء بل بالجحيم الذى يكفى للتكفير عن جميع ذنوبه ! هذا التنين الذى يزفر النار ضربته ثلاث مرات على رأسه فهب من أنفه اللهيب ثلاث مرات نحوى ! إنه يقف هناك مثل مدفع الهاون على أهبة ٤٥ الانطلاق لينسفنا ويزيحنا من طريقه ! وكانت تقف قريبًا منه زوجة خردواتى ضعيفة العقل ! ظلت تسبنى وتشتمنى حتى سقطت قبعتها الحمراء التى تشبه الطبق المقلوب من رأسها ! وذلك لأننى فى زعمها تسببت فى هذا الضجيج ! تصور ! وقد تفاديت الرجل الذى كان كالشهاب الساقط فاصطدمت بالمرأة التى صاحت ٥٠ «أدركونى !» فإذا بى ألمح من بعيد نحو أربعين من شبان الحرفيين يحملون الهراوات ويهرعون لنجدتها ! كانوا زهرة شباب حى «ستراند» الذى تقيم فيه . وعندما هاجمونى صمدت لهم أولاً ثم بدأوا ينازلونى بمقابض المكانس فقاومت ما استطعت المقاومة ولكن صفًا من الصبيان برز فجأة من خلفى كأنهم فريق من القناصين ٥٥ أمطرونى بوابل من الحصى والحصباء حتى حمدت الله أن استطعت أن أطوى بُردة كرامتى وأترك القلعة لهم ! كان الشيطان لا شك بينهم فيما أظن !

البواب : هؤلاء هم الشبان الـذين يبرقون ويرعدون فى المسارح ، ويـتقاتلون للحصول على التفاحات التى قضم بعضها (*) ولايحتملون إلا الجمهور
٦٠ الذى يشهـد تنفيذ الإعدام فى « تاور هيل » أو زعـانف مدينة لايم هاوس (**) ، إخوانهم الأعـزاء ! لقد رأيت بعضـهم فى السجن، ومن المحتـمل أن يقضوا الأيام الثـلاثة الحاليـة فى الرقص ، إلى جانب تناول المرطبات مع قدوم مساعدى القسس ! (***) ٦٥

[يدخل كبير الأمناء]

كبير الأمناء : ألا فليرحمنى الله ! ما هذا الحشد الحاشد !
إن أعدادهم تزداد باطراد ، وهم من كل حدب ينسلون
كأنما نعقد سوقًا هنا ! أين البوابون ؟ أين الأوغاد الكسالى ؟
[**يراهم**] ما أروع ما قمتم به يا هؤلاء !
لقد سمحت لأجمل الرعاع بالدخول ! ٧٠
هل هؤلاء جميعًا من أصدقائكم المخلصين فى الضواحى ؟
لم يعـد هـنـاك مكان تمر منه الـسـيـدات عند العـــودة من حـفل التعميد(****) !

البواب : لو سمحتم يا صاحب السعادة !

(*) حتى يقذفوا بها الممثلين .
(**) لايم هـاوس لم تكن مدينة بالمعنى المفهوم بل حى من أحياء مـدينة لندن يقيم فيه العاملون بصناعة السفن ، واشتهر عنهم الصخب والفوضى .
(***) يتضمن التعبير لمسة سخرية لأن مساعدى القسس سوف يقومون بضربهم علنًا فى الشوارع .
(****) الأصل تعبـير ساخر وهو « مـا أشد اتساع المكان الذى ستمر منه السـيدات . . . إلخ » وهو استمرار لنبرة السخرية فى حديث كبير الأمناء .

ما نحن إلا بشر ! وقد فعلنا ما فى استطاعتنا ،
بأعدادنا المحدودة ، دون أن يمزقوا أوصالنا !
لايستطيع جيش كامل أن يتحكم فيهم ! ٧٥

كبير الأمناء : أقسم إننى لو تعرضت للتأنيب على ذلك من الملك
فسوف أضع أقدامكم فى الحبس (*) على الفور
وأفرض على رؤوسكم غرامات كبيرة لهذا الإهمال !
أيها الأوغاد الكسالى ! ها أنتم تواجهون القلق بأقداح الجعة ٨٠
والواجب يقضى أن تنهضوا بأعمالكم ! اسمعوا صوت الأبواق !
لقد عاد الجميع من حفل التعميد ! هيا أذيعوا النبأ للجمهور
وأفسحوا مكانًا يمر منه الموكب بسلام !
هيا وإلا أفسحت لكم مكانًا تلعبون فيه شهرين ٨٥
فى سجن « مارشال سى » !

البواب : [**يصيح**] أفسحوا مكانًا للأميرة !

الخادم : أنت يا ضخم الجثة ! ابتعد والتصق بالآخرين
وإلا قرعت رأسك !

البواب : أنت يا من ترتدى معطفًا من وبر الجمل !
قف إلى جوار السور وإلا قذفت بك من فوقه !

[**يخرجون**]

(*) إما أنه يعنى إدخالهم السجن أو وضع أقدامهم فى الجباسة الخشبية Stocks .

المشهد الرابع

[القصر الملكى]

[يدخل اثنان من نافخى الأبواق ، ينفخونها ، ثم يدخل اثنان من أعضاء مجلس المدينة، والعمدة ، وكبير حجّاب الملك ، وكرانمر ، ودوق نورفوك وهو يحمل عصا الماريشالية ، ودوق سافوك ، واثنان من النبلاء يحملان وعائين كبيرين لهما أرجل يقفان عليها ومخصصان لهدايا التعميد ، ثم أربعة من النبلاء يحملون مظلة تسير تحتها دوقة نورفوك (الاشبينة) وهى تحمل الطفلة التى ترتدى ملابس فاخرة ووشاحًا وما إلى ذلك ، وذيل ردائها تحمله إحدى السيدات . وتدخل بعد ذلك مركيزة دروسيت (الاشبينة الأخرى) مع بعض السيدات . ويمر الموكب على المسرح ثم يتكلم كبير الحجّاب]

كبير الحجاب : يارب السموات ! من خيرك العميم الذى لا حد له
أنعم بالحياة الهنيئة ، والعمر المديد السعيد أبدًا
على أميرة انجلترا السامية ذات العزة والمنعة - إليزابيث !

[دوى الأبواق ، ويدخل الملك مع الحرس الخاص به]

كرانمر : [**راكعًا**] وأنا أدعو الله مع شريكتىّ
أن يهب جلالتكم وجلالة الملكة الكريمة ٥
كل الهناء والفرح بهذه الأنسة الكريمة
ولتمطر السماء قطرات السعادة فى كل ساعة
على الأبوين الكريمين !

الملك : شكرًا لك يا رئيس الأساقفة الأكرم !
ما اسمها ؟

كرانمر : إليزابيث

الملك : انهض يا سيدى !

[الملك يقبل الطفلة]

خذى البركة منى بهذه القبلة ! ١٠

أدعو الله أن يحميك ويرعاك ، وقد وضعت حياتك بين يديه !

كرانمر : آمين !

الملك : أيها الإشبين النبيل ! لقد أفأت علينا كرمًا زائدًا

فشكرًا لك من قلبى ، وسوف تشكرك هذه الآنسة

عندما تتعلم الانجليزية !

كرانمر : دعنى أتكلم الآن يا سيدى ، فهو ما تأمرنى به السماء ١٥

ولا يَظُنَّنَ أحد أن ما أقوله من قبيل الرياء ، بل هو الحق عينه !

إن هذه الأميرة الطفلة - كلأها الله بعين رعايته ! -

ولو أنها ما تزال فى مهدها ، تحمل البشرى للمملكة

بألف ألف بركة عندما تبلغ أشدها وتستوى ! ٢٠

ورغم أن ذلك الهناء لن يشهده إلا القليل ممن يعيشون الآن بيننا ،

فسوف تصبح بالتأكيد قدوة لكل الأمراء المعاصرين لها ،

وكل من سيخلفهم !

ستكون هذه الطاهرة أشد حدبًا على الحكمة ،

وعلى ناصع الفضيلة ، من بلقيس ملكة سبأ ! ٢٥

إن شيم الأمراء الغراء ، التى ستصوغ هذه الدرة

ذات القوة والمنعة ، وكل ما يتحلى به الأخيار من الفضائل ،
ستنهمر عليها أضعافًا مضاعفة ! سترضع دَرَّ الحق ،
وتهتدى بالقيم القدسية والسماوية على الدوام
وسوف يحبها الناس ويخشون جانبها ! ٣٠
لسوف يباركها أصدقاؤها ، أما أعداؤها
فسوف يرتعدون مثل سنابل القمح فى أيدى الريح العاتية
ويخفضون رؤوسهم أسىً وأسفًا ! الخير يترعرع معها !
ففى زمانها سوف يطعم كل إنسان آمنًا
ثمار غرسه تحت كرمته ، وينشد أهازيج السلم الهانئة ٣٥
لجميع جيرانه ! وسوف يتقى الناس ربهم حق تقاته ،
ويتعلم من يخالطونها منها سبل الشرف والكمال ،
ويقيمون دعوى مجدهم على شرف الفعال لا على كرم المحتد !
ولن يرقد هذا السلم عندما ترقد رقدة الأبد !
بل مثلما يهب الطائر الأعجوبة ، العنقاء العذراء ، ٤٠
من رقدة الموت ، فيتخلق من رفاتها وريث جديد ،
أعجوبة مثلها تضارعها عظمة ، سوف تُخَلِّفُ هذه الملكة
(عندما تستدعيها السماء من سحابة الظلمة فى هذه الدنيا)
خصالها المباركة لوريث عظيم ، يهب من رفاتها المقدس الشريف ،
ويسطع فى السماء مثل النجم ، ذائع الصيت مثلها ،
ثابتًا كالنجم لا يأفل ! وعندها

سيصبح السلم والرخاء والحب والصدق ورهبة الجانب ،
اللائى خَدَمْنَ هذه الطفلة المصطفاة ،
خدمًا له ، وسوف تترعرع مثل الكرمة بين يديه ! ٥٠
وحيثما تسطع شمس السماء الوهاجة
سيسطع شرف اسمه وتسطع عظمته ،
وتنشئ أممًا جديدة ! لسوف يزدهر ويزدهى
مثل شجرة الأرز فوق الجبل ، إذ تمتد فروعها
إلى جميع السهول من حوله ، ولسوف يشهد أحفادنا كل ذلك
ويباركون السماوات العلا ! ٥٥

الملك : لقد تحدثت فأبدعت !

كرانمر : لسوف يطول عمرها فتسعد بها انجلترا !
وعلى كثرة الأيام التى ستشهدها
لن يمر يوم دون عمل صالح يكلله !
ليتنى كنت أعرف المزيد ! لكنها عندما تقضى نحبها
شأن كل حى ، فسوف تكون فى زمرة القديسات ٦٠
إذ ستموت بِكْرًا ، كالزهرة الناصعة الطاهرة يطويها الثرى
وسوف يبكيها العالم كله .

الملك : سيدى رئيس الأساقفة ! بفضلك أصبحت الرجل الكامل !
لم يُكتب لى قبل هذه الطفلة الميمونة أن أنال شيئًا ! ٦٥
لكم أسعدتنى بهذه النبوءة الجميلة !

بل إننى عندما أمضى إلى السماء
سأتمنى أن أرى ما تفعله هذه الطفلة
وأحمد خالقى ! شكرًا لكم جميعًا !
إننى ممتن لكم يا سيدى العمدة الكريم ٧٠
ولإخوانكم الأفاضل ! لقد شرفتمونى كثيرًا بحضوركم
وسوف تجدوننى شاكرًا لكم ! تفضلوا بالسير أمامى
أيها السادة كى نقابل الملكة جميعًا حتى تعرب لكم عن شكرها
وإلا غضبت وحزنت . فلينس الجميع أن لهم ما يشغلهم فى منازلهم
إذ لابد أن تمكثوا جميعًا معنا ! ٧٥
فالطفلة الصغيرة ستجعل اليوم يوم عطلة مقدس !

[يخرجون]

الختام

أراهن أن هذا العرض لن يُرضى
جميع الحاضرين هنا
رهانا قدره عشرًا لواحد
فإن البعض جاء ليستريحا
ويغفو طول فصل أو فصول عندنا
ولكنّا أخفناه بأبواقٍ رواعد ٥

لذلك لن يرى فى العرض شيئًا من مزايا
وُجاء البعض حتى يسمعوا سبًا وقذفا
ويمتع أذنه ويصيح « مرحى ! »
وهذا ما تحاشيناه عمدا
إذن سيكون أقصى ما ننال اليوم مدحا
هو الكرم الذى تبديه بعض الحاضرات الطيبات
بتفسير سيغفر ما ارتكبنا من خطايا ١٠
فإن لاحت على الثغر ابتسامتهن عفوًا أو قبولاً
فسوف يصفق الأزواج ترحيبًا وفرحا
فحسن الحظ يقضى بانصياع الزوج حبا أو مثولا !

النهـــاية

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٣٩٣٤/١٩٩٥
I.S.B.N 977-01-5138-6